دكتور
الشحات السيد زغلول
كلية الآداب - جامعة الاسكندرية

عبد الله بن مسعود

المربي والأديب

الطبعة الأولى
١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م



دار المعارف



عبد الله بن مسعود

المربي والاديب

عبد الله بن مسعود

المربي والأديب

دكتور

الشحات السيد زغلول

كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

١٩٨٦



دار المعارف

بسم الله الرحمن الرحيم

« وقل رب زدني علما »

سورة طه آية : ١١٤

المقدمة

بعد أن فرغت من كتابي «عبد الله بن مسعود : الشخصية والسيرة» ، وضح لي أن الشخصية العظيمة تتميز بالعمق والثراء ، فهي بعيدة الغور ، متعددة الجوانب . ولذلك فإن الباحث كلما مد نظره إليها ، اتضحت له منها أمور كانت غائبة . . .

وهنا أحسست بحيرة ، هل من الأفضل أن أتجه بقلمي إلى مجال آخر أرتاده ، وأكتب فيه ، أم أغير موقعي من عبد الله بن مسعود ، وأنظر إليه من زاوية ثانية ، فربما استطعت أن أقف منه على أمور لم يتحها لي موقعي الأول منه حين كنت أكتب عن شخصيته وسيرته .

ولم أدع صعوبة الاختيار تغلبني على نفسي ، فقد أحسست أن مسئوليتنا أمام عظمة الصحابة تقتضينا ألا ندع شيئا من عظمتهم خافيا ، وأن واجبنا أمام الأجيال المعاصرة التي تفتقد القدوة الإسلامية أن نبصرها بهؤلاء الرجال الذين أعطوا الإسلام أنفسهم ، فأعطاهم عز الدنيا ونعيم الآخرة .

ولم يطل بي التفكير ، فما إن أعدت النظر إلى عبد الله بن مسعود حتى وجدتني أمسك القلم ، وأقول بصوت مسموع : هذه هي : لقد وجدتها : إنها رؤية معاصرة لعبد الله بن مسعود مربيا ومعلما وأديبا .

وأصدقك القول ، لقد أحسست براحة عندئذ ، لا لأني أمسكت بخيط سيقودني إلى نسيج جديد ، ولا لأني عثرت على موضوع يفرض نفسه ، ويلح على المتصدين للدرس الإسلامي أن يقبلوا على إعمال عقولهم في قضاياه ، ولكني مع قناعتي بذلك سعدت به ، لأنه يتصل بأسباب كثيرة مع عملي سنوات عدة مدرساً للتربية وأصولها ونظرياتها في معاهد التعليم المختلفة ، وكان

الفكر المستورد هو مدار المناهج المقررة ، ولكم كنت أتساءل : ألا يوجد فى الفكر الإسلامى نظرية تربوية إسلامية يمكن أن تأخذ حقها من الدرس إلى جانب ما يسود المناهج من نظريات ؟ وهل يصح أن نقنع بأن نجلس إلى موائد غيرنا لنقتات مما يضعونه عليها غثا كان أم سمينا ؟

وكنت عندئذ أشعر أن أدوات البحث غير مكتملة لدى ، فكتمت الفكرة فى صدرى لتظل حبيسة اللاشعور ، حتى حركها هذا الموقف، فتفتق الذهن عنها فجأة . وقلت نعم ، ولتكن محاولة أقدم فيها نموذجا إسلاميا خالصا تربى على القرآن والسنة ، وعلم العربية وأدبها ، ثم تأسى برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتخلق بخلقه القرآنى ، وأقبل بعد ذلك يصوغ مما علم ومما تعلم نظاماً تربوياً ، أخذ به تلاميذه ، فنشروا العلم فى الآفاق من بعده .

ولا أزعم أن بحثى يقدم نظرية تربوية متكاملة ، أو تقييما شاملا لجهد عبد الله بن مسعود فى مجال التربية ، ومجال الأدب ، ولكن يكفيه أن قدم اتجاها تربويا إسلاميا ، وحسبه أنه قدم قطوفا من أدب عبد الله بن مسعود ، وكشف عما فيها من عمق الإحساس ، ودقة الأداء ، ولم يكن ذلك إلا لأن عبد الله عرف كيف يفيد مما تعلم ، ثم عرف كيف يوصل فكره وحسه إلى تلاميذه ، فيقنعهم بفكره ، ويمتعهم بشعوره ، وهو فى هذا وذاك نعم المربى ونعم الأديب .

وقد قسمت البحث إلى مقدمة وثلاثة أبواب وخاتمة .

الباب الأول : وقد عرضت فيه لثقافة عبد الله بن مسعود ، وجعلته من أربعة فصول .

الفصل الأول : قدمت فيه ثقافة عبد الله القرآنية بوصفها الرافد الأول ، وصاحبة الأثر الغالب فى تكوينه الفكرى .

فتتبعت صلة عبد الله بالقرآن ، وشغفه به ، ورغبته فى تعلمه منذ اليوم الأول لإسلامه ، وأوضحت أن ملازمة عبد الله للرسول صلى الله عليه وسلم أتاحت له أن يأخذ من فيه عددا كبيرا من السور مما أوقفه على شروط التلاوة الصحيحة وضوابطها ، وقد قدر له الصحابة ذلك ، فأجمعوا على أنه أقرأهم للقـــرآن .

وعالجت بعد ذلك قضية علم عبد الله بالقرآن ، فأوردت آراء الأطراف المختلفة فيها ، وانتهيت من ذلك إلى أن علم عبد الله بالقرآن فى حياة الرسول صلى الله عليه وسلم أمر أقره عليه الصحابة فى حياته ، ولم ينازعه فى ذلك منازع ، ثم بينت أن علم عبد الله بالقرآن لم يقف عند حد قراءته والإحاطة به ، فقد جمع إلى ذلك حفظه . ولم يكن حفظه اختزانا واستظهاراً ، وإنما كان بصرا وعملا ، وحيازة لكل الأدوات التى تعين على فهمه وتدبره .

الفصل الثانى : أوضحت فيه أن السنة تمثل الرافد الثانى فى ثقافة عبد الله ابن مسعود ، وكما أتاحت له صحبته أن يتعلم القرآن ، كذلك أتاحت له أن يسمع الحديث ، ويتعلم السنة ، وقد ذكروا أن له ثمانمائة وثمانية وأربعين حديثا .

وكان حديث التشهد ، وخطبة الحاجة مما تعلمه عبد الله من الرسول صلى الله عليه وسلم بلا واسطة ، كذلك تعلم منه الوضوء ، كما تعلم منه ما كـان يفعله فى صلاته ، ولم يكن عبد الله يسكت عن شىء يريد أن يتعلمه ، كما أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان من جانبه يستشير فيه الرغبة لتعليمه ما يود له أن يعرفه .

الفصل الثالث : وقد خصصته للدرس اللغوى ومكانته بين مكونات ثقافة عبد الله .

وقد بينت فيه أن تصدى عبد الله لإقراء القرآن وتعليمه ، ثم بيان آيه ، وتفسير سوره ، فرض عليه أن يأخذ نفسه بدراسة اللغة .

والواقع أن موقف ابن مسعود من الدرس اللغوى قد تشعب به . فأنت تجده قد وقف على لغة هذيل بالمربى ، ولغة هذيل عندئذ كانت تمثل إحدى اللغات التى نزل بها القرآن ، كذلك كانت لغة هذيل من اللغات التى اتجه إليها العلماء عند جمع اللغة ، وما ذكروه من وجوه الغرابة فيها إنما هو أمر نسبى .

وقد عرضت لما قيل عنه أنه من خصائص لغة هذيل ، وناقشت الآراء التى وردت فيه ، ثم تتبعت ما يمكننا أن نستشفه من هذه الخصائص فى قراءات عبد الله . ثم إننا نجد أن عبد الله قد أخذ اللغة من بيئته كما استقاها من قبيلته ، وأعنى بذلك بيئة الحجاز ، وقد ظهر ذلك فى أن كثيرا من خصائص اللغة الحجازية قد ظهر فيما روى عنه من قراءات .

ولما كانت هناك لغة أدبية اصطنعها الشعراء والخطباء ، ونزل بها القرآن ، فقد فرض ذلك أن ندرس هذه اللغة التى خلت من الشوائب اللهجية ، والتى ضمت كثيرا من لغات القبائل ، ونترصد ما جاء منها فى قراءات عبد الله .

الفصل الرابع : وقد عرضت فيه لثقافة أهل الكتاب ، وتحريت الأسباب التى قربت عبد الله منها ، وكان من ذلك أن عبد الله عاش فى المدينة ، وكان اليهود من أبنائها يقرأون ما بين أيديهم من التوراة ، وقد لقى ما وافق القرآن

فيها هوى فى نفوس المسلمين بعامة . كذلك كانت بعض معارف أهل الكتاب تتاح لعبد الله بن مسعود حين يعرضها أصحابها على الرسول صلى الله عليه وسلم ، أو يسألونه فى شيء منها وهو فى مجلسه . والأمر نفسه فى عهد الخليفتين الأولين وبخاصة عمر . فقد كان عبد الله يحضر مجالسه التى يشهدها من أسلم من اليهود.

ثم بينت بعد ذلك أن الكتب السماوية فى أصولها الحقيقية لا تتعارض ، ولكن إقدام أصحاب الكتب السابقة على القرآن بالتغيير فى كتبهم هو الذى أدى إلى هذا التعارض .

وقد قدمت بعد ذلك نصوصاً لعبد الله بن مسعود تحدد موقفه من ثقافة أهل الكتاب بعامة . ثم أوردت نماذج لما حمل عليه منها . وما أسنده الرواة إليه مما ذكره المفسرون فى كتبهم . وقررت أن معظم هذه الإسرائيليات كذب وباطل . وما تصح نسبته منها لا يخرج عن أن عبد الله قد رواه من جهة التحديث بالغرائب دون أن يأخذ ذلك حكم الحديث الموقوف .

وقد انتهيت إلى أن عبد الله كان إيجابيا فى موقفه من ثقافة أهل الكتاب ، لم يقبلها بكل ما فيها من غث وسمين ، وإنما عرضها على محك الشرع والعقل فرفض منها كل ما يتنافى مع مبادئها . ولذلك ظل أثر هذه الثقافة بعيدا عن العقيـــدة .

الباب الثانى : وقد تكلمت فيه عن عبد الله بن مسعود : المربى والأديب وقسمته إلى ثلاثة فصول

الفصل الأول : خصصته لدرس القرآن . وأوضحت فيه أن الدولة ممثلة فى عمر وكلت إلى عبد الله بن مسعود مهمة القيام على تعليم القرآن فى العراق ،

وأنه قدر المسئولية ، وأعطاها جهده ، فأقبل عليه تلاميذ كثيرون ، يأخذون القرآن عنه وفق ضوابط القراءة وأحكامها ، فقد علمهم أن يرتلوه،ويتأنوا فى قراءته ليتدبروه حتى يعملوا بما فيه ، ويتخلقوا بأخلاقه .

وقد اتخذ عبد الله من المسجد مكانا للتعليم ، واقتدى بمنهج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى القراءة والإقراء ، كما أقبل يفسر القرآن للقوم،وكان ينهج فى ذلك نهجا تربويا يعين على بيان آى القرآن وتفهمه،وهو فى ذلك إنما كان يستهدى أيضا ما كان يصنعه الرسول صلى الله عليه وسلم .

ومما عرف به عبد الله أنه كان يتحرج القول بالرأى فى القرآن،ويأخذ بمنهج التفسير بالمأثور مما جعل تفسيره مصدرا أصيلا أفاد منه كثير من المفسرين .

الفصل الثانى : وقد أفردته لدرس الحديث وبينت فيه أن عبد الله حدث فى العراق بما أخذه عن الرسول صلى الله عليه وسلم مما هيأه له طول ملازمته له ، ومع هذا فإن ما روى عنه قليل بالنسبة لما روى عن غيره ممن لم تتح لهم ظروف مثل ظروفه ، وقد رد بعضهم ذلك إلى أن عمر أمره بالإقلال من الرواية عن النبى صلى الله عليه وسلم ، وتزيد هؤلاء فذهبوا إلى أنه سجنه فى نفر من الصحابة سنة حتى استشهد فأطلقهم عثمان .

والموقف فى جملته لا يتحمل ذلك ، فمفهوم الخبر على فرض صحته أنه استبقاهم بالمدينة ليتثبت مما لديهم من الحديث .

وعندى أن السبب يتصل فى جانب كبير منه بعبد الله بن مسعود نفسه ، فقد كان لديه من الورع والخشية ما يجعله يفرض على نفسه منهجاً متشددا فى

الرواية حتى لا يقع فى خطأ ، فكان يلتزم اللفظ ، ويصحح ما يرويه على القرآن ، ويدلل على صدقه بآيات منه ، وهو فى ذلك إنما ينهج نهج النبي صلى الله عليه وسلم ، ويسلك سبيل سنته .

وقد كان لجهود عبد الله أثرها ، فسبقت الكوفة غيرها فى العناية بالحديث وكثر تلاميذه بها ، وحملوا علمه عنه .

الفصل الثالث : وقد جعلته عن المفاهيم الإسلامية فى التعلم فى فكر ابن مسعود ،وقد أوضحت فيه أن عبد الله فطن إلى أثر الرغبة فى التعلم ، وأن علينا أن نجعل الغاية من التعلم سامية على العرض الدنيوى الزائل ، وأن نراعى المستوى العقلى لمن نريد تعليمهم حين نقوم بوضع المناهج العلمية لهم .

وقد لحظت أن عبد الله فسر عمليات التعلم تفسيرا دينيا ، وربما كان ذلك أثرا للروافد التى استمد منها ثقافته بعامة . ومع هذا فهناك ما يلفت إلى توصله إلى بعض المبادىء المتقدمة فى مجال التربية ، فسبق عصره بها ، لقد أدرك -فضلا عما سبق- أن العلم بالتعلم ،وأن وجود الدافع يؤثر فى العملية التعليمية ، وأن إيجابية المتعلم وما تثيره من نقاش لها فعاليتها فى تعلمه ، ثم إن الهدف من التعلم لا يقف عند حد اختزان المعلومات ، وإنما فى العمل بها ، والإفادة منها ؛ وأن المذاكرة أدعى إلى حفظ العلم والتثبت منه .

وقد أخذ عبد الله موقفا من العلم بعامة هو موقف الإسلام نفسه منه ، فكان يدعو إلى نشره . ولا يرضى عن حبسه . كذلك أعطى للقدوة الحسنة أهمية فى مجال التربية ، فبها يقتدى الطلاب ، ويحتذى التلاميذ .

وقد عرف الصحابة فضل عبد الله ومكانته فى العلم ، وعرفوا له دوره فى إقامة مدرسة متميزة فى الحديث والفقه ، حمل لواءها أصحابه من بعده .

الباب الثالث :

«أدب عبد الله بن مسعود : الخصائص والسمات» .

ولا أود فى حديثى هنا أن أقحم عبد الله بن مسعود فى عداد الأدباء ، أو أن أزعم أن له إنتاجاً أدبيا فى وسع المرء أن يعرض له بالمقاييس النقدية المتعارف عليها ، ذلك لأن ما جاءنا عنه لا يخرج فى مجموعه عن أن يكون تفسيرا أو فتوى مما يوسع له مكانا بين المفسرين والفقهاء .

ولكنى أحببت أن أقف على الحس الأدبى عنده ، وأقف على نتاج الثقافة التى تأتت إليه من روافد متعددة فى مجال الإبداع الأدبى ، ولو أننا أمام أديب من ذوى الأعمال الأدبية التى كملت معالمها لكان التصدى لعرضها على قواعد النقد أمرا ميسورا ، لكن ما نجده لعبد الله فى محيط الأدب نادر قليل ، ومن هنا نشأت الصعوبة ، وفرض الموقف علينا أن نمد البصر فى مروياته جملة لنقف على ما يتصل منها بالأدب بسبب ، وقد توفر لنا قدر إن لم يكن وفيرا ، فهو يقدم مادة أدبية يمكن التعرف من خلالها على الخصائص التى تميز أدبه من حيث موضوعاته وأفكاره وأساليبه ، كما يمكن أن تعيننا على الاقتراب من الحس اللغوى لديه .

ولقد جاء هذا الباب فى فصلين :

الفصل الأول : فى الموضوعات و الأفكار و الأساليب .

يلحظ الدارس أن السمة البارزة فى أدب عبد الله بن مسعود أنه أدب الزهد الذى غذته الروح الإسلامية ، ولذلك نجده يكثر الحديث عن الدنيا الزائلة ، والفقر ، والثراء الحقيقى ، والعمل الصالح ، والتأهب للموت . أما من حيث الأفكار ، فإننا نجد عليه الطابع الدينى ، وقد وضح ذلك فيما قدمت

له من خطب ، وفيما عرضت له من عظات ، وهى فى مجموعها تسير على نهج العصر من حيث الإيجاز والعمق ، والإيقاع السريع ، فكل فكرة عنده إن هى إلا خفقة قلب أو دفقة شعور. وكان عبد الله يركز على أفكار معينة لا يمل من تناولها ، غير أنه ما إن يعرض لها حتى يضيف إليها ، أو يفصل فيها بما يضفى عليها شيئا من الجدة ، والمدقق فى أفكار عبد الله يمكنه أن يردها إلى أصولها من القرآن والحديث ، وكثيرا ما تتداخل الأفكار عنده حتى ليصبح من العسير وضع حد بين ما هو له ، وما هو للنبى صلى الله عليه وسلم ، بل وما كان فى كتب أهل الأديان الأخرى .

ولقد عمدت إلى اختيار بعض الأساليب التى وجدت أنها تستوقف القارىء فى أدب عبد الله بن مسعود ، فأوضحت أنه فيما درج عليه من أسلوب القسم إنما كان يتحرى النهج القرآنى فى التعبير ، فقد أقسم بذات الله كما أقسم بصفاته ، وبخاصة صفة الوحدانية ليثبتها فى القلوب .

وأما عن أسلوب الدعاء فقد وضحت فيه العناصر الإسلامية ، فالمسألة فيه لا تتصل بعرض فان ، وإنما تتعلق بما هو خير وأبقى ، وعلى الداعى أن يخلص فى دعائه ، وأن يدعو من قلبه .

الفصل الثانى : الحس اللغوى :

وقد بينت فيه أن عبد الله بن مسعود قد فطن بحسه المتفرد إلى الفروق اللغوية الدقيقة بين الألفاظ ، فأعانه ذلك على الوقوف على الأسرار البلاغية والبيانية فى القرآن ، وقد أفاد عبد الله كثيرا من ثقافته اللغوية فى تحديد الدلالة المقصودة من الألفاظ عندما يتقارب استعمالها اللغوى ، كذلك فإن عبد الله

كان يلوذ بإحساسه الديني الذى غذاه القرآن . وتولته السنة فى الوقوف على دلالة بعض الكلمات ويمكن أن تحمل قراءات عبد الله التفسيرية فى طياتها دليلا على علمه باللغة . وبصره بها . فأنت تجد فى ألفاظه طاقة فكريةوشعورية هائلة . يقف القارىء على ما فيها من معنى بقدر ما يدقق النظر فيها . وربما كان هذا سببا فى أن الصوفية حاولوا أن يلوذوا بها ليصححوا عليها ما حملوا ألفاظهم عليه .

الخاتمة : وقد أوجزت فيها أهم النتائج التى عرضت لتفصيل القول فيها خلال صفحات البحث .

الباب الأول

ثقافة عبد الله بن مسعود

«قالوا للذين(١) أوتوا العلم ماذا قال آنفا»

«سورة محمد آية ١٦»

---

١ — قال ابن بريدة : هو عبد الله بن مسعود .

الزمخشري : الكشاف جـ ٤ ص ٣٢٣ .

السيوطي : الدر المنثور في التفسير بالمأثور جـ ٦ ص ٤٩ .

الفصل الأول

القرآن

كانت الحياة العلمية فى عهد النبوة تقوم فى جانب كبير منها على مقومات دينية استحدثها الإسلام .

فلقد أقبل المسلمون بعامة على القرآن والسنة ، يتخذون منهما زادا دينيا وفكريا ، وانتشرت تعاليم الدين بانتشاره ، ووقف المسلمون على كثير من أخبار الأمم السابقة من خلال ما حدثهم به القرآن عنها ، وكانت الأحكام الدينية مناط تنظيم شئون المسلمين فى معايشهم ، ووردت فى القرآن أيات كثيرة تحث العقل على التأمل ، وتدعو الفكر إلى النظر .

قال تعالى(١) : «إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب»

لقد غلب الاهتمام بالقرآن والسنة على مجرى الحياة العلمية عندئذ فعنى المسلمون بهما توثيقا لنصوصهما ، ورغبة فى الوقوف على ما فيهما من معان وأحكام ، وكان سبيلهم إلى ذلك بيان الرسول صلى الله عليه وسلم ، والبصر بما عرف عن العرب فى عاداتهم وأعرافهم وتقاليدهم ، ثم ما ورد فى أدب القوم ولغتهم .

«ولقد(٢) كان العرب يعرفون العربية على تفاوت فيما بينهم ؛ وإن كانت العربية لغتهم ، فمنهم من كان يعرف كثيرا من الأدب الجاهلى ويعرف غريبه ، ويستعين بذلك فى فهم مفردات القرآن ، ومنهم من كان دون ذلك»

وثقافة الفرد حصيلة مكونات عدة ، وللتعلم وطرائقه أثر كبير فى تنميتها .

---

١ – سورة آل عمران : آية ١٩٠ .
٢ – أحمد أمين : فجر الإسلام ج ١ ص ٢٣٧ – مطبعة الاعتماد سنة ١٩٢٨ .

ومعيار التفوق الحقيقي لا يقف عند حد القدرة العامة وحدها، فالذكاء وإن غلبت عليه الوراثة ، فهو لا ينمو إلا بالتعلم . . .

وفى هذا الباب سنعرض لثقافة عبد الله بن مسعود ، وسنحاول أن نتعرف على روافدها ، والعوامل التى اشتركت فى تكوينها . والواقع أن رصد سلوك عبد الله فى المواقف التى واجهته ، وتتبع تصرفه خلالها يعيننا على أن نقف على ما كان لديه من ذكاء وافر شحذه العلم الإسلامى فتوقد ، ووصل إلى الغاية مما أكسبه طاقة علمية متفردة يمكننا أن نميزها بسماتها بين الصحابة جميعا.

القــــرآن

كان القرآن أهم الروافد التى أمدت شخصية عبد الله بن مسعود بعوامل تكوينها ، ونحن لا نغالى حين نذهب إلى أن مده قد تجاوز غيره فى بنائها ، فحين يذكر عبد الله بن مسعود يرتبط اسمه بالقرآن ، ولو أنك قلت عنه إنه رجل القرآن ما عدوت الحقيقة ، وما عدوت أن تكون قد قصدت أحدا غيره. فحين لقيه الرسول صلى الله عليه وسلم أول مرة ، وهو يرعى غنم عقبة بن أبى معيط شاءت إرادة الله أن تمس كلمات القرآن مراكز الحس فى قلبه وعقله فيسأل الرسول صلى الله عليه وسلم أن(١) يعلمه من هذا القول ، فيقول الرسول له «إنك غلام معلم» ، ويذهب عبد الله إلى الرسول صلى الله عليه وسلم فى غار حراء ، وبينما هو عنده يحدث أول اتصال له بالقرآن .

---

١ — ابن سعد : الطبقات الكبرى جـ ٣ ص ١٥١ ط بيروت سنة ١٩٥٧ .
— ابن عبد البر : الاستيعاب فى معرفة الأصحاب جـ ٣ ص ٩٨٨ — مطبعة نهضة مصر .
— ابن قيم الجوزية : أعلام الموقعين عن رب العالمين جـ ١ ص ١٦ .

عن زر عن عبد الله قال(١) : كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم فى غار حراء . فنزلت عليه «والمرسلات عرفا» فأخذتها من فيه ، وإن فاه لرطب بها ، فلا أدرى بأيها ختم(٢) «فبأى حديث بعده يؤمنون» أو(٣) «وإذا قيل لهم اركعوا لا يركعون» .

وليس المراد أن ابن مسعود شك فى معرفة آخر السورة ، إنما شك(٤) فى أى الآيتين وقف عندها رسول الله صلى الله عليه وسلم»

وعبد الله أول(٥) من أفشى القرآن بمكة من فى رسول الله صلى الله عليه

---

١ – أحمد بن حنبل : المسند : الحديث رقم ٣٥٧٤ .
– صحيح البخارى : ج ٦ كتاب التفسير ص ٢٠٤ ، ص ٢٠٥ ، ج ٤ كتاب بدء الخلق ص ١٥٧ ط . الشعب .
– صحيح مسلم بشرح النووى ج ١٤ ص ٢٣٣ .
– ابن سيد الناس: عيون الأثر فى فنون المغازى والشمائل والسير ج ١ ص ١٢١ ط . سنة ١٩٧٧ .
– القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ج ١ ص ٣١٤ ط . سنة ١٩٥٢ .
– السيوطى : الدر المنثور فى التفسير بالمأثور ج ٦ ص ٣٠٢ .
٢ – سورة المرسلات : آية ٤٨ .
٣ – سورة المرسلات : آية ٥٠ .
٤ – أحمد شاكر : شرح المسند ص ١٩٩ .
٥ – ابن سعد : الطبقات الكبرى ج ٣ ص ١٥١ ط . بيروت .
– المقدسى : البدء والتاريخ ج ٥ ص ٩٧ ط باريس سنة ١٩١٦ .
– ابن حجر العسقلانى : الإصابة فى تمييز الصحابة ج ٤ ص ٢٣٤ ط . دار الثقافة العربية .
– ابن الجزرى : غاية النهاية فى طبقات القراء ج ١ ص ٤٥٨ .

وسلم . فجهر(١) به ليسمعه قريشا ، وهو يعلم أنه ليس فى منعة منها ، ففى أول الإسلام كانوا المشركون إذا سمعوا الرسول صلى الله عليه وسلم يرفع صوته بالقرآن فى صلاته بأصحابه يسبونه ، كما كانوا(٢) يسبون القرآن ، ومن أنزله، ومن جاء به ، فنزل قوله تعالى(٣) «ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها، وابتغ بين ذلك سبيلا» . والقصد من ذلك أن يسلم القرآن من المهانة ، وينجو الرسول والذين معه من الأذى .. :

كان هذا والرسول صلى الله عليه وسلم فى مكة يدعو إلى الاسلام فى خفية من القوم ، ولقد رغب الصحابة لو أنهم استطاعوا أن يجهروا بالقرآن، وودوا لو أن أحدهم ممن له عشيرة تحميه فعل ذلك ، ولكن عبد الله بن مسعود خالف أنه المعنى ، وندب نفسه لهذا العمل ، ولو أنه سكت ما كان عليه فى هذا الأمر شيء ، فكلهم يعلم أنه لا سند له . ولكن صاحب النفس الكبيرة يعرف للموقف أثره ، أو قل إنه الإسلام الذى جعل الحياة ترخص ، والدنيا تهـون .

قال ابن إسحق(٤) : اجتمع يوماً أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : والله ما سمعت قريش هذا القرآن يجهر لها به قط ، فمن رجـل يسمعهموه ؟ فقال عبد الله بن مسعود : أنا ، قالوا : إنا نخشاهم عليك ،

---

١ ـ ابن كثير : البداية والنهاية جـ ٧ ص ١٦٢ ـ مكتبة المعارف ـ بيروت .
ـ الزركلى : الأعلام جـ ٤ ص ٢٨٠ ـ الطبعة الثالثة .
ـ دائرة المعارف الاسلامية : جـ ١ ص ٢٧٥ .
٢ ـ ابن قيم الجوزية : أعلام الموقعين عن رب العالمين جـ ٣ ص ١٤٤ .
ـ السيوطى : أسباب النزول ص ١١٤ .
٣ ـ سورة الإسراء آية ١١٠ .
٤ ـ ابن هشام : السيرة النبوية جـ ٢ ص ٤٧ ـ مؤسسة نبع الفكر العربى للطباعة .
ـ الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ ٢ ص ٣٣٤ ، ٣٣٥ ط . دار المعارف .
المقدسى : البدء والتاريخ جـ ٥ ص ٩٧ . ط سنة ١٩١٦ .
النويرى : نهاية الأرب فى فنون الأدب جـ ١٦ ص ٢٢٨ .

إنما نريد رجلا له عشيرته يمنعونه من القوم إن أرادوه . قال : دعونى . فإن الله سيمنعنى . قال : فغدا ابن مسعود حتى أتى المقام فى الضحى،وقريش فى أنديتها حتى قام عند المقام ثم قرأ «بسم الله الرحمن الرحيم» — رافعاً بها صوته «(١) الرحمن. علم القرآن» قال : ثم استقبلها يقرؤها قال : فتأملوه . فجعلوا يقولون . ماذا قال ابن أم عبد ؟ قال : ثم قالوا : إنه ليتلو بعض ما جاء به محمد ، فقاموا إليه ، فجعلوا يضربون فى وجهه . وجعل يقرأ حتى بلغ منها ما شاء الله أن يبلغ ، ثم انصرف إلى أصحابه . وقد أثروا فى وجهه ، فقالوا له : هذا الذى خشينا عليك ، فقال : ما كان أعداء الله أهون على منهم الآن ، ولئن شئتم لأغادينهم بمثلها غدا . قالوا : لا ، قد أسمعتهم ما يكرهون .

وقد تعهد الرسول صلى الله عليه وسلم عبدالله بالدرس القرآنى . فقد روى عنه قوله(٢) : لقد أقرأنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثا وسبعين سورة ...

---

١ — سورة الرحمن : آية ١ ، ٢ .

٢ — القسطلانى : إرشاد السارى إلى شرح صحيح البخارى ج ٧ ص ٥١٩ .

— أحمد بن حنبل : المسند ج ٥ ص ٣٢٥ ط . دار المعارف سنة ١٩٤٨ .

وانظر الحديث رقم ٣٦٩٧ ص ٢٥٨ ، ص ٢٥٩ .

وقيل «بضعة وسبعين سورة» .

راجع — ابن الجزرى : غاية النهاية فى طبقات القراء ج ١ ص ٤٥٨ .

— ابن سعد : الطبقات الكبرى ج ٢ ص ٣٤٤ ط بيروت سنة ١٩٥٧ .

— صحيح البخارى : باب القراء من أصحاب النبى ج ٦ ص ٢٢٩ .

— مسلم : الجامع الصحيح بشرح النووى ج ٦ ص ١٦ .

وقيل «سبعين سورة» .

راجع — ابن حجر العسقلانى : تهذيب التهذيب ص الطبعة الأولى سنة ١٣٦٩ .

— ابن عبد البر : الاستيعاب فى معرفة الأصحاب ج ٣ ص ٣٩٣ .

— ابن الجوزى : صفوة الصفوة ص ١٥٥ .

— الذهبى : معرفة القراء الكبار ج ١ ص ٣٤ .

— ابن سعد : الطبقات الكبرى ج ٣ ص ١٥١ ط . بيروت .

أبو نعيم : حلية الأولياء : ج ١ ص ١٢٥ ط . السعادة سنة ١٩٢٣ م .

و (١) بضعا وتسعين سورة — من فمه إلى فمي .

وإذا كانت هذه الرواية لم تخصص لنا هذه السور فإن روايات أخرى قد حددت سورا(٢) صح أن عبد الله قد تلقاها من الرسول صلى الله عليه وسلم مباشرة ، وأخذها عنه . قال عبد الله(٣) : «إنا قد سمعنا القراءة ، وإني لأحفظ القرناء التي كان يقرأ بهن النبي صلى الله عليه وسلم ثماني عشرة سورة من المفصل ، وسورتين من آل حم» وأخرج البخاري(٤) عن عبد الرحمن ابن يزيد قال : سمعت ابن مسعود يقول في بني إسرائيل والكهف ، ومريم ، والأنبياء «إنهن من العتاق الأول ، وهن من تلادي» ، يريد من قديم ما كسب وحفظ من القرآن كالمال التلاد .

وقد عرض عبد الله القرآن على الرسول صلى الله عليه وسلم ، ففي تفسير القرطبي (٥) أنه قرأ عليه من البقرة إلى قوله تعالى(٦) : «إن الله يحب التوابين ، ويحب المتطهرين» .

وروى البخاري(٧) وأحمد(٨) أنه قرأ عليه النساء حتى قوله : فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد ، وجئنا بك على هؤلاء شهيد ، قال عبد الله ،

---

١ — ابن سعد : الطبقات الكبرى جـ ٢ ص ٣٥٥ .

٢ — انظر ما ورد في شأن سورة المرسلات فيما سبق من البحث .

٣ — البخاري : الجامع الصحيح : جـ ٦ باب الترتيل في القراءة ص ٢٤٠ .
وانظر جـ ٦ ص ٢٢٩ .

٤ — البخاري : الجامع الصحيح : جـ ٦ باب تأليف القرآن ص ٢٢٨ .
— راجع : القرطبي : الجامع لأحكام القرآن جـ ٤٧ ص ٤٣٠٦ .

٥ — القرطبي : الجامع لأحكام القرآن جـ ١ ص ٥٨ .

٦ — سورة البقرة : آية ٢٢٢ .

٧ — البخاري : الجامع الصحيح جـ ٦ كتاب التفسير ص ٥٧ ، وباب قول المقرىء للقارىء حسبك ص ٢٤١ ، وباب البكاء عند قراءة القرآن ص ٢٤٣ ط . دار الشعب .

٨ — أحمد بن حنبل : المسند جـ ٥ ص ١٨٦ حديث رقم ٣٥٥١ .
— ابن ماجة : السنن جـ ٥ كتاب الزهد ص ١٤٠٣ .

قال لى النبى صلى الله عليه وسلم : اقرأ على ، قلت : أقرأ عليك وعليك أنزل قال : فإنى أحب أن أسمعه من غيرى ، فقرأت عليه سورة النساء حتى بلغت «فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد ، وجئنا بك على هؤلاء شهيدا» ، قال : أمسك ، فإذا عيناه تذرفان .

وروى مسلم(١) أنه قرأ عليه سورة يوسف ، وعن أبى وائل عن عبد الله ابن مسعود قال(٢) : هيت لك ، قال : وإنما نقرأها كما علمناها .

وحسبنا من ذلك أن نقول إن عبد الله بن مسعود قد أتيح له أن يتعلم القرآن وفق منهج لم يتح لغيره من الصحابة ، فمعيشته فى بيت النبوة وملازمته المستمرة للرسول صلى الله عليه وسلم قد ساعدته على أن يتلقى عنه هذا القدر من القرآن ، ويقرأ عليه ما يتيسر منه فيقف على أحكام القراءة وضوابطها .

لقد وضع الله شروطا لقراءة القرآن على كل مسلم أن يصحح قراءته عليها وفى مقدمة هذه الشروط(٣) .

ـ الطهـــارة .

ـ ابن قيم الجوزية : أعلام الموقعين عن رب العالمين جـ ٤ ص ١٤٣ .

ـ السيوطى : الدر المنثور فى التفسير بالمأثور جـ ٢ ص ١٦٣ .

١ ـ مسلم : صحيح مسلم بشرح النووى جـ ٦ ص ٨٧ المطبعة المصرية .

٢ ـ البخارى : الجامع الصحيح جـ ٦ كتاب التفسير ص ٩٦ .

٣ ـ قسم طاش كبرى زاده آداب التلاوة إلى قسمين :

الآداب الظاهرة : الأول : فى حال القارىء وهو أن يكون على وضوء . الثانى : فى المقدار . الثالث : فى القسمة . الرابع : الكتابة ، الخامس : البكاء ، السادس : الترتيل . السابع : رعاية حق الآيات ، الثامن : أن يتعوذ قبل القراءة ، التاسع : إسماع النفس ، العاشر : تحسين القراءة من غير تمطيط بغير النظم. الآداب الباطنة . الأول : فهم عظمة الكلام وعلوه ، الثانى : تعظيم المتكلم ، الثالث : حضور القلب وترك حديث النفس ، الرابع : التدبر ، الخامس : التفهم ، السادس : التخلى عن موانع الفهم ، السابع : التخصص ، الثامن : التأثر بآثار مختلفة بحسب اختلاف الآيات . التاسع : الترقى إلى أن يسمع الكلام من الله عز وجل ؛ العاشر : التبرى من حوله وقوته .

مفتاح السعادة ومصباح السيادة فى موضوعات العلوم جـ ٣ ص ١٠٥ ـ ١١٢ .

قال تعالى(١) : «إنه لقرآن كريم فى كتاب مكنون . لا يمسه إلا المطهرون» من الجنابة والحدث .

ـ التعوذ فى بداية القراءة .

قال تعالى(٢) : «فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم» وهذا أمر من الله تعالى لعباده على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم إذا أرادوا قراءة القرآن أن يستعيذوا بالله من الشيطان الرجيم ، وهذا(٣) أمر ندب ليس بواجب ، حكى الإجماع على ذلك أبو جعفر بن جرير الطبرى وغيره من الأئمة .

ـ الترتيـــل .

والمقصود به أن تأخذ الحروف حقها فى النطق .

قال تعالى(٤) : «ورتل القرآن ترتيلا» والقراءة على مهل تكون عونا على فهم القرآن وتدبره ، وكذلك كان يقرأ الرسول صلى الله عليه وسلم . قالت عائشة(٥) : كان يقرأ السورة فيرتلها حتى تكون أطول من أطول منها . وفى صحيح البخارى عن أنس أنه سئل عن قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : كانت مدا ، ثم قرأ «بسم الله الرحمن الرحيم» يمد بسم الله ، ويمد الرحمن ، ويمد الرحيم .

---

١ ــ سورة الواقعة : اية ٧٩

٢ ــ سورة النحل اية ٩٨

٣ ــ الصابونى : مختصر تفسير ابن كثير جـ٢ ص٣٤٦

٤ ــ سورة المزمل : اية ٤

٥ ــ الصابونى : مختصر تفسير ابن كثير جـ ٣ ص ٥٦٣

ـ فهم المقروء ، والتمعن فيه ، وتدبره .

قال تعالى : كتاب(١) أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته ، وليتذكر أولو الألباب» .

والقصد ألا يكتفى المسلم بقراءة القرآن ، وحفظ سوره ، وإنما يجب عليه أن يفيد منه فى حياته ، فيتخلق به ، ويعمل بموجبه .

قال الحسن البصرى(٢) : «والله ما تدبره بحفظ حروفه وإضاعة حدوده حتى إن أحدهم ليقول : قرأت القرآن كله ما يرى له القرآن فى خلق ولا عمل» .

ـ الاستماع والإنصات عند سماع القراءة حتى يعى المرء ما يسمع .

قال تعالى(٣) : «وإذا قرىء القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون»

وقد أمر(٤) الله تعالى بالإنصات عند تلاوة القرآن إعظاماً له واحتراماً، لا كما كان يعتمده كفار قريش المشركون فى قولهم(٥) : «لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه» .

ولقد تعلم عبد الله من الرسول صلى الله عليه وسلم أصول التلاوة ، فأجاد ضبطها ، وأتم أحكامها . وقد حسن(٦) الرسول صلى الله عليه وسلم قراءته ،

---

١ ـ سورة ص : آية ٢٩ .
٢ ـ الصابونى : مختصر تفسير ابن كثير جـ ٣ ص ٢٠٢ طبعة دار القرآن الكريم ـ بيروت سنة ١٩٨١ .
٣ ـ سورة الأعراف : آية٢٠٤ .
٤ ـ الصابونى : مختصرة تفسير ابن كثير جـ ٢ ص ٧٩ .
٥ ـ سورة فصلت : آية ٢٦ .
٦ ـ صحيح مسلم بشرح النووى جـ ٦ ص ٨٧ المطبعة المصرية .

وكان (١)يشتهى أن يسمع القرآن منه ، ووصفه أنه يقرأ القرآن غضا كما أنزل ، فني حديث عمر بن الخطاب أنه قال(٢) : كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فمررنا بعبد الله بن مسعود ، وهو يصلى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من هذا الذى يقرأ القرآن » فقيل له : هذا عبد الله بن أم عبد، فقال : إن عبد الله يقرأ القرآن غضا كما أنزل» . وقيل فى معنى قوله «غضا كما أنزل » أى(٣) أنه كان يقرأ الحرف الأول ، وعن أبى ظبيان قال ، قال لى عبد الله بن عباس : أى القراءتين تقرأ ؟ قلت : القراءة الأولى قراءة ابن أم عبد ، فقال لى : بل هى الآخرة .

---

١ – أحمد بن حنبل : المسند جـ ٥ ص ١٨٥ ، ١٨٦ ، ١٨٧ .
٢ – القرطبى : الجامع لأحكام القرآن جـ ١ ص ٥٧ .
– البخاري : خلق أفعال العباد : رسالة نشرت ضمن كتاب عقائد السلف ص ١٥٩ ، ص ٢٠٣ ط . ١٩٧١ .
– الباقلانى : الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به ص ٨٤ .
– الذهبى : معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار جـ ١ ص ٣٥ .
– أبو نعيم : حلية الأولياء جـ ١ ص ١٢٤ .
راجع روايات أخرى للحديث .
– من أحب أن يقرأ القرآن غضا كما أنزل فليقرأ قراءة ابن أم عبد .
ابن الجزرى : غاية النهاية فى طبقات القراءة جـ ١ ص ٤٥٩ .
– من أحب أن يسمع القرآن غضا فليسمعه من ابن أم عبد» .
ابن عبد البر : الاستيعاب فى معرفة الأصحاب جـ ٣ ص ٩٨٩ مطبعة نهضة مصر .
– وفى رواية «من سره أن يقرأ القرآن رطبا» ...
أبو نعيم : حلية الأولياء جـ ١ ص ١٢٤ .
أبو داود السجستانى : المصاحف ص ١٣٧ طبع القاهرة سنة ١٩٣٧ .
٣ – القرطبى : الجامع لأحكام القرآن جـ ١ ص ٥٧ .
– السيوطى : الدر المنثور فى التفسير بالمأثور جـ ١ ص ١٠٦ .
– البخارى : خلق أفعال العباد ص ١٧٩ .

وقال الحسين بن على الجعفى(١) : «معناه أنه ليس يريد به حرفه الذى يخالف المصحف ، إنما أراد ترتيله» .

وقال مكى أبو طالب(٢) : لا ينكر أن يكون صلى الله عليه وسلم أراد حرفه الذى كان يقرأ به . ونحن نقرأ بذلك من قراءته ، ونتولى ذلك ونرويه ، ونرغب اليوم فيه ، ما لم تخالف قراءته المصحف ، فإن خالفت المصحف لم نكذب بها ، ولم نقرأ بها ، لأنها خارجة عن الإجماع ، منقولة بخبر الآحاد ، والإجماع أولى من خبر الآحاد ، ولأننا لا نقطع أنها قراءة ابن مسعود على الحقيقة ، إذ لم يصححها إجماع ، ولذلك قال مالك وغيره : القراءة التى تنسب إلى ابن مسعود ، فقال : «تنسب إليه» ولم يقل «قراءة ابن مسعود» والشىء قد ينسب إلى الإنسان وهو غير صحيح عنه .

كذلك تعلم عبد الله كيف يبدأ التلاوة، فقد روى عنه قوله(٣) : قرأت على رسول الله (ص) فقلت أعوذ بالسميع العليم من الشيطان الرجيم فقال لى : «يا ابن أم عبد . قل : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، هكذا أقرأنيه جبريل عليه السلام عن القلم عن اللوح المحفوظ(٤) . وكان النبى صلى الله عليه وسلم يصحح له قراءته ، عن الأسود بن يزيد عن عبد الله قال : قرأت على النبى (ص) : فهل من مذكر ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم(٥) : فهل من مدكر.

---

١ — راجع : مكى أبو طالب : الإبانة عن معانى القراءات ص ٧٢ .
٢ — المصدر نفسه ص ٧٣ .
٣ — الزمخشرى : الكشاف جـ ٢ ص ٦٣٤ نشر دار الكتاب العربى بيروت .
— القرطبى : الجامع لأحكام القرآن جـ ١ ص ٨٧ .
٤ — السيوطى : الدر المنثور فى التفسير بالمأثور جـ ٦ ص ١٣٥ .
٥ — سورة القمر : آية ٢٢ .

وقد علم الصحابة أن عبد الله أقرؤهم(١) لكتاب الله ، فقدروا له تلقيه من الرسول صلى الله عليه وسلم ، وشهدوا له بتجويده وتحقيقه ، وشدهم إليه أنه كان يرتله بصوت حسن . قال أبو عثمان النهدى(٢) : «صلى بنا ابن مسعود المغرب بقل هو الله أحد ، ولوددت أنه قرأ بسورة البقرة من حسن صوته وترتيله . وقال علقمة(٣) : بت مع عبد الله فى داره ، فنام ، ثم قام ، فكان يقرأ قراءة الرجل فى مسجد حيه ، لا يرفع صوته . ويسمع من حوله .

وكان عبد الله لا يدع آية يتلوها الرسول عليه ، وفيها شىء لا يعرفه إلا ويسأل عنه ، من ذلك أن الرسول صلى الله عليه وسلم تلا قوله تعالى(٤) : «أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه ، فقال له عبد الله (٥) يا رسول الله كيف انشراح صدره ، قال : إذا دخل النور القلب انشرح وانفسح ، قال عبد الله : يا رسول الله . فما علامة ذلك ، قال : الإنابة إلى دار الخلود ، والتجافى عن دار الغرور ، والتأهب للموت قبل نزول الموت»

وحسبنا مما ذكرنا أننا تتبعنا خطوات درسه القرآنى ، ووقفنا على خطته فى تعلمه ، أما أن يفهم من هذا التخصيص فى الإقراء والقراءة أو التلقى

---

١ — ابن الجزرى : غاية النهاية فى طبقات القراء جـ ١ ص ٤٥٩ .
— الذهبى : معرفة القراء الكبار جـ ١ ص ٣٥ .
٢ — ابن الجزرى : غاية النهاية فى طبقات القراء جـ ١ ص ٤٥٩ .
٣ — ابن الجزرى : غاية النهاية فى طبقات القراء جـ ١ ص ٤٥٩ .
راجع حديث البراء عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : «زينوا القرآن بأصواتكم» ، وعنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : «حسنوا القرآن بأصواتكم فإن الصوت الحسن يزيد القرآن حسنا» .
الدارمى : سنن الدارمى نسخة مصورة ، نشر دار إحياء السنة النبويه .
٤ — سورة الزمر : آية ٢٢ .
٥ — السيوطى : الدر المنثور فى التفسير بالمأثور جـ ٥ ص ٣٢٥ .

والعرض أن عبد الله بن مسعود لم يتعلم القرآن كله ، ولم يجمعه(١) فى حياة الرسول ، وأن علمه به قد وقف عند هذا الحد فهذا أمر مردود ومرفوض .

فقول عبد الله إنه أخذ هذا العدد من السور من فى رسول الله دون أن ينازعه فيه أحد عد من مناقبه، ثم إنه ورد فى معرض تمسكه بقراءته ، وعدم رغبته فى أن يتركها، لكن ما بقى من القرآن ، فربما شاركه غيره فى تلقيه ، أو أنه تعلمه من غير رسول الله فى عهده . وقد ورد ذكر لذلك فيما أورده القرطبى من أن عبد الله قد تعلم(٢) قدرا من القرآن من مجمع بن جارية الأنصارى.

هذا وقد تظاهرت الروايات بأن عبد الله بن مسعود قد علم القرآن كله ، ووقف عليه سورة سورة ، وآية آية .

قال عبد الله بن عباس(٣) : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعرض القرآن على جبريل فى كل عام مرة ، فلما كان العام الذى قبض فيه رسول

---

١ - راجع قول مكى بن أبى طالب القيسى : «ولم يختلف فى أن ابن مسعود لم يكن على عهد النبى صلى الله عليه وسلم جمع القرآن كله» .
- ثم راجع قوله : «أما ما بقى «على عبد الله» من القرآن فيجوز أن يكون قرأه بعد موت النبى صلى الله عليه وسلم على من قرأ على النبى ، فأسنده إلى النبى .
- «ويجوز أن يكون قرأه على النبى تلقينا ، ولم يكمل له إتقان حفظه إلا بعد موت النبى صلى الله عليه وسلم» . الإبانة عن معانى القراءات ص ٧١ ، ٧٧ .

٢ - القرطبى : الجامع لأحكام القرآن جـ ١ ص ٥٨ .

٣ - القرطبى : الجامع لأحكام القرآن جـ ١ ص ٥٧ .
- راجع البخارى : خلق أفعال العباد : رسالة نشرت ضمن كتاب عقائد السلف ص ١٧٩
- وانظر : قول ابن الجزرى : إن عبد الله بن مسعود عرض القرآن على الرسول صلى الله عليه وسلم . غاية النهاية فى طبقات القراء جـ ١ ص ٤٥٨
: وما أورده السيوطى فى هذا الصدد : الدر المنثور فى التفسير بالمأثور جـ ١ ص ١٠٦ .

الله صلى الله عليه وسلم عرضه عليه مرتين ، فحضر ذلك عبد الله ، فعلم ما نسخ من ذلك وما بدل ، وتأكد ذلك فى قول عبد الله نفسه(١) : لقد كنت أعلم أنه يعرض عليه القرآن فى كل رمضان، حتى كان عام قبض ، فعرض عليه مرتين ، فكان إذا فرغ أقرأ عليه فيخبرنى أنى محسن .

ثم إن هناك ما يقطع بأن عبد الله قد أتم أخذ القرآن فى عهد النبوة ، فلقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم من طرق عدة أنه قال : استقرئوا (٢) القرآن من أربعة : «من عبد الله بن مسعود ، وسالم مولى أبى حذيفة ، وأبى ابن كعب ، ومعاذ بن جبل» ، وفى رواية : خذوا(٣) القرآن من أربعة من عبد الله بن مسعود ، فبدأ به ، ولم يكن ذلك إلا لأن هؤلاء الأربعة قد(٤) باينوا غيرهم من الصحابة فى جودة القراءة ، وصحتها والعلم بها .

وقد ذكر النووى(٥) أن السبب أن هؤلاء كانوا أكثر ضبطا لألفاظه ، وأتقن لأدائه ، أو لأن هؤلاء الأربعة تفرغوا لأخذه منه صلى الله عليه وسلم

---

١ — أبو شامة : المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز ص ٨٦ .
— أحمد بن حنبل : المسند جـ ٥ ص ٣٢٤ حديث رقم ٣٨٤٥ .
٢ — البخارى : الجامع الصحيح جـ ٥ باب مناقب عبد الله بن مسعود ص ٣٤ ، ٣٥ .
: وانظر جـ ٦ باب القراء من أصحاب الرسول ص ٢٢٩ ط . الشعب .
— القرطبى : الجامع لأحكام القرآن جـ ١ ص ٥٨ .
— ابن قيم الجوزية : أعلام الموقعين عن رب العالمين جـ ١ ص ١٧ .
٣ — البخارى : الجامع الصحيح جـ ٥ باب مناقب أبى بن كعب ص ٤٥ .
— ابن سعد : الطبقات الكبرى جـ ٢ ص ٣٥٢ .
— ابن عبد البر : الاستيعاب فى معرفة الأصحاب جـ ١ ص ٩٨٩ .
— ابن حجر العسقلانى : الإصابة فى تمييز الصحابة جـ ٤ ص ٢٣٤ ط . دار الثقافة العربية
— الشوكانى : نيل الأوطار جـ ٢ ص ٢٣٧ المطبعة العثمانية سنة ١٣٥٧ هـ .
٤ — الباقلانى : الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به ص ٨٣ .
٥ — شرح النووى على صحيح مسلم جـ ١٦ باب فضائل عبد الله بن مسعود ص ١٧ .

مشافهة ، وغيرهم اقتصروا على أخذ بعضهم من بعض ، أو لأن هؤلاء تفرغوا لأن يؤخذ عنهم ، أو أنه صلى الله عليه وسلم أراد الإعلام بما يكون بعد وفاته صلى الله عليه وسلم من تقدم هؤلاء الأربعة وتمكنهم ، وأنهم أقعد من غيرهم فى ذلك فليؤخذ عنهم .

ولم يكن الرسول صلى الله عليه وسلم ليطلب من الصحابة أن يقصدوا عبد الله إذا طلبوا القرآن لو أنه قصر فى شيء منه ، أو فاته بعضه ، فما بالك والأدلة قد تضافرت لتؤكد أنه لم يكن هناك من ينازعه السبق فى العلم به ، ومعرفة أسباب النزول ومواضعه لكل آية من آياته ، بل إن الصحابة قد شهدوا له بذلك ، ولم ينكر عليه أحد منهم أنه أعلمهم بكتاب الله . . .

روى البخارى عن شقيق بن سلمة ، قال(1) : خطبنا عبد الله فقال : والله لقد علم أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم أنى من أعلمهم بكتاب الله ، وما أنا بخيرهم ، قال شقيق : فجلست فى الحلق أسمع ما يقولون ، فما سمعت ردا يقول غير ذلك .

وأخرج ابن الأنبارى عن ابن مسعود قال(2) : لو أعلم أحدا أحدث بالعرضة الأخيرة منى لرحلت إليه .

---

1 - البخارى : الجامع الصحيح جـ ٦ باب القراء من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم (ص ٢٢٩ ط . الشعب .

- ابن عبد البر : الاستيعاب فى معرفة الأصحاب جـ ٣ ص ٩٩١ .
- ابن قيم الجوزية : أعلام الموقعين عن رب العالمين جـ ١ ص ١٧ .
- ابن حزم : الإحكام فى أصول الأحكام جـ ٥ ص ٧٩٥ .

2 - السيوطى : الدر المنثور فى التفسير بالمأثور جـ ١ ص ١٠٦ .

وعن مسروق قال ، قال عبد الله(١) : «والله الذى لا إله غيره ، ما أنزلت سورة من كتاب الله ، إلا أنا أعلم أين أنزلت ، ولا أنزلت آية من كتاب الله إلا أنا أعلم فيما أنزلت ، ولو أعلم أحدا أعلم منى بكتاب الله تبلغه الإبل لركبت إليه .

وقال أبو مسعود البدرى(٢) وقد قام عبد الله بن مسعود : ما أعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ترك بعده أعلم بما أنزل الله من هذا القائم ، فقال أبو موسى : لقد كان يشهد إذا ما غبنا ، ويؤذن له إذا ما حجبنا .

وقال عبد الله بن بريدة فى قوله تعالى(٣) : حتى إذا خرجوا من عندك قالوا للذين أوتوا العلم ماذا قال آنفا» قال(٤) : هو عبد الله بن مسعود .

ولا يمنعنا هذا من أن ننظر فى أقوال من يعارضون هذا الرأى ، ويذهب بهم الظن إلى أن عبد الله لم يتم ختم القرآن فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم .

---

١ — البخارى : الصحيح جـ ٦ باب القراء من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ص ٢٣٠ ط الشعب .
— ابن سعد : الطبقات الكبرى جـ ٢ ص ٣٤٤ ط . بيروت .
— الطبرى : جامع البيان عن تأويل آى القرآن جـ ١ ص ٨٠ ط . دار المعارف .
— ابن الجزرى : غاية النهاية فى طبقات القراء جـ ١ ص ٤٥٩ .
— القرطبى : الجامع لأحكام القرآن جـ ١ ص ٣٥ .
— النووى : تهذيب الأسماء واللغات جـ ١ ص ٢٠٩ .
— أحمد بن حنبل : المسند جـ ٥ ص ٣٢٤ حديث رقم ٣٨٤٥ .
٢ — صحيح مسلم بشرح النووى : جـ ١٦ : باب فضائل عبد الله بن مسعود ص ١٥ .
— ابن قيم الجوزية : أعلام الموقعين عن رب العالمين جـ ١ ص ١٧ ، جـ ٢ ص ٢٣٨ .
٣ — سورة محمد : آية ١٦ .
٤ — ابن قيم الجوزية : أعلام الموقعين عن رب العالمين جـ ١ ص ١٧ .

قال أبو إسحق(١) : سألت الأسود ما كان عبد الله يصنع بسورة الأعراف ؟ فقال : ما كان يحلها حتى قدم الكوفة ، قال : وقد قال بعض أهل العلم : مات عبد الله بن مسعود قبل أن يتعلم المعوذتين . فلهذه العلة لم توجدا فى مصحفه ، بل(٢) إنه جحدهما .

وأخرج أبو نعيم فى الحلية عن معدى كرب قال(٣) : أتينا عبد الله بن مسعود نسأله عن طسم الشعراء ، قال : ليست معى ، ولكن عليكم بمن أخذهامن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عليكم بأبى عبدالله خباب بن الأرت .

وهذه الأقوال ليست بصحيحة ، ويكفى فى التدليل على ذلك ما ذكرناه من أن الرسول صلى الله عليه وسلم بدأ بعبد الله حين أراد أن يبين المتميزين من الصحابة فى العلم بالقرآن ، وصحة قراءته ليتسنى للمسلمين أن يأخذوه عنهم . ولم نجد الرسول صلى الله عليه وسلم قد استثنى من القرآن سورة ما طالت أم قصرت . وذكر أبو بكر الأنبارى(٤) . أن حديث محمد بن كعب القرظى الذى عد عبد الله بن مسعود ممن ختموا القرآن ورسول الله حى مقصور على محمد بن كعب ، فهو مقطوع لا يؤخذ به ، ولا يعول عليه . لكن يدل على صحة الحديث قوله عليه السلام : خذوا القرآن من أربعة من ابن أم عبد. كذلك أسند(٥) عاصم قراءته إلى على وابن مسعود ، وهما قد قرآ على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يستثن من جملة القرآن شيئا .

---

١ — القرطبى : الجامع لأحكام القرآن جـ ١ ص ٥٨ .
٢ — أسند ابن قتيبة هذا الرأى إلى النظام ، وتولى الرد عليه .
انظر تأويل مختلف الحديث ص ١٨ — ٢١ .
٣ — السيوطى : الدر المنثور فى التفسير بالمأثور جـ ٥ ص ٨٢ ، ص ١١٩ .
٤ — القرطبى : الجامع لأحكام القرآن جـ ١ ص ٥٨ .
٥ — القرطبى : الجامع لأحكام القرآن جـ ١ ص ٥٨ .

وقد أقبل عبد الله على حفظ القرآن ، وأعانته على ذلك ذاكرة قوية ، فأتم حفظه(١)على عهد الرسول(٢) صلى الله عليه وسلم ،وعرف بهذا الفضل، وتلك المنقبة .

قال علقمة(٣) : جاء رجل إلى عمر وهو بعرفات ، فقال : جئتك من الكوفة ، وتركت بها رجلا يحكى المصحف عن ظهر قلب ، فغضب عمر غضبا شديدا ، وقال : ويحك، ومن هو ؟، قال : عبد الله بن مسعود ، قال: فذهب عنه ذلك الغضب ، وسكن ، وعاد إلى حاله ، وقال : والله ما أعلم من الناس أحدا هو أحق بذلك منه ، وقال الزركشي(٤) : إن جمع عبد الله ابن مسعود القرآن أمر لا نشك فيه ، والدلائل على ذلك متظاهرة .

وقد نبه عبد الله أن حفظ القرآن لم يقف عند حد اختزانه واستظهاره، وإنما تجاوز ذلك إلى الإفادة منه ، والعمل به ، فتحلى بآدابه ، وتخلى عن نواهيه ، قال(٥) : كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى

---

١ – ابن الجزرى : غاية النهاية فى طبقات القراء جـ ١ ص ٤٣٢ ، ٤٥٨ .
– القسطلانى : إرشاد السارى إلى شرح صحيح البخارى جـ ٧ ص ٥٠٩ .
٢ – الذهبى : معرفة القراء الكبار جـ ١ ص ٣٤ .
٣ – ابن عبد البر : الاستيعاب فى معرفة الأصحاب جـ ٣ ص ٩٨٩ .
– أبو نعيم الأصبهانى : حلية الأولياء وطبقات الأصفياء جـ ١ ص ١٢٤ .
٤ – الزركشى : البرهان فى علوم القرآن جـ ١ ص ٢٣٩ ، ٢٤٣ .
٥ – الطبرى : جامع البيان عن تأويل اى القران جـ١ ص ٨٠ .
– السيوطى : الدر المنثور فى التفسير بالمأثور جـ ١ ص ٣٤٩ .
– ابن الجزرى : غاية النهاية فى طبقات القراء جـ ١ ص ٤٥٨ .
– ابن تيمية : مجموعة الرسائل والمسائل جـ ١ ص ١٨٨ .
– القرطبى : الجامع لأحكام القرآن جـ ١ ص ٣٩ .

يعرف معانيهن ، والعمل بهن ، وقال(١) : ما كنا نتجاوز عشر آيات حتى نعرف حكمها ونهيها .

ولم يقف عبد الله بجهده عند حد قراءة القرآن وإقرائه ، وحفظه والعمل به ، وإنما حاز الأدوات التى تعين على الوقوف على معانيه ، فعرف أسباب النزول ، وأماكنه ، وكان يقول(٢) : سلونى عن كتاب الله ، فوالله ما من آية إلا أنا أعلم أبليل نزلت أم بنهار ، فى سهل نزلت أم فى جبل» . وكان لهذه المعرفة أثرها فى الوقوف على مقاصد الآيات ومعانيها» فإن(٣) العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب .

ومن الشواهد على ذلك ما نجده فى قوله(٤) : لما صرف نبى الله صلى الله عليه وسلم نحو الكعبة بعد صلاته إلى بيت المقدس ، قال المشركون من أهل مكة : تحير على محمد دينه ، فتوجه بقبلته إليكم ، وعلم أنكم كنتم أهدى منه سبيلا ، ويوشك أن يدخل فى دينكم ، فأنزل الله جل ثناؤه(٥) «لئلا يكون للناس عليكم حجة إلا الذين ظلموا منهم فلا تخشوهم واخشونى» .

وعن شيبان عن عاصم عن زر عن ابن مسعود قال(٦) : أخر رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة صلاة العشاء ، ثم خرج إلى المسجد ، فإذا الناس

---

١ - الصنعانى : سبل السلام جـ ٢ ص ٤٧ .
٢ - القرطبى : الجامع لأحكام القرآن جـ ١ ص ٣٥ .
٣ - السيوطى : أسباب النزول ص ٥ .
٤ - الطبرى : جامع البيان فى تفسير القرآن جـ ٣ ص ٢٠٣ .
٥ - سورة البقرة : آية ١٥٠ .
. انظر شواهد أخرى لما روى عن عبد الله بن مسعود فى أسباب النزول .
السيوطى : أسباب النزول ص ١٠ ، ٨٠ ، ٩١ ، ١٠٣ ، ١٠٩ ، ١١٢ ، ١١٩ ، ١٣٤ ، ١٥١ طبع القاهرة سنة ١٣٨٢ هـ .
٦ - النيسابورى : أسباب النزول ص ٧٩ ، ص ١٦٠ ، ص ١٧٢ ، ص ١٧٨ ، ص ١٨٠ دار الاتحاد العربى للطباعة .

ينتظرون الصلاة فقال : إنه ليس من أهل الأديان أحد يذكر الله فى هذه الساعة غيركم ، قال : فأنزلت هذه الآيات ـ ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون ... ... إلى قوله : والله عليم بالمتقين .

ويمكننا أن نرد كثيرا من مرويات عبد الله إلى أصولها القرآنية ، فحين تقرأ قوله(١) «كذب النسابون» يتبادر إلى ذهنك قول الله تعالى(٢) «ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله»

وأنت تجده فى قوله(٣) «العسل شفاء من كل داء ، والقرآن شفاء لما فى الصدور» متأثرا بقوله تعالى(٤) «فيه شفاء للناس» .

وفى قوله(٥) : «من أراد العلم فليثور القرآن فإن فيه علم الأولين والآخرين» تراه قد نظر إلى قوله تعالى (٦) : «ا لم ، ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين ، الذين يؤمنون بالغيب ......»

---

١ ـ الزمخشرى : الكشاف جـ ٢ ص ٥٤٢ .
٢ ـ سورة إبراهيم : آية ٩ .
٣ ـ الزمخشرى : الكشاف جـ ٢ ص ٦١٩ .
٤ ـ سورة النحل : آية ٦٩ .
٥ ـ الطوسى : اللمع تحقيق الدكتور عبد الحليم محمود مطبعة السعادة سنة ١٩٦٠ .
٦ ـ سورة البقره : اية ١، ٢، ٣

الفصل الثانى

السنة

يتمثل الرافد الثانى الذى أسهم فى تكوين ثقافة عبد الله بن مسعود فيما تعهده به النبي صلى الله عليه وسلم من تعليم الحديث والسنة على أفضل ما يطمح إليه الداعون إلى التربية الصحيحة ، والتعلم المثمر ، قال على : وقد سئل عنه(١) : علم القرآن والسنة، وكفى بذلك علماً .وقد عده ابن حزم من أصحاب المئين(٢) فذكر أن له ثمانمائة حديث وثمانية وأربعين حديثا ، وقد جمعت(٣) أحاديث عبد الله فى مسند أحمد .

وقد أتيح لعبد الله أن ينال كثيرا من الدرس الدينى ، وهو بمجلس إلى الرسول صلى الله عليه وسلم . قال(٤) : علمنى رسول الله التشهد كفى بين كفيه كما يعلمنى السورة من القرآن . وفى رواية(٥) : علمنا رسول الله (ص) إذا قعدنا فى الركعتين أن نقول «التحيات لله ... ... وذكر التشهد» ، وفى

---

١ — ابن سعد : الطبقات الكبرى جـ ٣ ص ٣٤٦ .
— ابن عبد البر : الاستيعاب فى معرفة الأصحاب جـ ٣ ص ٩٩١ .
— الشيرازى : طبقات الفقهاء ص ٤٣ .
٢ — ابن حزم : جوامع السيرة ، وخمس رسائل أخرى له :
الرسالة الثانية : أسماء الصحابة الرواة وما لكل واحد من العدد ص ٢٧٦ .
٣ — دائرة المعارف الإسلامية : مادة ابن مسعود جـ ١ ص ٢٧٥ .
٤ — صحيح مسلم بشرح النووى جـ ٤ ص ١١٨ ، جـ ٣ ص ٢٥٧ المطبعة المصرية .
— فتح البارى بشرح صحيح البخارى جـ ٣ ص ٥٦ .
— البخارى : الجامع الصحيح جـ ٨ كتاب الإستئذان ص ٧٣ ط . الشعب .
— أحمد بن حنبل : المسند حديث رقم ٣٧٣٨ .
— النووى : تهذيب الأسماء واللغات جـ ١ ص ٢٨٨ ط . بيروت .
٥ — الترمذى : سنن الترمذى جـ ٢ ص ٨١ .
— النيسابورى : معرفة علوم الحديث ص ٣٩ ، ٤٠ الطبعة الثانية سنة ١٩٧٧ .
— وانظر رواية أخرى عند أحمد بن حنبل : المسند : حديث رقم ٣٨٧٧ .

أخرى ، قال(١) : كنا نصلى خلف النبي (ص) فنقول السلام على الله . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : إن الله هو السلام ، ولكن قولوا : التحيات لله والصلوات والطيبات، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ، السلام علينا ، وعلى عباد الله الصالحين ، أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله» .

وقد تحرى(٢) الصنعانى لفظ التشهد ، وجزم بأنه ورد بلفظ «عبده ورسوله» فى جميع روايات الأمهات الست . وذكر أن ابن الأثير وهم فى جامع الأصول فساق حديث ابن مسعود بلفظ : «وأن محمدا رسول الله» . ونسبه إلى الشيخين وغيرهما . وتبعه على وهمه صاحب تيسير الوصول، وتبعهما على الوهم الجلال فى ضوء النهار ، وزاد أنه لفظ البخارى .

وفى ضوء الأسس المنهجية التى وضعها المسلمون لنقد الخبر فإن حديث عبد الله فى التشهد قد رجح(٣) على غيره لأسباب عدة فطن إليها الأقدمون قال (٤) البزار : أصح حديث عندى فى التشهد حديث ابن مسعود، يروى عنه من نيف وعشرين طريقا ، ولا نعلم أنه روى عن النبي صلى الله عليه وسلم فى التشهد أثبت منه ، ولا أصح إسناداً ، ولا أثبت رجالا ، ولا أشد تظافرا بكثرة الأسانيد والطرق . .

---

١ — البخارى : الجامع الصحيح : كتاب التوحيد ج ٩ ص ١٤٢ .
— ابن ماجة : سنن ابن ماجة ج ١ ص ٢٩٠ .
— النسائى : سنن النسائى ج ٢ ص ٢٤٠ .
٢ — محمد بن اسماعيل الصنعانى : سبل السلام ج ١ ص ٣٦٩ .
٣ — مالك : الموطأ : ص ٦٨ الطبعة الأولى ١٩٦٧ .
٤ — محمد بن اسماعيل الصنعانى . سبل السلام ج ١ ص ٣٦٩ — ٣١٠ .

وقال مسلم : إنما أجمع الناس على تشهد ابن مسعود لأن أصحابه لايخالف بعضهم بعضا ، وغيره قد اختلف عنه أصحابه .

وقال محمد بن يحيي الذهلي : هو أصح ما روى في التشهد ، وقد روى حديث التشهد أربعة وعشرون صحابيا بألفاظ مختلفة . اختار الجماهير منها حديث ابن مسعود .

وقد ذكر القرطبي(١) أن الثورى والكوفيين ، وأكثر أهل الحديث اختاروا تشهد ابن مسعود . ثم أضاف أنه إذا كانت قد وردت نصوص أخرى من التشهد عن عمر وابن عباس تختلف في بعض كلمات منها ، فهذا كله اختلاف في مباح ليس شيء منه على الوجوب .

وقد علمه الرسول صلى الله عليه وسلم أن يقول بعد أن يفرغ من التشهد اللهم(٢) إنى أسألك من الخير ما علمت منه ، وما لم أعلم ، وأعوذ بك من الشر كله ما علمت منه ، وما لم أعلم ، اللهم إنى أسألك من خير ما سألك منه عبادك الصالحون . وأعوذ بك من شر ما استعاذك منه عبادك الصالحون. ربنا آتنا في الدنيا حسنة... الآية .

وقد علم الرسول عبد الله خطبة الحاجة ، وقدورد ذكرذلك في سنن(٣) النسائى ، وسنن ابن ماجة .

---

١ . القرطبي : الجامع لأحكام القرآن جـ ١ ص ٣٦٤ .

٢ .. محمد بن إسماعيل الصنعانى : سبل السلام جـ ١ ص ٣٧٠ .
وانظر دعاء آخر كان يعلمه الرسول لعبد الله ليدعو به بعد التشهد أيضا .
المرجع السابق ص ٣٧٧ .

٣ .. النسائى : السنن جـ٣ كتاب الجمعة ص ١٠٥ ، جـ ٦ باب النكاح ص ٨٩
. انظر حاشية السندى على سنن النسائى جـ٦ ص٨٩
.. ابن ماجة : السنن جـ١ ص ٦٠٩ ، ٦١٠

قال عبد الله(١) : علمنا خطبة الحاجة ، الحمد لله نستعينه، ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، ثم يقرأ ثلاث آيات(٢) : «يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون . يا أيها(٣) الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة ، وخلق منها زوجها ، وبث منهما رجالا كثيرا ونساء ، واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا . (٤) يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا .

وكان الوضوء مما تعلمه عبد الله من الرسول صلى الله عليه وسلم . قال علقمة(٥) ، قال لى عبد الله بن مسعود : قم فصب على حتى أريك وضوء النبى صلى الله عليه وسلم ، فإن النبى صلى الله عليه وسلم قال لى : قم فصب على حتى أريك وضوء جبرائيل عليه السلام .

---

١ — النسائى : السنن جـ ٣ كتاب الجمعة ص ١٠٥ ،
جـ ٦ باب النكاح ص ٨٩ .
وانظر حاشية السندى على سنن النسائى جـ ٦ ص ٨٩ .
— ابن ماجة : السنن جـ ١ ص ٦٠٩ ، ٦١٠ .
— وانظر السيوطى . الدر المنثور فى التفسير بالمأثور جـ ٢ ص ١١٧ فى تفسير قوله تعالى (وبث منهما رجالا) سورة النساء : آية ١ .
٢ — سورة آل عمران : آية ١٠٢ .
٣ — سورة النساء : آية ١ .
٤ — سورة الأحزاب : آية ٧٠ .
٥ — انظر بقية الحديث : النيسابورى : معرفة علوم الحديث ص ٣٩ ، ٤٠ الطبعة الثانية سنة ١٩٧٧ .
— راجع ما أورده البخارى فى صحيحه : كتاب الاستئذان جـ ٨ ص ٦٣ ، ص ٦٤ ط . الشعب .

كذلك تعلم عبد الله من النبي صلى الله عليه وسلم ما كان يفعله فى صلاته ، وما كان يقوله فيها . قال(١) : مر بى النبي صلى الله عليه وسلم وأنا واضع يدى اليسرى على اليمنى ، فأخذ بيدى اليمنى ، فوضعها على اليسرى . وقال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يكبر فى كل رفع ووضع ، وقيام وقعود، ويسلم عن يمينه وعن شماله ، السلام عليكم ورحمة الله ، السلام عليكم ورحمة الله ، حتى أرى بياض خده .

وكان عبد الله لا يحس بشىء حاك فى صدره إلا وسأل الرسول صلى الله عليه وسلم عنه ، ولم يكن(٢) يسأله عن شىء حتى يحدث إليه ، وقد وضحت رغبته فى التعلم منذ بدء إسلامه ، قال(٣) : سألت النبي صلى الله عليه وسلم : أى الذنب أعظم عند الله ، قال : أن تجعل لله ندا وهو خلقك ، قلت إن ذلك لعظيم ، قلت : ثم أى ، قال : ثم أن تقتل ولدك تخاف أن يطعم معك ، قلت : ثم أى ، قال : ثم أن تزانى بحليلة جارك ، فأنزل الله تصديقها(٤) : «والذين لا يدعون مع الله إله آخر ، ولا يقتلون النفس التى حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ، ومن يفعل ذلك يلق أثاما» ، وعنه أنه قال(٥) : سألت رسول

---

١ — ابن ماجة : السنن جـ ١ ص ٢٦٦ .
— النسائى : السنن جـ ٢ كتاب الافتتاح ص ١٢٦ .
— ابن قيم الجوزية : أعلام الموقعين عن رب العالمين جـ ٢ ص ٤٠١ .
— ابن حنبل : المسند : حديث ٣٧٣٦ .
٢ — ابن كثير : تفسير القرآن العظيم جـ ٢ ص ٦٨٩ ط بيروت سنة ١٩٦٦ .
٣ — البخارى : الجامع الصحيح : جـ ٩ كتاب التوحيد ص ١٨٦ ، ١٩٠ .
: جـ ٨ كتاب المحاربين من أهل الكفر والردة ص ٢٠٤ ط . الشعب .
٤ — سورة الفرقان : آية ٦٨ .
٥ — البخارى : الجامع الصحيح : جـ ٤ كتاب الوصايا ص ١٦ .
— أحمد بن حنبل : المسند جـ ٥ ص ٣٤١ حديث رقم ٣٨٩٠ .
— السيوطى : الدر المنثور فى التفسير بالمأثور جـ ٢ ص ٢٢٠ .

الله صلى الله عليه وسلم . قلت : يا رسول الله : أى العمل أفضل ؟ قال : الصلاة على ميقاتها ، قلت : ثم أى ؟ قال : ثم بر الوالدين . قلت : ثم أى ؟ قال : الجهاد فى سبيل الله ، فسكت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولو استزدت لزادنى .

وكان النبى صلى الله عليه وسلم من جانبه يستثير فيه الرغبة فى معرفة ما يود أن يعلمه له . سأله(١) مرة : كيف بك يا عبد الله إذا كان عليكم أمراء يضيعون السنة ويؤخرون الصلاة عن ميقاتها . قال : كيف تأمرنى يارسول الله ؟ قال : تسألنى ابن أم عبد ، كيف تفعل ؟ لا طاعة لمخلوق فى معصية الله عز وجل . وقال عبد الله(٢) : قال لى رسول الله «ص» يا عبد الله ابن مسعود ، قلت : لبيك يا رسول الله ، قال ، أتدرى أى الناس أفضل ؟ قلت : الله ورسوله أعلم ، قال : فإن أفضل الناس أفضلهم عملا إذا فقهوا فى دينهم ، قال : يا عبد الله ابن مسعود ، قلت : لبيك يا رسول الله . قال : أتدرى أى الناس أعلم ؟ قلت : الله ورسوله أعلم ، قال : أعلم النـــاس أبصرهم بالحق . إذا اختلف الناس ، وإن كان مقصرا فى العمل . وإن كان يزحف على إسته .

وقد وضح أثر الحديث فى فكر عبد الله وعقله . فكان يصدر عنـه فى كثير مما يسأل فيه ، قال(٣) عون بن عبد الله . سألت الأسود بن يزيد هل

---

١ — أحمد بن حنبل : المسند جـ ٥ ص ٢٤٠ حديث رقم ٣٨٨٩ .
٢ — ابن عبد البر : جامع بيان العلم وفضله جـ ٢ ص ٥٣ .
— السيوطى : الدر المنثور فى التفسير بالمأثور جـ ٦ ص ١٧٥ .
٣ — السيوطى : الدر المنثور فى التفسير بالمأثور جـ ٥ ص ٧٨ .

كان ابن مسعود يفضل عملا على عمل ، قال : نعم ، سألت ابن مسعود ، قال : سألتنى عما سألت عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت يا رسول الله أى الأعمال أحبها إلى الله ، وأقربها من الله ، قال : الصلاة لوقتها ... .الحديث .

الفصل الثالث

الدرس اللغوى

كان عبد الله بن مسعود يدرك عظم المسئولية التى يتحملها من يوقف نفسه على النص القرآنى ، ويتصدى لإقرائه وتعليمه ، ذلك لأن الخطأ فى قراءة النص الدينى بعامة ، والقرآن بخاصة أمر فاحش ومستهجن .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل لحن(١) : «أرشدوا أخاكم فإنه قد ضل» فسمى اللحن ضلالا . وقال عليه السلام : «رحم الله امرأ أصلح من لسانه» .

ولما كانت لهجات الكلام عند القبائل(٢) «لا تلتزم الإعراب على الصورة التى رويت لنا فى كتب النحاة ، وإنما التزم الإعراب على تلك الصورة فى اللغة الأدبية التى نزل بها القرآن ، ونظم بها الشعر» ، فقد أقبل عبد الله على التفقه فى اللغة مثلما أقبل على التفقه فى الدين ، وعكف على الشعر يقرأه ليزداد بصرا بطرائق العرب فى أسلوبهم ، ومناحيهم فى اللغة ، يقول ابن سعد(٣) : «كان ابن مسعود يعنى بالعربية والشعر ، وقد كان يسأل فى ذلك زر بن حبيش ، وكان أعرب الناس» .

وفى وسعنا أن نقف على أبعاد الدرس اللغوى لعبد الله بن مسعود ، ولن نجد صعوبة فى رد عناصره إلى أصولها . ويمكن أن نعد منها لغة هذيل ، ولغة

---

١ - ابن جنى : الخصائص جـ ٣ ص ٢٤٦ دار الهدى للطباعة والنشر بيروت الطبعة الثانية . حدث بهذا الحديث عمر رضى الله عنه ، وكان مر على قوم يسيئون الرمى فقرعهم فقالوا : إنا قوم متعلمين ، فأعرض عنهم ، وقال : والله لخطؤكم فى لسانكم أشد على من خطئكم فى رميكم ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : فذكر الحديث . انظر هامش الخصائص جـ ٣ ص ٢٤٦ .

٢ - إبراهيم أنيس : فى اللهجات العربية ص ٨٤ .

٣ - ابن سعد : الطبقات الكبرى جـ ٦ ص ٧١ .

.. ابن قتيبة : المعارف ص٤٢٧

الحجاز ، ثم اللغة المشتركة ، ومع أنها تختلط فيما بينها إلا أننا نستطيع أن نتبين ملامح كل منها فى ثقافته :

أولا : لغة هذيل (١) :

لا يمكننا أن نحيط بما كانت عليه هذيل حين تنطق لغتها ، كما لا يمكننا القطع بخصائصها فيما كانت تتكلم به ، فالميراث الثقافى لها شأنها فى ذلك شأن سائر القبائل العربية قد وصلنا مدونا ، وبذلك يصعب الاستدلال منه على الطريقة التى كان يؤدى بها ، ولو أن امكانات العصر ساعدت على نقل اللغة مسموعة ، وسجلتها منطوقة بأصوات أصحابها لأدى ذلك إلى معرفة نظامهم فيها وأدائهم لها ، وعندئذ كانت تتحدد خصائصها وسماتها ، وحيث أن ذلك لم يكن ، فليس أمامنا من سبيل إلى تبين لغة هذيل ، ورصد مستوياتها إلا بالتنقير عن الظواهر التى تميزها فى شعر الهذليين بعامة ، وفيما تضمنته كتب اللغة ومعاجمها ؛ وعلينا بعد ذلك أن نتتبعها فى قراءة عبد الله .

والواقع أن هذيلا كانت ضمن القبائل التى نزل القرآن بلغاتها لما عرفت به من صفاء اللغة ، وفصاحة اللسان ، وسلامة النطق .

فقد ورد فى معنى(٢) الأحرف السبعة التى نزل بها القرآن أن المقصود سبع لغات من لغات العرب هى أرقاها إذ كان(٣) معلوما أن ألسنتها ولغاتها

---

١ — كان القدماء يعبرون عما نسميه الآن باللهجة بكلمة «اللغة» حينا ، و «باللحن» حينا آخر انظر دكتور إبراهيم أنيس ، فى اللهجات العربية ص ١٦ المطبعة الفنية الحديثة سنة ١٩٧٣

٢ — راجع بحثا وافيا فى الأحرف السبعة فى كتابنا الاتجاهات الفكرية فى التفسير . ص ٢٨ — ٤٦ .

٣ — الطبرى : جامع البيان عن تأويل آى القرآن جـ ١ ص ٤٦ ، ٤٧ .

أكثر من سبعة بما يعجز عن إحصائه ، وتجمع المصادر المتاحة على اعتبار هذيل إحدى هذه القبائل السبع التي نزل القرآن بلغتها ، وقيل هي(١): قريش وكنانة ، وأسد ، وهذيل ، وتميم ، وضبة ، وقيس» وقيل(٢) هي قريش ، وهذيل ، وثقيف ، وهوازن ، وكنانة ، وتميم ،واليمن» .

وقد كان ما تميزت به هذيل من سلامة النطق سببا في موقف عثمان حين عزم على كتابة المصاحف، قال للرهط الذين وكل إليهم العمل(٣) : اجعلوا المملي من هذيل ، والكاتب من ثقيف .

كذلك ورد ذكر هذيل ضمن القبائل التي خلصت لغاتها ، فاتجه العلماء إلى أخذها عنها ، قال الفارابي(٤) «والذين عنهم نقلت اللغة العربية ، وبهم اقتدى ، وعنهم أخذ اللسان العربي من بين قبائل العرب ، هم قيس ، وتميم ، وأسد ، فإن هؤلاء هم الذين عنهم أكثر ما أخذ ، ومعظمه ، وعليهم اتكل في الغريب ، وفي الإعراب والتصريف ، ثم هذيل وبعض كنانة ، وبعض الطائيين ، ولم يؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم .

---

١ — القرطبي : الجامع لأحكام القرآن جـ ١ ص ٤٥ .
— راجع ما أورده السيوطي في شأن تحديد القبائل السبع و ورود هذيل في كل الآراء التي ذكرها .
— السيوطي : الإتقان في علوم القرآن جـ ١ ص ٤٩ .
٢ — ابن الجزري : النشر في القراءات العشر جـ ١ ص ٢٤ مطبعة مصطفى محمد .
٣ — ابن فارس : الصاحبي ص ٢٧ ، ٢٨ . مطبعة المؤيد سنة ١٩١٠ .
٤ — انظر السيوطي : المزهر ص ١٠٣ ، ١٠٤ .

وفيما يخص أمر هذيل ، فإن رواة اللغة بعامة وأبا عمرو بن العلاء بخاصة كانوا يتجهون إليها ليأخذوا اللغة من أبنائها لأن(١)شبهات الحضر بعدت عنها . فهى من (٢) أهل السروات ، كذلك كان الأصمعى(٣) حريصا على شعر الهذليين ، فلما سمع(٤) بالشافعى ،وكان أحسن الناس معرفة بأشعار هذيل رحل إليه ، وصححه عليه .

وقد غلبت الغرابة على لغة هذيل ، لكن الأمر فيها ليس كما حكم القزوينى فى قوله (٥) : «أما فصاحة المفرد فهى خلوصه من تنافر الحروف والغرابة» فالغرابة(٦) ليست مما يفسد فصاحة الكلمة ،وما يدرينا أن هذه الألفاظ التى ننكر غرابتها اليوم لم تكن كذلك على عهد القوم بها ، وقد يرجع ذلك ما نحسبه فيها من مهابة حين نقف على معانيها .يقول أحمد زكى : « أما (٧) الهذليون فكانوا يتكلمون عن طبع أصيل ،وبكلمات يتداولونها فى باديتهم فجاءت غرابتهم عن أصالة تحمل من معانى الحياة جالا كثيراً»وقد ظلت هذه السمة تلازم أبناء هذيل فى الإسلام، فكان المخضرمون منها يؤثرونها .

---

١ — دكتور عبد الحميد الشلقانى : مصادر اللغة ص ٩٩ مطبعة جامعة الرياض سنة ١٩٨٠ .

٢ — الأصفهانى : الأغانى جـ ١ ص ٣٨٤ ط . دار الكتب .

— الدكتور جواد على : المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام ص ٥٣٥ طبعة سنة ١٩٧٠ .

— راجع منازل هذيل وديارها وجبالها :

— عمر رضا كحالة : معجم قبائل العرب القديمة والحديثة جـ ٣ ص ١٢١٣ مادة هذيل .

٣ — دكتور عبد الحميد الشلقانى : مصادر اللغة ص ١٠٢ ، ١٧٨ .

٤ — ياقوت الحموى : معجم الأدباء جـ ١٧ ص ٢٨٦ ، ٢٩٩ .

٥ — القزوينى : الإيضاح فى علوم البلاغة جـ ١ ص ٣٠ مطبعة محمد على صبيح .

٦ — أحمد كمال زكى : شعر الهذليين فى العصر الجاهلى والإسلامى ص ٢٣٧ .

٧ — المصدر نفسه ص ٢٣٩ .

وقد حدثتنا المصادر عن غرابة لغة هذيل ، وأن القوم كانوا يتوقفون فيها عندما تقابلهم فى القرآن ، وربما سألوا فيها ، فيأتيهم من هم من هذيل بخبرها عندهم ، ودلالتها فى لغتهم ، فيتضح المعنى عندئذ ويستقيم فهمه .

روى أن عمر قال على المنبر(١) : ما تقولون فى قوله تعالى(٢) : «أو يأخذهم على تخوف» فسكتوا ، فقام شيخ من هذيل ، فقال : هذه لغتنا ، التخوف : التنقص ، فقال عمر : هل تعرف العرب ذلك فى أشعارها ، قال : نعم ، شاعرنا أبو كبير يصف ناقته فيقول :

تخوف الرحل منها تامكا قردا
كما تخوف عود النبعة السفن

كذلك وقف(٣) ابن عباس أمام كلمة «تخوف» نفسها ، حتى جاءه هذلى يشكو أخاه إليه قائلا :

تخوفنى مالى أخ لى ظالم
فلا تخذلنى اليوم ياخير من بقى

فقال ابن عباس : تخوفك : تنقصك ؟ قال : نعم ، قال : الله أكبر ، «أو يأخذهم على تخوف» أى تنقص من خيارهم .

---

١ — البيضاوى : تفسير القرآن الكريم ص ٢٦٧ الطبعة الثانية سنة ١٩٢٥ م .
٢ — سورة النحل : آية ٤٧ .
٣ — التامك : المرتفع من السنام ، القرد : المتلبد بعضه على بعض ، السفن : المبرد .
٤ — القالى : الأمالى جـ ٢ ص ١١٢ مطبعة دار الكتب المصرية سنة ١٩٢٦ .
— السيوطى : المزهر جـ ٢ ص ٢١١ ط . الحلبى سنة ١٩٥٨ .

وجاء رجل من هذيل ، فقال له ابن عباس(١) : ما فعل فلان ؟ قال : مات وترك أربعة من الولد ، وثلاثة من الوراء ، فقال ابن عباس : «فبشرناها باسحق ومن وراء إسحق يعقوب» قال : ولد الولد .

وقد كانت لغة هذيل ، وما تفردت به من خصائص مثار لفت للعلماء فعكفوا عليها ، ودرسوها ، وأنت تجد فى كتاب الخصائص إشارة إلى ما اضطلع به ابن جنى(٢) فى هذا الصدد ، وهو يعرض لتعارض السماع والقياس ، فقد ذكر أنه استوفى هذه الظاهرة فيما أسماه «كتابنا فى شعر هذيل» .

وكذلك عندما تحدث عن تخصيص العلل أشار إلى أنه عرض لبعض ما ذكره فى الباب فى كتابه(٣) «ديوان هذيل» .

وقد عرف عن الهذليين أنهم يجرون فى لغتهم على استبدال حرف بآخر ، ويجعلون العين الساكنة نوناً قبل طاء ، أو ما سمى بالفحفحة والاستنطاء ، فأما الفحفحة ، فهى(٤) إبدال الحاء عينا فتنطق حتّى «عتّى» ، جاء فى اللسان عتّى(٥) : بمعنى حتّى هذلية وثقفية ، وإبدال الهاء عينا فتقول فى هل «عل» .

---

١ — الزركشى : البرهان فى علوم القرآن جـ ١ ص ١١٣ طبعة دار إحياء الكتب العربية سنة ١٩٥٧ .

٢ — ابن جنى : الخصائص : جـ ١ ص ١٢٤ الطبعة الثانية دار الهدى للطباعة .

٣ — ابن جنى : الخصائص : جـ ١ ص ١٥١ .

٤ — الزبيدى : تاج العروس جـ ١ المقدمة ص ٨ .

— السيوطى : المزهر فى علوم اللغة وأنواعها جـ ١ ص ٢٢٢ ط . دار إحياء الكتب العربية

٥ — ابن منظور : لسان العرب : مادة عتا جـ ١٥ ص ٢٨ .

— ابن جنى : المحتسب جـ ١ ص ٣٤٣ .

وقد انحصرت ظاهرة الفحفحة فيما روى عن عبد الله بن مسعود فى قلب الحاء عينا فى كلمة حتّى وحدها ، فقرأ قوله تعالى «حتّى حين» عتى(١) حين فى جميع(٢) المواضع ، وأقرأ بذلك(٣) ، فأرسل إليه عمر(٤) إن الله عز وجل أنزل هذا القرآن فجعله عربيا ، وأنزله بلغة قريش ، فأقرىء الناس بلغة قريش ، ولا تقرئهم بلغة هذيل .

ومما يعد من هذه الظاهرة أنه قرأ على المنبر(٥) «وطلع منضود» بالعين فى موضع(٦) «وطلح منضود» قال ابن سيده(٧) : «والطلح لغة فى الطلع» .

وقد ثار شك حول نسبة هذه الظاهرة لهذيل ، ويدلل من(٨) يذهب إلى

---

١ – ابن خالويه : القراءات الشاذة ص ٦٣ .

٢ – راجع المواضع التى ورد فيها قوله تعالى «حتّى حين» .

سورة يوسف : آية ٣٥ ، سورة المؤمنون آية ٢٥ ، ٥٤ ، سورة الصافات آية ١٧٤ ، ١٧٨ ، سورة الذاريات آية ٤٣ .

٣ – أبو حيان : البحر المحيط جـ ٥ ص ٣٠٧ .

ونحن بذلك نختلف مع من يقول : لعل ابن مسعود سمع من النبى صلى الله عليه وسلم هذه القراءة فى هذه الآية فحسب بدليل أن هذه القراءة لم تكن فى غير سورة «يوسف» مع تكرر (حتّى حين) فى غيرها . الدكتور عبد العال سالم على : أثر القراءات فى الدراسات النحوية ص ٣٥ .

٤ – ابن جنى : المحتسب جـ١ ص ٨٣ .

– السيوطى : المزهر جـ ١ ص ١٠٩ .

– الزمخشرى : الكشاف جـ ٢ ص ٤٦٨ .

– ابن منظور : لسان العرب مادة عتا جـ ١٥ ص ٢٨ .

٥ – أبو حيان : البحر المحيط : جـ ٨ ص ٢٠٦ .

٦ – سورة الواقعة : آية ٢٩ .

٧ – ابن منظور : لسان العرب : مادة طلح جـ ٢ ص ٥٣٣ .

٨ – إبراهيم أنيس : فى اللهجات العربية ص ١٠٨ ، ١٤٩ .

ذلك بما كان بين هذيل وقريش من صلة وثيقة قبل الإسلام ، تجلت فيما رواه ابن الكلبي من تقديس قريش «مناة» وقد كان صنم هذيل ، وتقديس هذيل هبلا ، وقد كان صنم قريش ، هذا إلى قرب مساكنهم من الحجاز ، واحتمال تأثرهم بلهجات تلك البيئة . كما أن التسمية عنده ، تحمل على الشك فى وصف القدماء لهذه الظاهرة . فكلمة الفحفحة إذا نظر إليها فى ضوء مصطلحات الكشكشة ، والعجعجة تكشف عن أن الحرف التالى فى كل من هذين المصطلحين هو الحرف المقلوب إليه ، وكان مقتضى هذا أن يكون معنى الفحفحة قلب العين إلى الحاء لا العكس .

كذلك ثار شك فى نسبة هذه الرواية إلى ابن مسعود ، فقد روى عنه ما يفيد عكس ظاهرة الفحفحة ، أى قلب العين إلى حاء فى قوله تعالى(١) : «قالوا نعم» قرأه ابن مسعود «قالوا نحم» ، وفى قوله تعالى(٢) : «إذا بعثر ما فى القبور» قرأه(٣) «إذا بحثر ما فى القبور» .

ولنا أن نتساءل عن السبب فى اتخاذ موقف الشك من هذه الظاهرة وإفراد هذيل بها .

الواقع أن تأثر هذيل بلهجة البيئة الحجازية لا يعنى نفى تفردها بخصائص لغوية عرفت بها ، كما أن قراءة ابن مسعود «عتّى حين» تظاهرت المصادر على إثباتها ، ونسبتها إليه . أما ما روى عنه مما يخالف هذه الظاهرة ، فتعليله أن عبد الله كان معلماً للقرآن فى وسعه أن يراوح بين اللهجات شأن المعلم المقتدر .

---

١ - سورة الأعراف : آية ٤٤ .

٢ - سورة العاديات : آية ٩ .

٣ - ابن خالويه : القراءات الشاذة ص ١٧٨ .

لكن ماذا نقول فى أن قلب الحاء وهو صوت مهموس إلى العين وهو صوت مجهور لا يتفق مع ما كانت عليه هذيل من تحضر .

أكبر الظن أن هذا الاعتراض ربما يزول لو أننا أدركنا أن رصد هذه الظاهرة وتتبعها يكشف(١) عن انحصارها فى هذا النطاق الضيق ، فلقد قلب عبد الله الحاء فى «حتى» بينما تركها دون قلب فى «حين» مما يشير إلى أنها لم تكن فاشية .

ويمكن تفسير الموقف بأن الفحفحة(٢) لم تكن عند كل بطون هذيل ، ونطق بها بعضها قليلا فلم تنتشر .

وربما كانت فيه(٣) دلالة على أنه كان من المرغوب فيه دائماً أن يعمل عبد الله على نشر النص القرآنى خاليا من الخصائص اللهجية .

ولم يكن هذا الالتزام يقتصر عليه وحده ، وإنما كان حكما عاماً يأخذ المسلمون أنفسهم به وبخاصة بعد أن استقر القرآن على حرف واحد فى العرضة الأخيرة . ففى قوله تعالى(٤) «وطلح منضود» روى عن على أنه قال(٥) «ما شأن الطلح ؟ إنما هو «وطلع منضود» ثم قرأ (٦) «طلعها هضيم» فقال له

---

١ — انظر أدلة وافية عند الدكتور عبد الصبور شاهين : تاريخ القرآن ص ١٣٨ — ١٤٠ .

٢ — الدكتور أحمد كمال زكى : شعر الهذليين ص ٣٠١ .

٣ — الدكتور عبد الصبور شاهين : تاريخ القرآن ص ١٤٠ .

٤ — سورة الواقعة : آية ٢٩ .

الطلح شجر الواحدة طلحة — الراغب الأصفهانى : مفردات ألفاظ القرآن ص ٣١٥ دار الكتاب العربى .

٥ — الطبرى : جامع البيان عن تأويل آى القرآن جـ ١٧ ص ٩٣ .

٦ — وزروع ونخل طلعها هضيم (سورة الشعراء آية ١٤٨) أى ما طلع منها ، والنخل باسقات لها طلع نضيد «سورة ق : آية ١٠» أى ما طلع منها . الراغب الأصفهانى : مفردات ألفاظ القرآن ص ٣١٥ .

الحاضرون : هل تريد أن تحولها إلى هذا المعنى ، فقال على : إن القرآن لا يهاج اليوم ولا يحول» .

وناحية أخرى قد يحتملها الموقف وهى أن ابن مسعود غلب عليه لسانه الهذلى فقرأ(١) «حتى حين» كما قرأ من غير أن يسمعها من النبى صلى الله عليه وسلم ، فنبهه عمر إلى أن القرآن الكريم نزل بلغة قريش لا بلغة هذيل ، ومعنى ذلك أن عمر أراد أن يسد باب القراءة الواسع باللغات المختلفة من غير أن تكون هنالك روايات تسند إلى النبى صلى الله عليه وسلم .

وأنت حين تقرأ ديوان الهذليين لتقف على الصفات التى عرفت بها لهجة هذيل(٢) «لا تكاد تعثر على أثر لها فى أشعارهم ، وكل الذى نراه فى الديوان مما ينسب إلى هذيل وحدها لا يعدو أن يكون بضع كلمات قيل لنا إنها بلفظها ومعناها قد اختصت بها هذيل» . غير أننا يجب ألا ننسى أن اللغة الأدبية المشتركة ربما كانت السمة الغالبة عليها أنها خلت من الخواص المميزة للغات القبائل .

كما أن الأمر فى حتى أوضحه ابن منظور فى قوله(٣) : عتى بمعنى حتى هذلية وثقفية ، مما يقطع بأن نطقها بالعين لم يكن خاصة تفردت بها لغة هذيل وحدها ، فربما استعارتها من ثقيف لأن الظواهر اللغوية تتفشى بالاحتكاك والمخالطة ، وربما جرت على لسان عبد الله كأثر لنضج البيئة فى لغته أو لما ذكرناه من تصديه للتعليم، ولا يمنعنا ذلك من النظر فى رأى من يقولون(٤) :

---

١ — الدكتور عبد العال سالم على : أثر القرآن فى الدراسات النحوية ص ٣٥ .

٢ — الدكتور إبراهيم أنيس : فى اللهجات العربية ص ٤٣ ، ٤٤ .

٣ — ابن منظور : لسان العرب : مادة عتا جـ ١٥ ص ٢٨ .

٤ — الدكتور عبد الهادى الفضلى : القراءات القرآنية : تاريخ وتعريف ص ٦٤ الطبعة الثانية ١٩٨٠ .

إن قراءة ابن مسعود «عتى حين» اقتصرت على الآية ٣٥ من سورة يوسف مع مجئ حتى فى مواضع عدة ، فإن ذلك يدل على أن القراءة ليست اجتهادا ، ولو أنها كانت كذلك لاطردت قراءة حاء حتى عينا فى جميع مواضعها من القرآن الكريم من قبل ابن مسعود أو غيره من القراء ، وعلى ذلك يكون ابن مسعود قد سمع هذه القراءة من النبى صلى الله عليه وسلم فى هذه الآية فقط ، ولذا تقيد بها فى موضعها فحسب .

وأما ما سمى الاستنطاء فهو ظاهرة صوتية ذكر الزبيدى(١) أنها لغة خمس قبائل هى : سعد بن بكر ، وهذيل ، والأزد ، وقيس ، والأنصار ،وهؤلاء من قبائل اليمن ماعدا هذيل ، يجعلون العين الساكنة نوناً إذا جاوزت الطاء كأنطه فى أعطه ، ومنطى فى معطى ، وفى الحديث «اليد المنطية خير من اليد السفلى»(٢) ، ومن العسير أن نبرر استنطاء هذيل فى فعل واحد من بين أفعال اللغة ، وليس فى مجاورة العين للطاء أمر غير عادى ، فقد رويت هذه المجاورة فى كثير من الأمثلة ، ومع هذا فلم ينسب لها استنطاء . ويظهر أن الأمر لم يكن مقصوراً على الفعل أعطى ، بل يتعلق بنطق كل «عين» سواء وليها «طاء» أو صوت آخر . فلعل من القبائل من كانوا ينطقون بهذا الصوت بصفة خاصة نطقا أنفميا ، وذلك بأن يجعلوا مجرى النفس معه من الفم والأنف معاً ، فتسمع العين ممتزجة بصوت النون ، وليست فى الحقيقة نوناً بل هى «عين»

---

١ — الزبيدى : تاج العروس : المقدمة ص ٨ .
— وراجع مادة نطو جـ ١٠ ص ٣٧٣ من المصدر نفسه .
— وراجع اللسان فى مادة «نطا» جـ ١٥ ص ٣٣٢ .
— — والسيوطى : المزهر فى علوم اللغة وأنواعها جـ ١ ص ٢٢٢ .
٢ — إبراهيم أنيس : فى اللهجات العربية ص ١٤١ ، ١٤٢ .

أنفمية ، وعلى هذا فيمكن أن يقال إن الرواة قد سمعوا هذه الصفة ممثلة فى الفعل أعطى «فأشكلت عليهم ، ولم يصفوها لنا على حقيقتها» .

ومما يرجح ذلك أن الاستنطاء لم يظهر(١) فى شعر هذيل ، فإذا صح ما قيل من أن هذيلا كانت ممن تأخذ به فلا يبعد أن يكون من يعنى به رهط صغير منها جاور اليمن ، أو تكون هذيل اليمن ، فقد كانت ثمة قبيلة يمنية تحمل هذا الاسم .

على أية حال فإن هذه الظاهرة قد ظهرت فى قراءة عبد الله(٢) «إنا أنطيناك فى موضع(٣) «إنا أعطيناك» وفى قراءته(٤) «وأنطاهم تقواهم» يريد» وأعطاهم فى موضع(٥) «وآتاهم تقواهم» .

ومما عرف من إبدال هذيل ما ذكره ابن دريد من أن هذيلا تبدل الواو المكسورة التى فى أول الكلمة همزة ، فتقول(٦) : إشاح فى معنى وشاح ، وتقول فى وفادة(٧) : إفادة ، وفى وسادة : إسادة ، وقد قرر أبو حيان(٨)

---

١ — أحمد كمال زكى : شعر الهذليين ص ٣٠١ ، ص ٣٠٢ .
٢ — أبو حيان : البحر المحيط جـ ٨ ص ٥١٩ .
٣ — سورة الكوثر : آية (١) .
٤ — ابن خالويه : القراءات الشاذة ص ١٤١ .
٥ — سورة محمد : آية (٧) .
٦ — ابن دريد : جمهرة اللغة جـ ٢ مادة حشو ص ١٦١ .
— ابن السكيت : كتاب الإبدال : باب الهمزة والواو ص ١٣٨ ط الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية سنة ١٩٧٨ م .
٧ — انظر حاشية الصبان على الأشمونى جـ ٤ ص ٢٢٢ مطبعة مصطفى محمد ، وانظر ابن جنى : سر صناعة الاعراب ص ١٠٤ .
٨ — أبو حيان : البحر المحيط : سورة يوسف آية ٧٦ جـ ٥ ص ٣٣٢ .

أن ذلك مطرد فى لغة هذيل ، غير أن إشاح(١) لم ترد فى شعرهم ، ولا يعثر عليها فى شىء منه .

وقد نسب صاحب اللسان هذه الظاهرة إلى بنى تميم فقال(٢) : «الوقط والوقيطة حفرة فى غلظ أو جبل يجتمع فيه ماء السماء والجمع وقطان ووقاط وإقاط ، والهمزة بدل الواو ، ولغة تميم فى جمعه إقاط مثل إشاح ، يصيرون كل واو تجىء على هذا المثال ألفا .

كذلك لم أقف على هذه الظاهرة فى قراءات عبد الله،ولا سبيل إلى التوفيق بين كل ما ذكرناه إلا أن نقول : إن هذه الظاهرة إن صحت نسبتها إلى هذيل فإن هذيل المعنية ليست الأصيلة ، ولكنها اللصيقة التى ذكروا أنها كانت فى اليمـــن .

وتجمع العرب كل اسم على وزن فعلة المعتلة العين جمعا مؤنثا سالماً إذا كان مفتوح الفاء ، وعينه واو ساكنة أو ياء ساكنة كجوزة وبيضة على فعلات كجوزات، وبيضات بإسكان العين بعد الفاء المفتوحة ، قال تعالى(٣) «فى روضات الجنات» ، ولكن(٤) هذيلا تفتح عين جوزات ، وبيضات ونحوهما ، ومن ذلك قراءة بعضهم(٥) «ثلاث عورات لكم» بفتح الواو ، وجاء على هذا قول الهذلى :

---

١ ـ أحمد كمال زكى : شعر الهذليين ص ٣٠٢ .
٢ ـ ابن منظور : لسان العرب ج ٩ ص ٣١٢ .
٣ ـ سورة الشورى : آية ٢٢ .
٤ ـ ابن عقيل : المساعد على تسهيل الفوائد ج ١ ص ٦٩ .
ـ ابن هشام : أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ج ٣ ص ٢٥٣ .
٥ ـ سورة النور : آية ٥٨ ...

أخو بيضات رائــح متأوب رفيــق بمسح المنكبين سبوح

ولو كانت فعلة المعتلة العين صفة نحو جونة وغيلة ، فقد قال النحاة إن هذيلا جرت مع سائر العرب على القياس فى تسكين العين .

وقد استقصيت البحث فى كتب التفسير والقراءات فلم أعثر على قراءة تنم عن نسبة هذه الظاهرة إلى هذيل ، كما أن نسبة(١) الشاهد الذى نسبوه إلى شاعر هذلى ، ولم يعينوه غير صحيحة ، فهو غير موجود فى أشعار الهذليين ، كذلك لم أعثر على قراءة لابن مسعود تقوم عليها ، وكنت أتوقع أن يسمح الدرس اللغوى له أن يقرأ «عورات» ، و «روضات» بفتح الواو جريا على ما قيل من أن ذلك لسان هذيل ، مما جعل شيئا يحيك فى صدرى حتى وقعت على رأى لابن خالويه نسب فيه هذه الظاهرة إلى تميم ، فغلب عندى ، قال بعد أن أورد قراءة عورات بفتح الواو(٢) «سمعت ابن الأنبارى يقول : قرأ به الأعمش ، وسمعت ابن مجاهد يقول : هو لحن ، فإن جعله لحنا وخطأ من قبل الرواية ، وإلا فله مذهبه فى العربية ، بنو تميم تقول : روضات ، وجوزات ، وعورات ، وسائر العرب بالإسكان ، وهو الاختيار لئلاتنقلب الواو ألفا لتحركها ، وانفتاح ما قبلها .

وقد عرفت هذيل كسر حرف المضارعة ، قال أبو جعفر الطوسى(٣) : «إن كسر حرف المضارعة لغة هذيل» ومع هذا لم يظهر فى قراءات عبد الله ، كذلك استعملت هذيل الكسر حيث تستعمل لهجات أخرى الضم ، يقول(٤)

---

١ — انظر محمد محيى الدين عبد الحميد : هداية السالك إلى تحقيق أوضح المسالك جـ ٣ ص ٢٥٣ مطبعة السعادة .

٢ — ابن خالويه : القراءات الشاذة ص ١٠٣ .

٣ — أبو حيان : البحر المحيط : جـ ١ ص ٢٤ .

٤ — الفراء : معانى القرآن جـ ١ ص ١٧٤ .

الفراء : «فأما الضم فكثير ، وأما الكسر فلهذيل ، وقرأ عبد الله(١) : «فصرهن» بكسر الصاد فى(٢) «فصرهن إليك »بضم الصاد.

كما أن المشهور فى «نعما» كسر النون وإسكان العين ، ولكن(٣) هذيلا تحرك العين ، وتتبع حركة النون بحركتها ، وهذا وجه قراءة الجمهور قوله تعالى(٤) : «إن الله نعما يعظكم به» ولم يرد عن عبد الله ما يخالفها .

ولكن لهجة هذيل لم تخل من الضم ، فعند بناء الفعل الثلاثى المعتل العين نحو قال وباع للمجهول ، يقال : قيل وبيع بإخلاص الكسر ، ولكن هذيلا(٥) تشارك بنى دبير ، وبنى فقعس ، وهما من فصحاء بنى أسد فى إخلاص ضم ما قبل العين ، وقلب العين واوا ، يقولون : قول ، بوع .

وتقول العرب فى جمع «الذى» الذين مطلقا ، فيكون بالياء رفعاً ،ونصبا وجرا ، أما هذيل(٦) فلغتها «اللذون» رفعا ، أى يكون بالواو رفعاً ، وبالياء جرا ونصبا .

والأمر نفسه فى اللائين ، فبعض هذيل(٧) يقولون اللاءون فى الرفع ، واللائين فى النصب والجر .

وربما كانت نسبة(٨) هذه الظاهرة لعقيل أدق أو أرجح لأنها من القبائل

---

١ – ابن منظور : «لسان العرب» جـ ٦ ص ١٤٩ .
٢ – سورة البقرة : آية ٢٦٠ .
٣ – أبو حيان : البحر المحيط جـ ٢ ص ٣٢٤ .
٤ – سورة النساء : آية ٥٨ .
٥ – راجع شرح ابن عقيل وتعليق محمد محيي الدين عبد الحميد جـ ١ ص ٤٤٤ – ٤٤٦ .
– ابن هشام : أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك جـ ١ ص ٣٨٥ .
– أبو حيان : البحر المحيط جـ ١ ص ٦١ .
٦ – ابن عقيل : المساعد على تسهيل الفوائد جـ ١ ص ١٤٢ .
٧ – ابن عقيل : المساعد على تسهيل الفوائد جـ ١ ص ١٤٤ .
٨ – إبراهيم أنيس : فى اللهجات العربية ص ٩٣ .

البعيدة عن البيئة الحجازية ، فهى أقرب إلى التأثر بلهجة تميم ومن على شاكلتهم ممن كانوا يميلون إلى الضم .

وعرف عن هذيل أنها تقلب(١) ألف المقصور ياء وتدغمها فى ياء المتكلم ، وتفتح ياء المتكلم ، فتقول عصى فى عصاى ، وفتى فى فتاى ، وهوى فى هواى ، ويستشهدون على ذلك بقول أبى ذؤيب(٢) .

سبقوا هوى وأعنقوا لهواهم فتخرموا ولكل جنب مصرع

وقال أبو حيان(٣) فى تفسير قوله تعالى «فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولاهم يحزنون» قرأ عاصم الجحدرى ، وعبد الله بن أبى إسحاق ، وعيسى بن أبى عمر : «هدى» بقلب الألف ياء ، وإدغامها فى ياء المتكلم إذ لم يكن كسر ما قبل الياء ، لأنه حرف لا يقبل الحركة ، وهى لغة هذيل» .

والأمر من خلال الدرس اللغوى الحديث لا يعدو أن قبيلة هذيل(٤) التزمت الطور الأول لصوت اللين المركب ولم يتطور فيها .

وكان عبد الله يحمل الألفاظ على دلالتها فى لغة هذيل ، ففى قوله تعالى : «أو(٦) لامستم النساء» قال(٥) : اللمس ما دون الجماع . والقبلة منه ، وفيها الوضوء ، وفى قول هو الغمز ، وهذيل تقول : اللمس باليد .

---

١ — شرح ابن عقيل جـ ٢ ص ٩٠ مطبعة السعادة الطبعة ١٤ سنة ١٩٦٥ .
— ابن منظور : لسان العرب مادة هوا
٢ — السكرى : شرح أشعار الهذليين جـ ١ ص ٧ .
— الديوان : جـ ١ ص ٢ .
٣ — أبو حيان : البحر المحيط : جـ ١ ص ١٦٩ .
٤ — انظر الأدوار التى مر بها صوت اللين المركب. الدكتور إبراهيم أنيس : فى اللهجات العربية ص ١٤٣ ، ١٤٤ .
٥ — سورة النساء : آية ٤٣ .
٦ — السيوطى : الدر المنثور فى التفسير بالمأثور جـ ٢ ص ١٦٦ ، ١٦٧ .

ولعل سائلا يسأل عن السبب فى أن بعض الظواهر اللغوية التى عرفت بها هذيل قد ظهرت فى قراءة عبد الله فى حين أن بعضها الآخر لم يرد فيما نسب إليه من قراءات .

الواقع أن هذا الملحظ يؤكد حقيقة نود لها أن تقر فى النفوس ، وهى أن أحدا من الصحابة الذين اشتهروا بالإقراء لم يكن حرا فى أن يقرأ القرآن بلغته أو بغيرها ، وإنما مدار الأمر هو السماع(١) من النبى صلى الله عليه وسلم ، والأمر يحتمل أن غلبة الظاهرة ، وتفشيها فى هذيل بعامة ، إنما يعنى أن عبد الله قرأ بها ، ويترتب على ذلك ما نذهب إليه من أن نشأة القراءات ترجع إلى اللهجات أو اللغات التى نزل بها القرآن وليس إلى لغات القبائل دون ما قيد أو ضابط .

ثانيا : لغـــة الحجاز :

هناك خصائص غالبة على لغة الحجاز تكاد تسلك قبائله على تفاوت بينها ، وليس من قصدى أن أحصر هذه الخصائص هنا ، ولكنى أود أن أعرض لجانب منها يمكن تتبعه فى قراءات عبد الله لنرى الروافد التى امتدت بينه وبين بيئته ، ومدى تمثله للغتها ، وتمثيله لها . ذكر النحاة أن إعمال «ما» عمل «ليس» لهجة الحجاز ، وأن إهمالها لهجة تميم ، يقول سيبويه(٢) : «هذا باب ما أجرى

---

١ – ابن حجر العسقلانى : فتح البارى بشرح صحيح البخارى ج ٩ ص ٢٢ المطبعة البهية سنة ١٣٤٨ هـ .

– راجع بحثا وافيا عن نزول القرآن على سبعة أحرف فى كتابنا : الاتجاهات الفكرية فى التفسير ص ٢٨ – ٤٥ الطبعة الثانية سنة ١٩٧٥ .

٢ .. سيبويه : الكتاب ج ١ ص ٢٨ الطبعة الأولى – مطبعة بولاق سنة ١٣١٦ هـ .

– يوضح ابن الأنبارى وجه الشبه بين ما وليس فى لغة أهل الحجاز . فيقول إن وجه الشبه بينهما من وجهين : أحدهما أن «ما» تنفى الحال كما أن «ليس» تنفى الحال ، والوجه الثانى أن ما تدخل على المبتدأ والخبر كما أن «ليس» تدخل على المبتدأ والخبر . ويقوى هـذه المشابهة بينهما دخول الباء فى خبرها كما تدخل فى خبر ليس «أسرار العربية» ص ١٤٣ .

مجرى ليس فى بعض المواضع بلغة أهل الحجاز ، ثم يصير إلى أصله»، وذلك الحرف «ما» تقول : ما عبد الله أخاك ، وما زيد منطلقا ، وأما بنو تميم فيجرونها مجرى أما وهل ، وهو القياس لأنها ليست بفعل ، وليس ما كليس ولا يكون فيها إضمار ، وأما أهل الحجاز فيشبهونها بليس إذ كان معناها كمعناها .

وقد أوضح ابن جنى علة إعمال ما عند الحجازيين ، وإهمالها عندالتميميين فى قوله : فكأن(١) أهل الحجاز لما رأوها داخلة على المبتدأ والخبر دخول ليس عليها ، ونافية للحال نفيها إياها ، أجروها فى الرفع والنصب مجراها إذا اجتمع فيها الشبهان بها ، وكأن بنى تميم لما رأوها حرفا داخلا بمعناه على الجملة المستقلة بنفسها ، ومباشرة لكل واحد من جزأيها كقولك ما زيدأخوك وما قام زيد ، أجروها مجرى هل ، ألا تراها داخلة على الجملة لمعنى النفى دخول «هل» عليها للاستفهام ، ولذلك كانت عند سيبويه لغة التميميين أقوى قياساً من لغة الحجاز» . .

ولكن العرب قد تنطق(٢) بما يخالف القياس الذى يقول به النحويون ولم يرمهم هؤلاء بالخطأ ، وقد كثر استعمال اللغة الحجازية فى «ما» وجاء ذلك فى القرآن ، قال تعالى(٣) «ما هذا بشراً» ، لكن الزمخشرى يقول(٤) «إن إعمال ما عمل ليس هى اللغة القدمى الحجازية ، وبها ورد القرآن ، ومنها قوله تعالى(٥) «ماهن أمهاتهم» ، ويعلق أبو حيان على ذلك بقوله :

---

١ — ابن جنى : الخصائص ج ١ ص ١٦٧ .

٢ — الدكتور عبد العزيز برهام : الحطام المتناثر فى تضاعيف اللغة العربية ص ٥ .

٣ — سورة يوسف : آية ٣١ .

٤ — الزمخشرى : الكشاف ج ٢ ص ٤٦٦ .

٥ — سورة المجادلة : آية ٢ .

(١)«وإنما قال القدمى لأن الكثير فى لغة الحجاز إنما هو جر الخبر بالباء فتقول ما زيد بقائم ، وعليه أكثر ما جاء فى القرآن ،وأما نصب الخبر فمن لغة أهل الحجاز القديمة» .

ويقول الفراء(٢) : «لا يكاد أهل الحجاز ينطقون إلا بالباء ، فلما غلب على أهل الحجاز النطق بالباء ، قال الزمخشرى : اللغة القدمى الحجازية . هذا . وقد جاءت قراءة عبد الله بن مسعود باللغة الحجازية الحديثة ، فقرأ «(٣) ماهن بأمهاتهم» فى موضع(٤) «ما هن أمهاتهم» .

فإن قيل(٥) : فلم دخلت الباء فى خبرها نحو «ما زيد بقائم» قيل لوجهين ، أحدهما أنها أدخلت توكيدا للنفى ، والثانى أن يقدر أنها جواب لمن قال : «إن زيدا لقائم» فأدخلت الباء فى خبرها لتكون بإزاء اللام فى خبر إن .

ومن خصائص لغة أهل الحجاز الفك(٦) أو الإظهار ، فقد كان(٧) الحجازيون يحترزون من تأثر الأصوات المتجاورة بعضها ببعض ؛ وهذا لا يتأتى إلا بمراعاة الدقة فى النطق والتأنى والتؤدة فى الأداء بحيث يظهرون كل صوت ، ويعطونه حقه من جهر وهمس ، أو شدة ورخاوة .

---

١ – أبو حيان : البحر المحيط جـ ٥ ص ٣٠٤ .
– راجع شرح ابن عقيل جـ ١ ص ٢٠٣ .
القرطبى : الجامع لأحكام القرآن جـ ٩ ص ١٨١ .
٢ – الفراء : معانى القرآن جـ ٢ ص ٤٢ .
٣ – الزمخشرى : الكشاف جـ ٤ ص ٤٨٥ .
٤ – سورة المجادلة : آية ٢ .
٥ – ابن الأنبارى : أسرار العربية ص ١٤٥ مطبعة الترقى بدمشق سنة ١٩٥٧ .
٦ – شرح ابن عقيل جـ ٢ ص ٥٩١ ط ١٤ مطبعة السعادة .
– ابن هشام : أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك جـ ٣ ص ٣٥٠ .
٧ – إبراهيم أنيس : فى اللهجات العربية ص ٧٥ .

وهم عند اتصال الفعل المضعف بضمير الرفع «نون النسوة ، أو نا الدالة على المتكلمين ، أو تاء الفاعل» يفكون(١) فيقولون : رددن ، يرددن ، اردددن ، رددنا ، رددت ، كما أنهم(٢) يفكون آخر الفعل المضعف المجزوم ، فيقولون لم يردد ، لأن الجزم(٣) يترتب عليه نقل النبر من موضعه إلى المقطع الذى قبله . فعندما نقول «يكتب» يحدث النبر على المقطع «ت» . لكن عندما نقول «لم يكتب» يقع النبر على المقطع «يك» ، ومن هذا نجد أن الحجازيين يفكون الإدغام ليجمعوا بين أمرين : نقل النبر إلى الوراء بسبب الجزم ، وإظهار تضعيف الفعل ، وعلى ذلك جاء قوله تعالى (٤) : «ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم فى الدنيا والآخرة» . كذلك يفكون آخر الفعل الذى حكمه البناء على السكون فيقولون اردد ، وفى رأى سيبويه(٥) أن الفك هو اللغة العربية القديمة الجيدة .

وفى وسعنا أن نتتبع هذه الظاهرة فى قراءات عبد الله فقد كان يظهر ، ومن قراءاته :

* «أعتدت للكافرين»(٦) فى موضع «أعدت للكافرين»(٧) .

---

١ – سيبويه : الكتاب جـ ٢ ص ٤٢٤ الطبعة الأولى – مطبعة بولاق .
– ابن جنى : الخصائص جـ ١ ص ٢٥٩ ، ٢٦٠ .
– ابن هشام : أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك جـ ٣ ص ٣٥١ .
٢ – الاستراباذى : شرح شافية ابن الحاجب جـ ٣ ص ٢٤٦ حيث قال : لغة أهل الحجاز فيه ترك الإدغام .
٣ – إبراهيم أنيس : فى اللهجات العربية ص ١٥٠ .
٤ – سورة البقرة : آية ٢١٧ .
٥ – سيبويه : الكتاب جـ ٢ ص ٤٢٤ .
٦ – ابن خالويه : القراءات الشاذة ص ٤ المطبعة الرحمانية بمصر سنة ١٩٣٤ .
٧ – سورة البقرة : آية ٤ .

• «فتدارأتم فيها»(١) على الأصل فى موضع «فادرأتم فيها»(٢) .

• «ولا يضارر»(٣) بالفك وفتح الراء الأولى فى موضع «ولا يضار»(٤) .

• وأخذ أصحابه عنه قراءتهم «يبشر»(٥) بالتخفيف على وزن ينصر فى قوله تعالى «إن الله يبشرك»(٦) .

• «إلا أن تتصدقوا» (٧) فى موضع «إلا أن يصدقوا»(٨) .

• «مكلبين»(٩) بالتخفيف فى موضع «مكلبين»(١٠) .

• «كأنما يتصعد فى السماء»(١١) فى موضع «كأنما يصعد»(١٢) .

وقرأ عبد الله(١٣) «جدث» فى قوله تعالى(١٤)«من كل حدب ينسلون» قال(١٥) أبو الفتح هو القبر بلغة أهل الحجاز .

---

١ – ابن خالويه : القراءات الشاذة ص٨

٢ – سورة البقرة : آية ٧٢ .

٣ – أبو حيان : البحر المحيط جـ ٢ ص ٣٥٣ .

٤ – سورة البقرة : آية ٢٨٢ .

٥ – الفراء : معانى القرآن جـ ١ ص ٢٢٢ .

٦ – سورة آل عمران : آية ٣٩ .

٧ – ابن خالويه : القراءات الشاذة ص ٢٨ .

٨ – سورة النساء : آية ٩٢ .

٩ – ابن خالويه : القراءات الشاذة ص ٣١ .

١٠– سورة المائدة : آية ٤ .

١١– ابن خالويه : القراءات الشاذة ص ٤٢ :

– الزمخشرى : الكشاف جـ ٢ ص ٦٤ .

– أبو حيان : البحر المحيط جـ ٤ ص ٢١٨ .

١٢– سورة الأنعام : آية ١٢٥ .

١٣– ابن جنى : المحتسب جـ ٢ ص ٦٦ .

١٤– سورة الأنبياء : آية ٩٦ .

١٥– ابن جنى المحتسب جـ ٢ ص ٦٦ .

- راجع قول الراغب «الحدب هو ما ارتفع من ظهر الأرض» مفردات ألفاظ القرآن ص ١٠٨ مطبعة التقدم العربى .

وراجع قوله تعالى : «فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون» سورة يس آية ٥١ .

ومن خصائص اللغة الحجازية الميل (١) إلى الفتح فى حين أن الإمالة لغة عامة أهل نجد من تميم وأسد وقيس، وقد قيل إن الأصل هو الفتح، ولذلك فإن من فتح فإنه راعى كون الفتح أمتن أو الأصل، وقد وضحت هذه الظاهرة فى بعض قراءات عبد الله :

ـ فقرأ «يطهرن»(٢) بالتخفيف، وفتح الهاء فى «يطهرن»(٣) .

ـ وقرأ «مجراها ومرساها»(٤) بفتح الميمين فى «مجريها ومرساها»(٥) .

ـ وقرأ «السقاية»(٦) بتضعيف السين وفتحها فى «جعل السقاية فى رحل أخيه»(٧) .

ـ وقرأ «عتيا»(٨) بفتح العين فى «وقد بلغت من الكبر عتيا»(٩) .

ـ وقرأ «صليا»(١٠) بفتح الصاد فى «أولى بها صليا»(١١) .

وقال(١٢) ابن مجاهد : لا أعرف لهما فى العربية أصلا .

---

١ ـ أبو حيان : البحر المحيط جـ ٥ ١١٥ ، جـ ٨ ص ١١ .
ـ ابن الجزرى : النشر فى القراءات العشر جـ ٢ ص ٢٩ ، ٣٥ .
ـ السيوطى : الإتقان فى علوم القرآن جـ ١ ص ٩١ .
٢ ـ الزمخشرى : الكشاف جـ ١ ص ٢٦٥ .
٣ ـ سورة البقرة : آية ٢٢٢ .
٤ ـ أبو حيان : البحر المحيط جـ ٥ ص ٢٢٥ .
٥ ـ سورة هود : آية ٤١ .
٦ ـ الفراء : معانى القرآن جـ ٢ ص ٥٠ .
٧ ـ سورة يوسف : آية ٧٠ .
٨ ـ الزمخشرى : الكشاف جـ ٣ ص ٦ .
٩ ـ سورة مريم : آية ٨ .
١٠ ـ ابن جنى : المحتسب جـ ٢ ص ٣٩ .
١١ ـ سورة مريم : آية ٧٠ .
١٢ ـ ابن جنى : المحتسب جـ ٢ ص ٣٩ .

وقال أبو الفتح : لا وجه لإنكار ابن مجاهد ذلك لأن له فى العربية أصلا ماضيا ، وهو ما جاء من المصادر على فعيل نحو الحويل والزويل .

— وقرأ «من خلاله»(١) بفتح الخاء فى «فترى الودق يخرج من خلاله»(٢)

— وقرأ «ونسقيه» (٣) بفتح النون فى «ونسقيه مما خلقنا أنعاماً وأناسى كثيرا»(٤) .

وكان تخفيف الهمزة(٥) لغة قريش وأكثر أهل الحجاز ، ذلك لأنها مالت إلى التسهيل(٦) فى اللهجات الحضرية ، وقد وضحت هذه الظاهرة فى قراءات عبد الله ، فقد قرأ :

— الكبريا(٧) فى «وتكون(٨) لكما الكبرياء» .

— التايبين(٩) فى «التائبون»(١٠) .

— قرات اعين(١١) — بغير همز فى أعين — فى(١٢) «قرة أعين» .

---

١ — ابن خالويه : القراءات الشاذة ص ١٠٢ .

٢ — سورة النور : آية ٤٣ .

٣ — ابن خالوية : القراءات الشاذة ص ١٠٥ .

٤ — سورة الفرقان : آية ٤٩ .

٥ — ابن الجزرى : النشر فى القراءات العشر جـ ١ ص ٤٢٨ ، ٤٢٩ طبعة التجارية سنة ١٩٦٢ م .

— راجع السيوطى: الإتقان فى علوم القرآن جـ ١ ص ٢٨ الطبعة الثانية .

٦ — إبراهيم أنيس : فى اللهجات العربية ص ١١٢ .

٧ — ابن خالويه : القراءات الشاذة ص ٥٨ .

٨ — سورة يونس : آية ٧٨ .

٩ — ابن خالويه : القراءات الشاذة ص ٥٥ .

١٠— سورة التوبة : آية ١١٢ .

١١— ابن خالويه : القراءات الشاذة ص ١٠٥ .

١٢— سورة الفرقان : آية ٧٤ .

ـ يخرج الخب(١) ، على تخفيف الهمزة بالحذف ، والخبا على تخفيفها بالقلب فى «ألا(٢) يسجدوا لله الذى يخرج الخبء فى السموات والأرض» .

ـ إلا الخاطون(٣) ، بغير همز ، فحذف الهمزة ، وضم ما قبلها ليناسب الواو فى(٤) «إلا الخاطئون» .

ويمكننا أن نلفت إلى أن تخفيف الهمز(٥) يرد بكثرة فى القراءات التى تنتهى طرقها إلى أهل الحجاز ، وتلك التى ترجع إلى عبد الله بن مسعود .

ويقول أهل الحجاز(٦) ظل ظللت بكسر اللام الأولى ، ثم يحذفونها ويكسرون الظاء على كسرتها فيقولون ظلت،وظلنا ، وظلتم ، وقرأ عبدالله (٧) «الذى ظلت عليه عاكفا فى موضع (٨) «الذى ظلت عليه عاكفا» .

وقرأ «فشرذ بهم من خلفهم»(٩) بالذال فى موضع «فشرد بهم من خلفهم»(١٠) .

---

١ ـ الزمخشرى : الكشاف جـ ٣ ص ٣٦٢ .

٢ ـ سورة النمل : آية ٢٥ .

يخرج الخبء : يقال ذلك لكل مدخر مستور .

الراغب : مفردات ألفاظ القرآن ص ١٤١ مطبعة التقدم العربى سنة ١٩٧٢ م .

٣ ـ ابن خالويه : القراءات الشاذة ص ١٦١ .

٤ ـ سورة الحاقة : آية ٣٧ .

٥ ـ يقول ابن الجزرى : «كانت قريش وأهل الحجاز أكثرهم لهتخفيفا ، ولذلك أكثر ما يرد تخفيفه من طرقهم ... وكذلك عاصم من رواية الأعمش عن أبى بكر من حيث أن روايته ترجع إلى ابن مسعود . النشر فى القراءات العشر جـ ١ ص ٤٢٨ ، ٤٢٩ .

٦ ـ ابن منظور : لسان العرب جـ ١٣ ص ٤٤١ .

ـ راجع شرح ابن عقيل جـ ٢ ص ٥٨٤ .

٧ ـ ابن خالويه : القراءات الشاذة ص ٨٩ .

٨ ـ سورة طه : آية ٩٧ .

٩ ـ ابن خالويه : القراءات الشاذة ص ٥٠ .

١٠ـ سورة الأنفال : آية ٥٧ .

وقرأ «فهل من مذكر»(١) بالذال المعجمة فى موضع «فهل من مدكر(٢)

والذال من الحروف الرخوة ، والدال من الحروف الشديدة ، ولذلك فإن النطق بالذال ينسب إلى البيئة الحجازية التى يميل أهلها إلى استخدام الأصوات الرخوة ، أما النطق بالدال فيناسب أحوال البدو الذين يميلون إلى استخدام الحروف الشديدة .

ويمكن تعليل قراءة الرسول صلى الله عليه وسلم «فهل من مدكر»(٣) بأنها لغة الأخوال بنى سعد .

ويفرق الفراء بين الفرع والأصل فى اللغتين فيقول(٤) : و«مدكر» فى الأصل مذتكر على مفتعل ، فصيرت الذال وتاء الأفتعال دالا مشددة . قال : وبعض بنى أسد يقول «مذكر» فيقلبون الدال فتصير ذالا مشددة .

ويرى إبراهيم أنيس(٥) أن نسبة «مذكر» بالذال لبنى أسد من الأمور التى يصعب تعليلها لأن الذال من الحروف الرخوة ، وأسد من القبائل البدوية التى تؤثر الأصوات الشديدة .

وقرأ عبد الله بالظاء(٦) فى موضع الضاد فى قوله تعالى(٧) «وما هو على الغيب بضنين» . وقد اختلف الرواة فى نسبة الصيغتين . قال الفراء(٨) :

---

١ – ابن خالويه : القراءات الشاذة ص ١٤٨ .

٢ – سورة القمر : آية ١٥ .

٣ – البخارى : الجامع الصحيح جـ ٦ كتاب التفسير ص ١٧٨ .

– وانظر السيوطى : الاتقان فى علوم القرآن جـ ١ ص ٩٣ .

٤ – لسان العرب جـ ٥ ص ٣٧٦ .

٥ – إبراهيم أنيس : فى اللهجات العربية ص ١٠٢ .

٦ – الزمخشرى : الكشاف جـ ٤ ص ٧١٣ .

٧ – سورة عبس : آية ٢٤ .

٨ – انظر لسان العرب : مادة ضنن جـ ٩ ص ٧٧ .

أهل الحجاز وطيء يقولون : فاظت نفسه ، وقضاعة وتميم وقيس يقولون فاضت نفسه . مثل فاضت دمعته ، وقال أبو زيد ، وأبو عبيدة : فاظت نفسه بالظاء ، لغة قيس ، وبالضاد لغة تميم ، وروى المازنى عن أبى زيد أن العرب تقول فاظت نفسه بالظاء إلا بنى ضبة فإنهم يقولون بالضاد ، وقد ناقش إبراهيم أنيس هذه الروايات ، وخلص إلى أن الضاد تنتمى إلى بيئة تميم البدوية ، وأن الظاء تنتمى لبعض من قريش ممن تأثروا بالبيئة الحجازية ، أو لأهل الحجاز أنفسهم كما يقول الفراء ، أى أن رواية أبى زيد هى أقرب الروايات إلى الصحة .

وعلى ذلك فإننا نستطيع أن نقول إن قراءة عبد الله بالظاء ، وهو صوت رخو فى موضع الضاد ، وهو صوت شديد ، يكشف عن تأثره ببيئة الحجاز المتحضرة التى تميل إلى استخدام الأصوات الرخوة التى تتفق مع بيئتهم بما فيها من ليونة .

اللغـــة المشتركة :

رأينا أن عبد الله لم يحصر نفسه فى لغة هذيل ، وإنما مد سمعه إلى بيئته ، وأخذ يقف على ظواهرها اللغوية ، ولكنه فى أحيان كثيرة كان يخالف عنها ، ويخرج عليها ، مما يحملنا على التسليم برفض الاعتماد على بيئة القارىء فى تحديد اللهجة التى تصورها قراءته .

والواقع أن اللغة الأدبية التى اتخذت أداة للتعبير لم تنحصر فى لهجة بعينها ، وكان شأن عبد الله بن مسعود شأن الشعراء فى الجاهلية وصدر الإسلام ، فقد جمعتهم هذه اللغة الأدبية الواحدة على ما بينهم من فوارق فى النسب والبيئة ، وقد قوى نفوذ هذه اللغة بنزول القرآن بها ، وربما كان ذلك سببا فى أن ظهرت فى قراءات عبد الله لهجات عدة لقبائل مختلفة ، وربما كان تصدى

عبد الله لإقراء القرآن وبيانه سببا فى أنه ألم بكثير من ظواهرها ، واصطنعها فى تعليمه ، وقد علل ابن جنى ظهور لهجات مغايرة للغة قبيلة العربى ولغة بيئته . فقال (١) : إن صاحب لغة قد راعى لغة غيره ، ذلك لأن العرب وإن كانوا كثيرا منتشرين ، وخلقا عظيما فى أرض الله غير متحجرين ، ولا متضاغطين ، فإنهم بتجاورهم ، وتلاقيهم، وتزاورهم يجرون مجرى الجماعة فى دار واحدة ، فبعضهم يلاحظ صاحبه ، ويراعى أمر لغته كما يراعى ذلك من مهم أمره ، فهذا هذا .

وفيما يلى قراءات نسبت إلى عبد الله ، ولكنها ليست من لهجة هذيل كما أنها ليست من لهجة الحجاز بعامة مما يشير إلى أنه جمع أكثر من لهجة .

ظواهر صوتية :

قرأ «بل أ أدرك»(٢) بهمزتين فى موضع «بل ادارك علمهم فى الآخرة»(٣)

وقرأ «ولا تأمموا»(٤) فى موضع «ولا تيمموا الخبيث منه»(٥) و تحقيق الهمزة(٦) لهجة تميم وقيس وبنى أسد ومن جاورها .

وقرأ «ما هذا بشر»(٧) بالرفع ، و«ما هذا بشرى»(٨) بالرفع أيضا فى

---

١ — ابن جنى : الخصائص ج ٢ ص ١٥ ، ١٦ .
٢ — ابن خالوية : القراءات الشاذة ص ١١ .
٣ — سورة النمل : آية ٦٦ .
٤ — الزمخشرى : الكشاف ج ١ ص ٣١٤ .
٥ — سورة البقرة : آية ٢٦٧ .
٦ — ابن يعيش : شرح المفصل ج ٩ ص ١٠٧ إدارة الطباعة المنيرية .
٧ — أبو حيان : البحر المحيط ج ٥ ص ٣٠٤ .
٨ — ابن خالويه : القراءات الشاذة ص ٦٣ .

موضع «ما هذا بشراً»(١) .

ومن قرأ(٢) على سليقته من بنى تميم قرأ بشر بالرفع ، وذلك لأن «ما» فى(٣) لهجتهم لا تعمل شيئا .

وقرأ «إنى(٤) أرانى أعصر عنبا» فى موضع «إنى(٥) أرانى أعصر خمرا»

وقيل(٦) : إن ذلك من لغة أهل عمان ، وإنهم يسمون العنب خمرا .

وقرأ طه(٧) بالإمالة(٨) فيكسر الطاء والهاء ، وقد روى ابن الجزرى(٩) فى حديث ما يفيد أن عبد الله كان يقرىء الناس بذلك . قال زر بن حبيش :

---

١ — سورة يوسف : آية ٣١ .

٢ — الزمخشرى : الكشاف جـ ٢ ص ٤٦٦ .

٣ — سيبويه : الكتاب جـ ١ ص ٢٨ .

راجع قول ابن عقيل ألحق الحجازيون بليس ما النافية ، فيرفعون بها المبتدأ ، وينصبون بها الخبر ومنه قوله تعالى «ما هذا بشرا» وغير الحجازيين لا يعملها» المساعد على تسهيل الفوائد جـ ١ ص ٢٧٧ .

٤ — الطبرى : جامع البيان عن تأويل آى القرآن جـ ١٢ ص ٢١٥ .

— الزمخشرى : الكشاف جـ ٢ ص ٤٦٨ .

٥ — سورة يوسف : آية ٣٦ .

٦ — الطبرى : جامع البيان عن تأويل آى القرآن جـ ١٢ ص ٢١٥ .

— الزمخشرى : الكشاف جـ ٢ ص ٤٦٨ .

— السيوطى : الإتقان فى علوم القرآن جـ ١ ص ١٣٤ الطبعة الثانية .

— وقد حكاها أبو حنيفة وزعم أنها لغة يمانية : الزبيدى : تاج العروس مادة عنب جـ ١ ص ٤٠٠ .

٧ — سورة طه : آية ١ .

٨ — الفراء : معانى القرآن جـ ٢ ص ١٨٤ .

٩ — السيوطى : الإتقان فى علوم القرآن جـ ١ ص ٩٠ .

قرأ رجل على عبد الله بن مسعود طه ولم يكسر ، فقال عبد الله : طه ،وكسر الطاء والهاء ، فقال الرجل طه ، ولم يكسر ، فقال عبد الله : طه ، وكسر ، ثم قال : والله هكذا علمنى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وكانت الإمالة(١) لغة عامة أهل نجد من تميم وأسد وقيس .

يقول إبراهيم أنيس(٢) : إن الإمالة تنسب إلى جميع القبائل الذين عاشوا فى وسط الجزيرة وشرقها ، وأشهرها : تميم ، وأسد ، وطىء ، وبكر بن وائل ، وعبد القيس ، وتغلب .

وقد أوضح ابن الجزرى(٣) أن ميل هذه القبائل إلى الإمالة يرجع إلى سهولة اللفظ ، وذلك أن اللسان يرتفع بالفتح ، وينحدر بالإمالة ، والانحدار أخف على اللسان من الارتفاع » .

وقد لحظ إبراهيم أنيس تلك العلة فذكر(٤) أن الإمالة إلى الفتح ليس له ما يبرره سوى الاقتصاد فى الجهد العضوى والميل إلى السهولة التى يلجأ إليها الإنسان فى معظم ظواهره الاجتماعية .

وقرأ «ربيون»(٥) بضم الراء فى(٦) «وكأين من نبى قاتل معه ربيون كثير» .

---

١ – ابن الجزرى : النشر فى القراءات العشر جـ ٢ ص ٢٩ .
– السيوطى : الإتقان فى علوم القرآن جـ ١ ص ٩١ .
٢ – إبراهيم أنيس : فى اللهجات العربية ص ٦٠ ، ٦٣ الطبعة الرابعة .
٣ – ابن الجزرى : النشر فى القراءات العشر جـ ٢ ص ٣٥ .
– السيوطى : الإتقان فى علوم القرآن جـ ١ ص ٩٢ .
٤ – إبراهيم أنيس : فى اللهجات العربية ص ٦٧ .
– راجع أيضا فى هذا الصدد دكتور عبده الراجحى : اللهجات العربية فى القراءات القرآنية ص ١٣٤ – ١٤٢ .
٥ – ابن خالويه : القراءات الشاذة ص ٢٢ .
– وهى قراءة الحسن : الزبيدى : تاج العروس «مادة ريب جـ ٢ ص ٢٦٥» .
٦ – سورة آل عمران : آية ١٤٦ .

وقرأ(١) «ولا يجرمنكم» بضم الياء فى موضع(٢) «ولا يجرمنكم» .

وقرأ(٣) «تنكصون» بضم الكاف فى(٤) «فكنتم على أعقابكم تنكصون» .

وقرأ(٥) «وبحر يمده» بضم الياء وكسر الميم فى موضع(٦) «والبحر يمده»

وقرأ(٧) «ولا تحاضون» بضم التاء فى موضع(٨) «ولا تحاضون» .

والضم ينسب إلى أهل البادية من العالية ونجد وتميم وأسد .

وقرأ : (٩)«ثم اتختم العجل من بعده» فى موضع(١٠) «ثم اتخذتم العجل من بعده» .

وقرأ(١١) «وأختم» فى موضع(١٢) «وأخذتم» .

يقول ابن خالوية «والحجة لمن أظهر أنه أتى بالكلمة على أصلها واغتنم الثواب على كل حرف منها ، والحجة لمن أدغم أن الظاء والثاء والذال مخرجهن من طرف اللسان وأطراف الثنايا العلى فوجب الإدغام لمقاربة المخرج

---

١ — الزمخشرى : الكشاف جـ ١ ص ٦٠٢ .

— ابن خالويه : القراءات الشاذة ص ٣١ .

٢ — سورة المائدة : آية ٢ .

٣ — ابن خالويه : القراءات الشاذة ص ٩٩ .

٤ — سورة المؤمنون : آية ٦٦ .

٥ — ابن جنى : المحتسب جـ ٢ ص ١٦٩ .

٦ — سورة لقمان : آية ٢٧ .

٧ — الزمخشرى : الكشاف جـ ٤ ص ٧٥١ .

— ابن خالويه : القراءات الشاذة ص ١٧٣ .

٨ — سورة الفجر : آية ١٨ .

٩ — الفراء : معانى القرآن جـ ١ ص ١٧٢ .

١٠ — سورة البقرة : آية ٩٢ .

١١ — الفراء : معانى القران جـ٢ ص ٢٨٩ .

١٢ — سورة آل عمران : آية ٨١ .

والمجانسة (١)

وقرأ(٢) «ولا يساءلون» بإدغام التاء فى السين فى(٣) «فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون» .

وقرأ(٤) «ما يذكر فيه من اذكر» فى موضع(٥) «ما يتذكر فيه من تذكر» .

وقرأ(٦) : «وقالوا ساحران اضاهرا» أراد تظاهرا ، ثم أدغم فلحقه ألف الوصل ، فى موضع(٧) «قالوا ساحران تظاهرا» .

وقرأ(٨) بإدغام التاء فى(٩)» والصافات صفا . فالزاجرات زجرا . فالتاليات ذكرا» .

وقرأ(١٠)«وإنى عتبربى وربكم»فى موضع(١١)«وإنى عذت بربى وربكم» .

---

١ – ابن خالويه : الحجة فى القراءات السبع ص٥٣ مطبعة دار الشروق سنة ١٩٧١

٢ – الزمخشرى : الكشاف ج ٣ ص ١٠١ .

– ابن خالويه : القراءات الشاذة ص ٩٩ .

٣ – سورة المؤمنون : آية ١٠١ .

٤ – أبو حيان : البحر المحيط ج ٧ ص ٣١٦ .

٥ – سورة فاطر : آية ٣٧ .

٦ – ابن خالويه : القراءات الشاذة ص ١١٣ .

٧ – سورة القصص : آية ٤٨ .

٨ – الفراء : معانى القرآن ج٢ ص ٣٨٢ .

٩ – سورة الصافات : آيات (١–٣) .

١٠– الفراء : معانى القرآن ج ١ ص ١٧٢ .

١١– سورة الدخان : آية ٢٠ .

وقرأ(١) «عم تساءلون» بتاء لا ياء فيها والسين مشددة فى موضع(٢) «عم يتبباءلون»

والإدغام أو تأثر الأصوات المتجاورة بعضها ببعض من سمات لغة البدو لما جرت عليه عادتهم فى السرعة فى النطق ، وعدم التأنى فيه مما لا يعطى كل حرف ما يستحقه من تحقيق ، وقد عرفت(٣) تميم به .

والإظهار ضده ، وهو من خصائص لغة الحجازيين بعامة لأناتهم ، والتزامهم الدقة فى النطق ، . وفى رأى الفراء أن البيان(٤) أجود لأن القراءة بنيت على التفصيل والبيان .

وقد جاء القرآن غالباً(٥) باللهجة الحجازية نحو قوله تعالى :

(٦)«إن تمسسكم حسنة تسؤهم» ، «ومن يحلل(٧) عليه غضبى فقد هوى» «(٨)واغضض من صوتك» و « (٩)ولا تمنن تستكثر» .

---

١ — ابن خالويه : القراءات الشاذة ص ١٦٧ .
٢ — سورة النبأ : آية (١) .
٣ - الكتاب جـ ٢ ص ٤٢٤ ، المحتسب جـ ١ ص ١٤٨ .
انظر الخصائص جـ ١ ص ٢٥٩ ، .
٤ — الفراء : معانى القرآن جـ ٢ ص ٢٣٨ .
٥ — إبراهيم أنيس : فى اللهجات العربية ص ٧٣ .
٦ — سورة آل عمران : آية ١٢٠ .
٧ — سورة طه : آية ٨١ .
٨ — سورة لقمان : آية ١٩ .
٩ — سورة المدثر : آية ٦ .

وقد ورد فى القرآن على لهجة تميم(١) «من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه»(٢) «ومن يشاق الله» .

ويلحظ أن الأفعال التى وردت مدغمة ، وردت أيضا بلغة الحجازين قال تعالى (٣) : «ومن يرتدد منكم عن دينه» ، وقال(٤) : «ومن يشاقق الرسول» ، وقال(٥) : «ومن يشاقق الله ورسوله» ، وربما كان هذا سببه.

«أن (٦) ظاهرة الإدغام كانت من الظواهر التى اعترفت بشقيها اللغة النموذجية الأدبية ، ولم تعد بعد أن جاءت فى القرآن الكريم من ظواهر اللهجات ، فهى فى أصلها من الظواهر التى كانت تفرق بين قبائل وسط الجزيرة وشرقيها وبين البيئة الحجازية ، لكنها صارت فيما بعد صفة من صفات اللغة الأدبية المشتركة بين جميع القبائل» .

وفى وسعنا أن نعلل مسلك ابن مسعود فى الخروج على التقاليد الشفوية التى سادت بلاد الحجاز ، واتجاهه إلى القبائل البدوية ، وبخاصة قبيلة تميم ، وتمثله طرائقها فى النطق برغبته الدائبة فى أن تكون له شخصية متميزة فى كلامه تخالف ما جرت عليه أعراف بيئته ، فحرص على أن يقف على ظواهر

---

١ – سورة المائدة : آية ٥٤ .
٢ – سورة الحشر : آية ٤ .
– راجع شرح ابن عقيل جـ ٢ ص ٥٩١ .
٣ – سورة البقرة : آية ٢١٧ .
٤ – سورة النساء : آية ١١٥ .
٥ – سورة الأنفال : آية ١٣ .
٦ – إبراهيم أنيس : فى اللهجات العربية ص ٧٤ .

لغات القبائل الأخرى ، ويوسع لها مكاناً في ثقافته حتى (١) «ليخيل إلينا أنه انتقل نهائيا إلى مستوى فصاحة الأعراب» .

وقرأ عبد الله(٢) «الرفوث» فى موضع(٣) «أحل لكم ليلة الصيام الرفث» وفى تاج العروس(٤) : الرفث محركة الجماع وغيره...وهو أيضا الفحش من القول «كالرفوث» بالضم ، وهذه لغة أهل نجد .

وقد تأثر عبد الله فى درسه اللغوى بخواص تميمية أخرى، فقرأ(٥) «كلمة عدل بيننا و بينكم» بكسر الكاف و سكون اللام فى « كلمة سواء بيننا وبينكم» ، والكلمة(٦) لغة تميمية ، والكلمة حجازية، والجمع فى لغة تميم، الكلم .

وقرأ(٨) «معيق» فى(٩) «من كل فج عميق» ولغة(١٠) أهل الحجاز عميق ، وبنو تميم يقولون معيق .

---

١ — الدكتور عبد الصبور شاهين : تاريخ القرآن ص ١٤٠ .
٢ — الزمخشرى : الكشاف جـ ١ ص ٢٢٩ ، ٢٣٠ .
٣ — سورة البقرة : آية ١٨٧ .
٤ — الزبيدى : تاج العروس مادة رفث جـ ١ ص ١٢٤ .
— وراجع : نهاد الموسى : فى تاريخ العربية ص ٣٧ .
٥ — ابن خالويه : القراءات الشاذة ص ٢٣ .
٦ — سورة آل عمران : آية ٦٤ .
٧ — ابن منظور : لسان العرب جـ ١٥ ص ٤٢٨ .
— فى القاموس المحيط : الكلمة اللفظة والجمع كلم كالكلمة بالكسر والجمع ككسر . باب الميم فصل الكاف جـ ٤ ص ١٧٢ .
٨ — الزمخشرى : الكشاف جـ ٣ ص ١٥٢ .
— أبو حيان : البحر المحيط جـ ٦ ص ٣٦٤ .
٩ — سورة الحج : آية ٢٧ .
١٠— ابن منظور : لسان العرب جـ ١٠ ص ٢٧٠ .

وقرأ(١) «إننى برىء مما تعبدون» وقرأ الجمهور(٢) «إننى براء مماتعبدون» وبرىء(٣) لغة بنى تميم ، وبرأ لغة أهل الحجاز ، وفى الإتحاف(٤) أنبرىء بكسر الراء بعدها ياء فهمز لغة نجد ،وتثنى وتجمع وتؤنث .

والدرس اللغوى الحديث يرى أن الأصل مانطقت به قبائل نجد، وأن الفرع مانطق به أهل الحجاز ، كما يرى أن هذا التطور تفسره ظاهرة الانسجام بين الحركات .

يقول إبراهيم أنيس(٥) «فإذا قيل لنا إن الحجازيين كانوا يقولون«برأت من المرض» وسائر العرب يقولون «برئت أمكننا بسهولة أن نتصور أن الأصل هو «برئت» وأن نوعاً من الانسجام بين الحركات قد أدى الى الصيغة الأخرى «برأت»..

وكان للفراء مذهب آخر فى التعليل لهذه الصيغ فى الكلمة نجده فى قوله تعقيبا على قراءة عبد الله(٦) ، ولو قرأها قارىء كان صواباً موافقا لقراءتنا لأن العرب تكتب يستهزىء ، يستهزأ ، فيجعلون الهمزة مكتوبة بالألف فى كل حالاتها .

وقرأ «قشطت»(٧) فى «وإذا السماء كشطت»(٨) ، وتميم تقول(٩)قشطت

---

١ — الفراء : معانى القرآن ج ٣ ص ٣٠ .
٢ — سورة الزخرف : آية ٢٦ .
٣ — الزبيدى : تاج العروس ج ١ مادة برأ ص ٤٤ ، ٤٥ .
٤ — الإتحاف ص ٣٨٥ .
٥ — إبراهيم أنيس : فى اللهجات العربية ص ٩٧ .
٦ — الفراء : معانى القرآن ج ٣ ص ٣٠ .
٧ — البخارى : الصحيح ج ٧ ص ١٦١ .
— أبو حيان : البحر المحيط ج ٨ ص ٤٣٤ .
٨ — سورة التكوير : آية ١١ .
٩ — ابن منظور : لسان العرب ج ٩ ص ٢٦٢ ، ٢٦٣ مادة كشط .
— ابن جنى : سر صناعة الإعراب ص ٢٧٨ .
— ابن السكيت : كتاب الإبدال ص ١١٤ .

بالقاف ، وليست الكاف فى هذا بدلا من القاف لأنهما لغتان لأقوام مختلفين

وقرأ «قافورا»(١) بالقاف بدل الكاف فى «كان مزاجها كافورا»(٢)

وقد يعارض هذه الظاهرة التميمية ما روى عن عبد الله من قلب القاف كافاً ، فقد قرأ «فلا تكهر»(٣) فى «فأما اليتيم فلا تقهر»(٤) ، وقد ذكر الفراء أنه سمعها من أعرابى من بنى أسد قرأها عليه .

ولا سبيل إلى إزالة هذا التعارض إلا بأحد احتمالين أو بهما معاً . فأما عن الاحتمال الأول فهو ما نعرفه من الرخصة فى قراءة القرآن بالأحرف السبعة فى بدء الدعوة لتيسير قراءته ، والتخفيف عن المسلمين فى نطقه . فلما تمت الوحدة اللغوية فى الدولة الاسلامية ، وانتفت الحكمة من ذلك ، عارض جبريل الرسول صلى الله عليه وسلم بالقرآن فى العام الذى قبض فيه مرتين . واستقر القرآن على حرف واحد هو الذى نقرأه به اليوم . ولئن حرق عثمان المصاحف ما عدا مصحفه فإنه من المحتمل أن تكون هذه القراءات قد ظلت عالقة بالأذهان من الأحرف الأخرى .

وأما عن الاحتمال الثانى فيقويه ما نعرفه من المهمة التى أرسل من أجلها عبد الله إلى العراق ، فقد آثر عمر أن يبعث به إلى هناك ليفقه المسلمين أمور الدين ، ويعلمهم القرآن ، والقبائل العربية التى استقرت فى العراق ، كانت

---

١ – أبو حيان : البحر المحيط جـ ٨ ص ٣٩٥ .
– ابن منظور : لسان العرب جـ ٧ ص ٣٧٩ .
٢ – سورة الإنسان : آية (٥) .
٣ – الفراء : معانى القرآن جـ ٣ ص ٢٧٤ .
– ابن خالويه : القراءات الشاذة ص ١٧٥ .
٤ – سورة الضحى : آية (٧) .

البداوة تغلب عليها، ولم يكن بد و قد تصدى عبد الله لإقراء هؤلاء القرآن وبيانه لهم أن يكلمهم بما يعرفون ، وأن يخاطبهم بما جرت عليه عادتهم ، ولا يحتم عليهم أن يقرأوه بلغته لأن فى ذلك عنتا لهم ، وحملهم على مالا يطيقون .

لم لا نقول إن هذه القراءات تمثل نسيجا صوتيا ، وضع كل من قرأ على عبد الله خيطا فيه ، فهو وإن اشتمل على أكثر من ظاهرة ، فإنما يجمعها أن الجميع ضمهم الدرس الذى كان عبد الله يقوم به .

الفصل الرابع

ثقافة اهل الكتاب

ربما كان هذا الرافد قليل الشأن ـ ولكننا لا نستطيع أن نغفل أثره فى عبد الله .

وقد هيأت له حياته فى المدينة أن يقف على أطراف كثير من هذه الثقافة ، ذلك لأن بيئة المدينة كانت لها سابقة بالدين والتدين ، وكانت التوراة بين أيدى اليهود من أبنائها .

وقد صدق القرآن الكتب السماوية التى سبقته ، فجوهر العقيدة فى جميعها واحد ، وهو مهيمن عليها ، أى أنه يحرس ما جاء فيها ، فيقر أصولها الثابتة ، ويوضح ما استقر من شرائعها ، وما تغير من أحكامها ، ويصحح ما حرف أو بدل منها .

قال تعالى(١) : «وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه .

(٢)«وهذا كتاب أنزلناه مبارك مصدق الذى بين يديه» ،

(٣)«والذى أوحينا إليك من الكتاب هو الحق مصدقا لما بين يديه» .

وقد صادف ما جاء فى التوراة موافقا للقرآن قبولا فى نفوس المسلمين ، فلم يغلقوا دونه منافذ الحس منهم ، قال عطاء بن يسار : لقيت(٤) عبد الله بن

---

١ ـ سورة المائدة : آية ٤٨ .

٢ ـ سورة الأنعام : آية ٩٢ .

٣ ـ سورة فاطر : آية ٣١ .

٤ ـ ابن كثير : تفسير القرآن العظيم جـ ١ ص ٢٥٢ ط . التجارية .

ـ راجع تفسير قوله تعالى : «الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوباً عندهم فى التوراة ، والإنجيل ...» سورة الأعراف : آية ١٥٧ .

وراجع قوله تعالى : «إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا» ...

سورة الأحزاب : آية ٤٥ ، سورة الفتح : آية ٨ .

ـ انظر شاهدا آخر : البخارى : الجامع الصحيح : جـ ٨ كتاب الرقاق ص ١٠٨ طبع الحسينية .

عمرو فقلت : أخبرنى عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى التوراة ، قال : أجل ، والله إنه لموصوف فى التوراة كصفته فى القرآن : يا أيها النبى إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا ، وحرزا للأميين ، أنت عبدى ورسولى ، اسمك المتوكل ، ليس بفظ ، ولا غليظ ، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقول : لا إله إلا الله ، ويفتح الله به قلوباً غلفا ، وآذاناً صما ، وأعينا عميا ، قال عطاء : ثم لقيت كعبا فسألته عن ذلك فما اختلف حرفاً ، إلا أن كعباً قال بلغته : قلوباً غلوفيا ، وآذاناً صموميا ، وأعينا عموميا» .

ولقد وقف عبد الله على هذا المد الثقافى ، وحفلت مروياته بكثير منه ، أخرج(١) ابن أبى شيبة ، وابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبى حاتم ، والطبرانى ، والحاكم عن ابن مسعود رضى الله عنه ، قال : إنه لمكتوب فى التوراة . لقد أعد الله للذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع ما لم تر عين ، ولم تسمع أذن ، ولم يخطر على قلب بشر ، ولا يعلم ملك مقرب ، ولا نبى مرسل ، وإنه لفى القرآن(٢) «فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين» .

وكانت ملازمة عبد الله للنبى صلى الله عليه وسلم سبيلا تأتى إليه من خلاله قدر كبير من هذه الثقافة ، فقد كان يشهد فى حضرته أخبار اليهود ، وهم يذكرون له بعض ما جاء فى كتبهم ، فعرف ذلك منهم ورواه عنهم .

أخرج البخارى(٣) ومسلم عن عبد الله أن يهوديا جاء إلى النبى صلى الله

---

١ — السيوطى : الدر المنثور فى التفسير بالمأثور جـ ٥ ص ١٧٦ .
— الطبرى : جامع البيان عن تأويل آى القرآن جـ ٢١ ، ص ١٠٣ ، ١٠٤ .
٢ — سورة السجدة : آية ١٧ .
٣ — البخارى : الجامع الصحيح : جـ ٩ كتاب التوحيد ص ١٥٠ ، ١٦٥ ، ١٨١ ط . الشعب .
: جـ ٦ كتاب التفسير ص ١٥٧ .
— مسلم : الصحيح بشرح النووى جـ ١٧ ص ١٣٠ المطبعة المصرية .

عليه وسلم، فقال : يا محمد : إن الله يمسك السموات على أصبع والأرضين على إصبع ، والجبال على إصبع ، والشجر على إصبع والخلائق على إصبع ، ثم يقول : أنا الملك . فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه ، ثم قرأ(١) : «وما قدروا الله حق قدره» .

وروى الإمام أحمد بسنده إلى عبد الله بن مسعود قال :(٢) «إن الله عز وجل ابتعث نبيه لإدخال رجل الجنة . فدخل الكنيسة فإذا يهودى يقرأ عليهم التوراة ، فلما أتوا على صفة النبي صلى الله عليه وسلم أمسكوا — وفى ناحيتها رجل مريض — فقال النبي صلى الله عليه وسلم : ما لكم أمسكتم ؟ فقال المريض : إنهم أتوا على صفة نبي فأمسكوا ، ثم جاء المريض يحبو حتى أخذ التوراة ، فقرأ حتى أتى على صفة النبي صلى الله عليه وسلم وأمته ، فقال : هذه صفتك وصفة أمتك . أشهد أن لا إله إلا الله ، وأنك رسول الله» .

وأخرج الطبرى عن إبراهيم عن عبد الله قال : كنت أمشي مع النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم فمررنا بأناس من اليهود ، فقالوا يا أبا القاسم ،

— انظر الدارمى : الرد على المريسى : رسالة نشرت فى كتاب عقائد السلف .
السيوطى : الدر المنثور فى التفسير بالمأثور جـ ٥ ص ٣٣٤ .
— انظر قول النووى : وظاهر السياق أنه ضحك تصديقا بدليل قراءة الآية التى تدل على صدق ما قال الحبر ، والأولى فى هذه الأشياء الكف عن التأويل مع اعتقاد التنزيه ، فإن كل ما يستلزم النقص من ظاهرها غير مراد . ابن حجر : فتح البارى بشرح صحيح البخارى جـ ٨ ص ٣٨٩ ط . الخيرية .
١ — وتمام الآية : «وما قدروا الله حق قدره ، والأرض جميعا قبضته يوم القيامة ، والسموات مطويات بيمينه ، سبحانه وتعالى عما يشركون : سورة الزمر : آية ٦٧ .
— راجع روايات الطبرى فى تفسير هذه الآية : جامع البيان فى تفسير القرآن جـ ٢٤ ص ١٨ ط . بولاق .
٢ — أحمد بن حنبل : المسند : جـ ١ ص ٤١٦ .

ما الروح؟ ، فأمسكت ، فرأيت أنه يوحى إليه قال ، فتنحيت عنه إلى سباطة ، فنزلت عليه «ويسألونك عن الروح ...» فقالت اليهود هكذا نجده عندنا.

كذلك كان لصلة عبد الله بالخلفاء وبخاصة عمر أثرها فى أن يحضر مجالسه التى يؤمها من أسلم من اليهود ، ويعرضون فيها مالديهم من تراث ثقافى ، قال عبد الله : (١) كنت عند عمر بن الخطاب ، فدخل علينا كعب الحبر ، فقال : يا أمير المؤمنين : ألا أخبرك بأغرب شىء قرأت فى كتب الأنبياء ، أن هامة جاءت إلى سليمان ، فقالت : السلام عليك يا نبى الله ، فقال : وعليك السلام يا هام ، أخبرينى ، كيف لا تأكلين الزرع ؟ فقالت : يا نبى الله لأن آدم عصى ربه فى سببه ، لذلك لا آكله ، قال : فكيف لا تشربين الماء ؟ قالت : يا نبى الله لأن الله أغرق بالماء قوم نوح ، من أجل ذلك تركت شربه ، قال : فكيف تركت العمران ، وسكنت الخراب ؟ قالت : لأن الخراب ميراث الله ، وأنا أسكن فى ميراث الله ، وقد ذكر الله ذلك فى كتابه ، فقال : « وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها إلى قوله ... وكنا نحن الوارثين» .

وقد ذكر ابن كثير(٢) أن كعب الأحبار لما أسلم فى الدولة العمرية جعل يحدث عمر رضى الله عنه — عن كتبه قديما، فربما استمع له عمر فترخص الناس فى استماع ما عنده .

ومرد ما تحدث به اليهود مخالفا لما فى القرآن لا يرجع إلا أن بين الكتب السماوية تضادا أو تناقضا ، فكلها من عند الله ، أنزلها على أنبيائه . وقد تدرج الفكر الدينى فيها حتى كمل فى القرآن ، وإنما يرجع إلى أن أصحاب الكتب

---

١ — السيوطى : الدر المنثور فى التفسير بالمأثور جـ ٥ ص ١٠٣ .

٢ — ابن كثير : تفسير القرآن العظيم جـ ٤ ص ١٧ — ١٨ .

السابقة على الإسلام غيروا فيها ، ويدلوا تعاليمها ، وحرفوا آياتها ، وكتموا بعضها ، وأبدوا بعضها .

وقد لفت ابن حزم(١) إلى ذلك فى كتابه «الفصل» فضمنه فصلا فى مناقضات ظاهرة، وأكاذيب واضحة فى الكتاب الذى يسميه اليهود التوراة، وقد أورد فيه براهين أضوأ من الشمس على صحة تبديل التوراة وتحريفها . وقد سجل القرآن عليهم مسلكهم ، وشنع بنقضهم الميثاق ، وفضح إخفاءهم كثيرا مما بلغوا به ، وأنذرهم سوء العاقبة على ما اقترفوه فى حق الله ، وما تقولوا به عليه .

قال تعالى :

— (٢)«فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلا ، فويل لهم مما كتبت أيديهم ، وويل لهم مما يكسبون» .

— (٣)«إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس فى الكتاب أولئك يلعنهم الله ، ويلعنهم اللاعنون» .

— (٤)«فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم ، وجعلنا قلوبهم قاسية ، يحرفون الكلم عن مواضعه ، ونسوا حظا مما ذكروا به» .

— (٥)«وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء ، قل من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى نورا وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا» .

---

١ — ابن حزم : الفصل : ج ١ ص ٣٥ — ٩٣ — مطبعة صبيح .
٢ — سورة البقرة : آية ٧٩ .
٣ — سورة البقرة : آية ١٥٩ .
٤ — سورة المائدة : آية ١٣ .
٥ — سورة الأنعام : آية ٩١ .

ويتحدد موقف عبد الله من الإسرائيليات فى قوله(١) : لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء فإنهم لن يهدوكم ، وقد أضلوا أنفسهم ، فتكذبون بحق ، وتصدقون بباطل ، وإن كنتم سائليهم لا محالة ، فانظروا ما واطأ كتاب الله فخذوه ، وما خالف كتاب الله فدعوه .

ولما كان بنو إسرائيل قد غيروا فى التوراة ، وبدلوا فيها فقد خالفها القرآن فيما تغير ، وما تبدل . يقول عبد الله(٢) : إن بنى إسرائيل لما طال عليهم الأمد ، وقست قلوبهم ، اخترعوا كتابا من بين أيديهم وأرجلهم ، استهوته قلوبهم ، واستحلته ألسنتهم ، وقالوا : نعرض بنى إسرائيل على هذا الكتاب ، فمن آمن به تركناه ، ومن كفر به قتلناه .

وقد حمل على عبد الله كثير من الإسرائيليات . وقد وضح ذلك فيما روى عنه من الحديث عن (٣)ابتداء الخلق ، (٤)وما خلق الله فى كل يوم ، (٥)ثم القول فى الليل والنهار ، وأيهما خلق قبل الآخر ، (٦)والأخبار الواردة

---

١ — ابن عبد البر : جامع بيان العلم وفضله ج ٢ ص ٥٢ .
— وفى رواية : «فإنهم قد طال عليهم الأمد فقست قلوبهم ، وابتدعوا فى دينهم» .
السيوطى : الدر المنثور فى التفسير بالمأثور ج ٢ ص ٢٢٤ ،
وانظر ج ٥ ص ١٤٧ .
— وانظر ابن حجر العسقلانى : فتح البارى بشرح صحيح البخارى ج ١٣ ص ٢٥٩ .
— راجع ما ذكره الطبرى فى تفسير قوله تعالى : «ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتى هى أحسن إلا الذين ظلموا منهم ، وقولوا آمنا بالذى أنزل إلينا وأنزل إليكم ، وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون ... سورة العنكبوت : آية ٤٦ .
جامع البيان عن تأويل آى القرآن ج ٢١ ص ٣ .
٢ — الطبرى : جامع البيان عن تأويل آى القرآن ج ٢٧ ص ٢٢٩ مطبعة الحلبى سنة ١٩٥٤ .
٣ — الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ج ١ ص ٣٩ .
٤ — الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ج ١ ص ٤٧ ، ٥٥ ؛
٥ — الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ج ١ ص ٦١ ، ٦٢ .
٦ — الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ج ١ ص ٨١ — ٩٥ .

بأن إبليس كان له ملك السماء الدنيا والأرض وما بين ذلك ، والسبب الذى هلك به ،(١) وما روى عنه من أن جبريل له ستمائة جناح .

فهذه المعارف المفصلة ليس لها أصل فى الإسلام، فهى لم ترد فى القرآن، ولم تنقل عن الرسول صلى الله عليه وسلم ،ولا سبيل إلى معرفتها إلا من أصحابها، فهى من معتقداتهم . ومن يتدبرها ومثيلاتها يجد أنها تعارض الشرع ،وتنافى العقل ، مما يحمل على رفض نسبتها إلى عبد الله ، وروايته لها.

كذلك نسبت إلى عبد الله معارف إسرائيلية أوردها المفسرون فيما أثر عنه من تفسير . فقد وردت فى القرآن آيات مجملة ، ووجد المسلمون فى كتب اليهود متسعا لكثير من تفاصيلها ، وكان هؤلاء قد غيروا فيها وبدلوا ، فغلب فيها الباطل على الحق . وكان سبيل هذه الإسرائيليات هو ما فطرت عليه النفوس من تشوق إلى الوقوف على الدقائق ، ومعرفة التفاصيل ، وما ورد من هذه الإسرائيليات صحيح السند لا يعنى بالضرورة ثبوت نسبته إلى عبد الله . وإنما الأمر لا يخرج عن روايته له ونقله إياه عن أهل الكتاب .

أخرج الطبرى(٢) عن قيس بن سكن ، قال : حدث عبد الله ، وهو عند عمر «يوم يقوم الناس لرب العالمين»(٣) قال : إذا كان يوم القيامة ، قال : يقوم الناس بين يدى رب العالمين أربعين عاماً ، شاخصة أبصارهم إلى

---

١ — البخارى : الجامع الصحيح ج ٦ كتاب التفسير ص ١٧٦ .

٢ — الطبرى : جامع البيان فى تفسير القرآن ج ٢٩ ص ٢٥ ط . بولاق سنة ١٣٢٩ هـ.
انظر قوله تعالى : «يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون ، خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة ، وقد كانوا يدعون إلى السجود وهم سالمون» سورة القلم : الآية ٤٢ ، ٤٣ .

٣ — سورة المطففين : آية ٦ .
— وراجع الطبرى : جامع البيان فى تفسير القرآن ج ٣٠ ص ٥٩ .

السماء ، حفاة عراة ، يلجمهم العرق ، ولا يكلمهم بشر أربعين عاماً ، ثم ينادى مناد يا أيها الناس أليس عدلا من ربكم الذى خلقكم وصوركم ورزقكم ثم عبدتم غيره أن يولى كل قوم ما تولوا ، قالوا : نعم ، قال : فيرفع لكل قوم ما كانوا يعبدون من دون الله ، قال : ويمثل لكل قوم آلهتهم، فيتبعونها حتى تقذفهم فى النار ، فيبقى المسلمون والمنافقون ، فيقال : ألا تذهبون ، فقد ذهب الناس ، فيقولون حتى يأتينا ربنا ، قال : وتعرفونه ، فقالوا : إن اعترف لنا ، قال : فيتجلى ، فيخر من كان يعبده ساجدا ، قال: ويبقى المنافقون لا يستطيعون كأن فى ظهورهم السفافيد ، قال : فيذهب بهم فيساقون إلى النار فيقذف بهم ، ويدخل هؤلاء الجنة ، قال : فيستقبلون فى الجنة بما يستقبلون به من الثواب والأزواج ، والحور العين ، لكل رجل منهم فى الجنة كذا وكذا ، بين كل جنة كذا ، بين أدناها وأقصاها ألف كذا سنة ، هو يرى أقصاها ، كما يرى أدناها ، قال : ويستقبله رجل حسن الهيئة ، إذا نظر إليه مقبلا ، حسب أنه ربه ، فيقول له لا تفعل ، إنما أنا عبدك ، وقهرمانك على ألف قرية ، قال : يقول عمر : يا كعب ألا تسمع ما يحدث به عبد الله

وفى تفسير قوله تعالى :

«قل يتوفاكم ملك الموت»(١)

أخرج(٢) ابن أبى الدنيا فى ذكر الموت عن ابن مسعود وابن عباس رضى

---

١ — سورة السجدة : آية ١١ .

٢ — السيوطى : الدر المنثور فى التفسير بالمأثور جـ ٥ ص ١٧٣ .

— راجع نماذج أخرى من الإسرائيليات التى حملت على عبد الله : ما أورده القرطبى فى تفسير قوله تعالى : «هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعا ، ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات» . «سورة البقرة» : آية ٢٩ . الجامع لأحكام القرآن جـ ٣ ص ٢١٩ ط . الشعب .

— وما أورده السيوطى فى تفسير قوله تعالى «وإن يونس لمن المرسلين» سورة الصافات : آية ١٢٩ «الدر المنثور فى التفسير بالمأثور» جـ ٥ ص ٢٨٨ .

الله عنهما قالا : لما اتخذ الله إبراهيم خليلا سأل ملك الموت ربه أن يأذن له فيبشر إبراهيم عليه السلام بذلك فأذن له، فأتاه ، فقال له إبراهيم عليه السلام : يا ملك الموت : أرنى كيف تقبض أنفاس الكفار ، قال : يا إبراهيم لاتطيق ذلك ، قال : بلى ، قال : فأعرض إبراهيم ، ثم نظر إليه ، فإذا برجل أسود ينال رأسه السماء ، يخرج من فيه لهب النار ، ليس من شعرة فى جسده إلا فى صورة رجل يخرج من فيه ومسامعه لهب النار ، فغشى على إبراهيم عليه السلام ، ثم أفاق وقد تحول ملك الموت فى الصورة الأولى، فقال : يا ملك الموت ، لو لم يلق الكافر من البلاء والحزن إلا صورتك لكفاه ، فأرنى كيف تقبض أرواح المؤمنين ، قال : فأعرض ، ثم التفت ، فإذا برجل شاب أحسن الناس وجها وأطيبه فى ثياب بيض ، فقال : ياملك الموت ، لو لم ير المؤمن عند موته من قرة العين والكرامة إلا صورتك هذه لكان يكفيه .

وسواء صح إسناد ما وصلنا من إسرائيليات عن عبد الله بن مسعود أم لم يصح ، فهى ليست بذات قيمة ، فإن كانت مكذوبة فهى باطلة ، وإن كانت صحيحة النسبة إليه، فهى تأخذ حكم الحديث الموقوف ، فليس لأحد أن يظن أنها متلقاة عن النبى صلى الله عليه وسلم ، فمن شروط الحديث الموقوف الذى يكون له حكم المرفوع ألا يقال(١) من قبل الرأى ، ولا مجال للاجتهاد فيه ، وأن يخصص لصحابى لم يأخذ عن أهل الكتاب ، ولذلك فإن هذه المرويات

– وفى تفسير قوله تعالى «كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر ، فلما كفر ، قال : إنى برىء منك «سورة الحشر» : آية ١٦ . «الدر المنثور فى التفسير بالمأثور» جـ ٦ ص ٢٠٠

– وما أورده الطبرى فى تفسير قوله تعالى« يابنى إنها إن تك مثقال حبة من خردل ، فتكن فى صخرة أو فى السموات أو فى الأرض يأت بها الله «سورة لقمان» : آية ١٦ . جامع البيان عن تأويل آى القرآن جـ ٢١ ص ٧٢ .

١ – السيوطى : تدريب الراوى فى شرح تقريب النواوى جـ ١ ص ١١٤ الطبعة الأولى سنة ١٩٥٩ .

الموقوفة على الصحابة بعامة إما إسرائيليات(١) أخذها بعض الصحابة الذين رووها عن أهل الكتاب الذين أسلموا ، ورووها ليعلم ما فيها من الغرائب والعجائب ، ولم ينبهوا على كذبها وبطلانها اعتمادا على ظهور كذبها وبطلانها، ولعلهم نبهوا إلى كذبها وعدم صحتها ، ولكن الرواة لم ينقلوا هذا عنهم.وإما أن تكون مدسوسة على الصحابة ، وضعها عليهم الزنادقة والملحدون . كي يظهروا الإسلام وحملته بهذا المظهر المنتقد المشين .

وفى وسعنا ونحن نرصد موقف عبد الله بن مسعود من أهل الكتاب ، وثقافتهم أن نذكر أنه كانت له شخصيته العلمية المستقلة،فلم يكن يقبل كل مايقولون به بعامة ، وإنما كان له من علمه ما يمكنه أن يرد عليهم خطأهم .

أخرج الطبرى عن أبى عبيدة قال(٢) : جاء رجل إلى قوم فى المسجد ، وفيه عبد الله بن مسعود ، فقال : إن أخاكم كعبا يقرئكم السلام . ويبشركم أن هذه الآية ليست فيكم «وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه» . فقال له عبد الله : وأنت فأقرئه السلام ، وأخبره أنها نزلت وهو يهودى .

وكان عبد الله يعرض هذه الثقافة عـــلى مبادىء الشرع ،ويخضعها لمقياس العقل ، وفى ضوء هذين المعيارين يكون حكمه بقبولها أورفضها .

---

٢ — الدكتور محمد أبو شهبة : الإسرائيليات والموضوعات فى كتب التفسير ص ١٣٥ — طبعة الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية — القاهرة .

١ — الطبرى : جامع البيان عن تأويل آى القرآن جـ ٧ ص ٤٦١ ط . دار المعارف .

ومن الشواهد على ما رفضه منها ما أخرجه الطبرى بسنده عن أبي وائل ، قال(١) : جاء رجل إلى عبد الله فقال : من أين جئت ؟ قال : من الشام ؟ قال : من لقيت ؟ قال : لقيت كعبا ، فقال : ما حدثك كعب ؟ قال : حدثنى أن السموات تدور على منكب ملك ، قال : فصدقته أو كذبته ، قال : ما صدقته ولا كذبته ، قال : لوددت أنك افتديت من رحلتك إليه براحلتك ورحلها ، كذب كعب ، إن الله تعالى يقول(٢) : «إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا ، ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده» .

لم يتقبل عبد الله غث هذه الثقافة مما هو مناف للعقل ، أو معارض للشرع ، ولكنه فى الوقت نفسه لم يرفضها فى عمومها ، فقد حدث عنهم بما علم صدقه فيما وافقهم فيه القرآن ، أو أيدتهم فيه السنة ، كما حدث عنهم بما لم يمس العقيدة من الأخبار ، وهو فى كل ذلك رجل القرآن يصحح معارفه عليه .

أخرج ابن جرير ، وعبد بن حميد والطبرانى والبيهقى عن ابن مسعود قال(٣) : كان بنو إسرائيل إذا أصاب أحدهم ذنبا أصبح قد كتب كفارة ذلك الذنب على بابه ، وإذا أصاب البول شيئا منه قرضه بالمقراض ، فقال رجل : لقد آتى الله بنى إسرائيل خيرا ، فقال ابن مسعود : ما آتاكم الله خير مما آتاهم ، جعل لكم الماء طهورا ، وقال(٤) : ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ، ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما .

---

١ ـ الطبرى : جامع البيان عن تأويل آى القرآن جـ ٢٢ ص ٩٤ ، ٩٥ .
ـ القرطبى : الجامع لأحكام القرآن جـ ٦ ص ٥٤٣٩ .
ـ السيوطى : الدر المنثور فى التفسير بالمأثور جـ ٥ ص ٢٥٥ .
٢ ـ سورة فاطر : آية ٤١ .
٣ ـ السيوطى : الدر المنثور فى التفسير بالمأثور جـ ٢ ص ١١٠ .
٤ ـ سورة النساء : آية ١١٠ .

لا يمكننا والأمر كذلك أن نغفل أثر هذه الثقافة فى تكوين عبد الله الفكرى فقد كانت أحد مقومات ثقافته ، فضلا عن أنها كانت جزءا من ثقافة البيئة والعصر معا ، والثقافات تتداخل ، ولا سبيل إلى العزل بينها ، غير أن مقدار تأثيرها لم يتجاوز مدى محددا حتى يمكننا أن نقول باطمئنان بالغ : إن مجال العقيدة ظل إسلاميا خالصاً ، «(١)فلم يعرف عمن اتصل بأهل الكتاب من الصحابة أنهم رجعوا إليهم فى العقائد ، ولا فى الأحكام لثقتهم بأن ما عندهم يكفيهم عن سؤالهم ، وإذا ثبت أنهم سألوهم عن شيء من العقائد ، فما كان ذلك عن تهوك وارتياب منهم ، وإنما كان لإقامة الحجة عليهم ، وإقناعهم بصدق ما عندنا بتصديق ما عندهم له ، وما كان يخشى من سؤالهم خطر على عقائد الصحابة ، ولا على أفكارهم بعدما استقرت أمور الشريعة ، ورست قواعدها» .

لا ينبغى لأحد إذا أن يقول إن الحديث عن هذا اللون من الثقافة فيه مطعن لعبد الله بن مسعود أو غيره من الصحابة ، أو إنها شوشت عليهم فكرهم ، فالواقع أنها لم تكن لها قيمة فى الفكر الدينى بعامة ، فالدين غض ، ووجود الرسول صلى الله عليه وسلم بين القوم فيه غناء ، وآيات القرآن كانت تملأ على الناس عقولهم وقلوبهم ، ثم إنها كانت فى الأخبار والقصص والتاريخ ، وما كان منها فى العقيدة والأحكام خضع للمنهج(٢) الإسلامى .

---

١ — محمد حسين الذهبى : الإسرائيليات فى التفسير والحديث ص ٨٥ — دار النصر للطباعة سنة ١٩٧١ .
وانظر : ص ٩٢ ، ٩٣ ، ١٠١ ، ١٠٣ من المرجع نفسه .

٢ — الأساس فى هذا المنهج أن ما وافق الشرع صدقناه ، وما خالفه كذبناه ، وما كان مسكوتا عنه توقفنا فيه .

وليس لأحد أن يذهب إلى أن ما ورد من إسرائيليات منسوباً إلى عبد الله أو إلى غيره من الصحابة يفيد فى معرفة بعض الجوانب من حياتهم العقلية ، ذلك لأنها إما أن تكون مما سمعوه من أهل الكتاب»(١) وغالبه كذب وبهتان لأنه قد دخله تحريف وتبديل ، وتغيير وتأويل ، وما أقل الصدق فيه .. ثم ما أقل فائدة كثير منه ولو كان صحيحا» . وإما أن تكون مما اختلق عليهم ودس فى أقوالهم ، يقول ابن كثير(٢) : لعل بعضها مدرج ليس من كلام الصحابة ، أو أنهم أخذوه من بعض الكتب القديمة» ومحك بيانها عندئذ هو ردها إلى القرآن ، وعرضها على العقل والحس ، وإظهار ما عرف على رواتها من تجريح وتكذيب .

ويبدو أن عبد الله كان يعرف بعض الألفاظ من اللغة الحبشية وقد أتاه ذلك من إقامته بالحبشة حين هاجر إليها فى أول الإسلام ، فقد فسر قوله تعالى(٣) : «إن ناشئة الليل هى أشد وطءاوأقوم قيلا» بقوله : «إن ناشئة الليل هى بالحبشية قيام الليل» .

وبعد هذا ، أو قل قبل هذا ، كانت هناك رغبة ذاتية تدفع عبد الله إلى طلب العلم وتحصيله ، وقد بدت هذه الرغبة مبكرا منذ أن كان غلاماً ، وفى لقائه الأول بالنبى صلى الله عليه وسلم ، فقد مر بنا أنه حين سمع القرآن منه طلب إليه أن يعلمه منه ،فدعا له بأنه غلام معلم .

---

١ — ابن كثير : تفسير القرآن العظيم : جـ ٣ ص ١٦ .
٢ — ابن كثير : تفسير القرآن العظيم جـ ١ ص ٧٦ ، ٧٧ .
١ — سورة المزمل : آية (٦) .
٢ — السيوطى : الدر المنثور فى التفسير بالمأثور جـ ٦ ص ٢٧٨ .

وقد بدت هذه الرغبة كذلك فيما كان يشغل به نفسه من مسائل اللغة والشعر ، وقصده بالسؤال من عرف بالتعمق فيهما . وربما كان له فى شيء منهما كتاب، فقد روى عن معن قال(١) : أخرج لى عبد الرحمن بن عبد الله ابن مسعود كتاباً وحلف لى أنه خط أبيه بيده .

---

١ — ابن عبد البر : جامع بيان العلم وفضله جـ ١ ص ٨٦ .

الباب الثانى

عبد الله بن مسعود: المربى والمعلم

«الدراسة صـــلاة»

«ابن مسعود»(١)

الفصل الأول

فى درس القرآن

اضطلع عبد الله بن مسعود بالدرس القرآنى ، وبخاصة فى الكوفة ، وقد أوضح عمر له هذه المهمة حين وجهه إليها ، قال له(١) : إنى وجهتك معلماً ليس لك صوت ولا عصا ، فاقتصر على كتاب الله ، فإنه كفاك وإياهم .

وقدر عبد الله جلال المسئولية ، وعظم التبعة ، فأقبل يبين لتلاميذه ضرورة الاهتمام بالدرس القرآنى ، والعناية به قال(٢) : تعاهدوا هذه المصاحف ، وربما قال : القرآن ، فلهو أشد تفصيا من صدور الرجال من النعم من عقله ، ودفعته الحمية الدينية إلى أن يربط بين الدرس القرآنى والفوز برضا الله ومحبته قال (٣) : لا يسأل أحدكم عن نفسه إلا القرآن ، فإن كان يحب القرآن ، فهو يحب الله ، وإن كان يبغض القرآن فهو يبغض الله ، وبين مقصده من حب القرآن فقال(٤) : «ومن علامة حب القرآن ، حب أهل القرآن ، وكثرة تلاوته آناء الليل وأطراف النهار» ، كذلك بين لمن نهل من القرآن ، وتزود بآياته أنه سيعصمه من كل سوء ، وينجيه من كل شر ، ثم هو بعد ذلك سيؤجر على تلاوته ، قال (٥) : «إن هذا القرآن مأدبة الله ، فتعلموا من مأدبته ما استطعتم ، إن هذا القرآن حبل الله ، وهو النور المبين ، والشفاء النافع ، عصمة من تمسك به ، ونجاة من اتبعه ، لا يعوج فيقوم ،

---

١ — وكيع : أخبار القضاة جـ ٢ ص ١٨٨ .
٢ — أحمد بن حنبل : المسند ص ٢٢٠ ، ٢٢١ حديث رقم ٣٦٢٠ .
— وفى رواية «استذكروا القرآن فإنه أسرع تفصيا من صدور الرجال من النعم من عقله .
— سنن النسائى : كتاب الافتتاح جـ ٢ ص ١٥٤ .
٣ — ابن العماد : شذرات الذهب جـ ١ ص ٣٩ ط . بيروت .
٤ — أبو طالب المكى : قوت القلوب جـ ٣ ص ٧٨ .
٥ — القرطبى : الجامع لأحكام القرآن جـ ١ ص ٥ ، وانظر ص ٧ .
— أبو بكر الباقلانى : الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به ص ٨٦ ط . الخانجى سنة ١٩٦٣ .

ولا يزيغ فيستعتب ، ولا تنقضى عجائبه ، ولا يخلق عن كثرة الرد ، فاتلوه فإن الله يأجركم على تلاوته بكل حرف عشر حسنات .

وقال(١) : تعلموا القرآن فإنه يكتب بكل حرف منه عشر حسنات ، ويكفر به عشر سيئات ، أما إنى لا أقول ألم حرف ولكنى أقول ألف عشر ولام عشر ، وميم عشر .

وكان يقول للرجل حين يقرئه الآية(٢) : تعلمها فإنها خير لك مما بين السماء والأرض . حتى يقول ذلك فى القرآن كله .

كذلك كان يقول(٣) : لو أن أحدكم غدا فتعلم آية من كتاب الله ، كانت له خيرا من أربع ، وأربع حتى عد شيئا كثيرا .

وكان يفزعه أن ينشغل المسلمون بغير كتاب الله ، فيكون مصيرهم كالأمم التى كانت قبلهم ، فقد هلكت لأنها لم تتمسك بكتابها . قال مرة(٤): بينما نحن عند عبد الله بن مسعود إذ جاء ابن قرة بكتاب قال : وجدته بالشام فأعجبنى فجئتك به ، قال فنظر فيه عبد الله ، ثم قال : إنما هلك من كان قبلكم باتباعهم الكتب ، وتركهم كتابهم ، ثم دعا بطست فيه ماء ، فماثه فيه ، ثم محاه .

---

١ — السيوطى : الدر المنثور فى التفسير بالمأثور جـ ١ ص ٢٢ .
٢ — السيوطى : الدر المنثور فى التفسير بالمأثور جـ ١ ص ٣٤٩ .
٣ — السيوطى : الدر المنثور فى التفسير بالمأثور جـ ١ ص ٣٤٩ .
٤ — البغدادى : تقييد العلم ص ٥٣ تحقيق يوسف العش دمشق سنة ١٩٤٩ .
— راجع سنن الدارمى جـ١ص ١٢٣ .
— الدكتور ناصر الدين الأسد : مصادر الشعر الجاهلى ص ٦٣ .

وقد مر بنا أن الرسول صلى الله عليه وسلم شهد له بسلامة طريقته فى القراءة» وأقر له بجودتها ، ووصفه بأنه يقرأ القرآن غضا كما أنزل،وكان مما روى عنه أنه قرأ(١) سورة النساء ، فكان يسجلها سجلا،فأخذت قراءته بمجامع القلوب ، ودمعت عينا الرسول صلى الله عليه وسلم .

لقد أوتى عبد الله حسن(٢) الصوت ، وجمال التلاوة ، فكان(٣) يرعى مخارج الحروف ، ويحفظ الوقوف ، كما كان يخفض الصوت ، ويحزن فى قراءته، كذلك كان يتأنى فيها ، ويتمهل فى أدائها،و لا يسرع فى شئ منها، فيقرأ(٤) حرفا حرفا ليحافظ على الضوابط ، ويتحرى الأحكام ، كما أنه كان يكره تقطيعها ، والخروج بها عن قواعدها .

وقد أخذ عبد الله تلاميذه بهذه الطريقة التى استنها ، وكان يرفق بهم فى تعليمها لهم ، فوجههم إلى ترتيل القرآن ، قال علقمة(٥) ، قال لى عبد الله : اقرأ — وكان علقمة حسن الصوت — فقرأ ، فقال عبد الله ، رتل فداك أبى وأمى — رتل(٦) فإنه زين القرآن .

وروى جويبر عن الضحاك قال(٧) : قال عبد الله بن مسعود:«جودوا القرآن ، وزينوه بأحسن الأصوات ، وأعربوه فإنه عربى ، والله يحب أن يعرب به» .

---

١ — الباقلانى : الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به ص ٨٤ .
٢ — البلخى : البدء والتاريخ جـ ٥ ص ٩٧ .
٣ — راجع الجرجانى : التعريفات ص ٥٧ ط . لبنان سنة ١٩٦٩ .
٤ — البخارى : خلق أفعال العباد.رسالة نشرت ضمن كتاب عقائد السلف ص ٢٠٣ .
٥ — البخارى : خلق أفعال العباد : ص ١٦١ .
٦ — أبو شامة : المرشد الوجيز ص ٢٠٥ .
٧ — القرطبى : الجامع لأحكام القرآن جـ ١ ص ٢٣ .

و كان عبد الله بذلك يود لهم لو تشبهوا بالنبي (ص) في قراءته، قال البراء: سمعت(١) النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في العشاء : والتين والزيتون فما سمعت أحداً أحسن صوتاً أو قراءة منه .

وقد نصح عبد الله تلاميذه بألا يجهر بعضهم على بعض بالقراءة ، فقال لقوم كانوا يقرأون القرآن فيجهرون به(٢) «خلطتم على القرآن» .

وحمل عبد الله تلاميذه على ألا يسرعوا في القراءة ليفرغوا من السورة قال(٣) : لا تهذوه هذا الشعر ، قفوا عند عجائبه ، وحركوا به القلوب ، ولا يكن هم أحدكم آخر السورة .

وقال عمرو بن مرة(٤) سمعت أبا وائل يحدث أن رجلا(٥) جاء إلى ابن مسعود ، فقال : إني قرأت المفصل كله في ركعة ، فقال عبد الله : هذا كهذ الشعر ، لقد عرفت النظائر التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرن بينهن ، فذكر عشرين سورة من المفصل ، سورتين سورتين في ركعة .

١ — صحيح البخاري : كتاب التوحيد ج ٩ ص ١٩٤ . ط . الشعب .
٢ — البخاري : خلق أفعال العباد : رسالة نشرت ضمن كتاب عقائد السلف ص ٢٠٨ .
٣ — أبو شامة : المرشد الوجيز ص ٢٠٥ .
٤ — أبو بكر الباقلاني : الإنصاف فيما يجب اعتقاده ، ولا يجوز الجهل به ص ٨٦ ط . الخانجي سنة ١٩٦٣ .
— ابن حجر العسقلاني : فتح الباري بشرح صحيح البخاري ج ٢ ص ٢١٤ ، ٢١٥ .
— الترمذي : السنن ج ١ ص ١٤٢ .
— النسائي : السنن ج ٢ كتاب الافتتاح ص ١٧٥ .
— ورد الخبر في اللسان منسوباً إلى ابن عباس ، قال له رجل : قرأت المفصل الليلة ، فقال : أهذا كهذ الشعر . انظر ابن منظور : لسان العرب مادة هذذ .
— البخاري الجامع الصحيح ج ٣ ص ٢٣٤ .
— السيوطي : الدر المنثور في التفسير بالمأثور ج ٦ ص ٢٥ .
٥ — هو نهيك بن سنان (انظر السيوطي : الدر المنثور في التفسير بالمأثور ج ٦ ص ٤٩ .

ومراده بالمفصل(١) هو من سورة «ق» إلى آخر القرآن ، وسمى مفصلا لكثرة الفصل بين سوره بالبسملة ، وقيل(٢) أوله سورة الحجرات على الأرجح ، وآخره سورة الناس اتفاقا .

أما الهذ فذكر السيوطى(٣) أنه السرد والإفراط فى السرعة ، وكانت هذه عادتهم فى إنشاد الشعر ، وقال النووى(٤) . قوله كهذ الشعر معناه فى حفظه وروايته ، لا فى إنشاده وترنمه ، وأما النظائر فقد قال الحافظ بن حجر إنها(٥) السور المماثلة فى المعانى كالمواعظ والحكم والقصص لا المماثلة فى عدد الآى ، وذكر المحب الطبرى(٦) أنه كان يظن أنها متساوية فى العدد حتى اعتبرها فلم يجد فيها شيئا متساويا .

وهذه النظائر هى(٧) : الذاريات ، والطور ، والنجم ، واقتربت ، والرحمن ، والواقعة ، ونون ، والحاقة ، والمزمل ، ولا أقسم بيوم القيامة ، وهل أتى على الإنسان ، والمرسلات ، وعم يتساءلون ، والنازعات ، وعبس وويل للمطففين ، وإذا الشمس كورت ، والدخان ، وأخرج الطبرانى عن ابن مسعود ، قال : إنى أحفظ القرآن التى كان رسول الله يقرأ بهن ثمانى عشرة من المفصل ، وسورتين من آل حميم .

---

١ — السيوطى : شرح السيوطى على سنن النسائى جـ ٢ ص ١٧٥ .
٢ — المناوى : فيض القدير — شرح الجامع الصغير جـ ١ ص ٥٦٥ .
٣ — السيوطى : شرح السيوطى على سنن النسائى جـ ٢ ص ١٧٥ .
— حاشية السندى على سنن النسائى جـ ٢ ص ١٧٥ .
٤ — شرح النووى على صحيح مسلم جـ ١ ص ٥٣٦ .
٥ — السيوطى : شرح السيوطى على سنن النسائى جـ ٢ ص ١٧٥ .
٦ — السيوطى : شرح السيوطى على سنن النسائى جـ ٢ ص ١٧٥ .
٧ — السيوطى : الدر المنثور فى التفسير بالمأثور جـ ٦ ص ٢٥ .

وقد قرن الرسول صلى الله عليه وسلم بين(١) الرحمن والنجم فى ركعة ، واقتربت والحاقة فى ركعة ، والذاريات والطور فى ركعة ، والواقعة ون فى ركعة ، وسأل والنازعات فى ركعة ، وعبس وويل للمطففين فى ركعة ، والمدثر والمزمل فى ركعة ، وهل أتى ولا أقسم فى ركعة ، وعم يتساءلون والمرسلات فى ركعة ، وإذا الشمس كورت والدخان فى ركعة .

وكان عبد الله يبصر أصحابه بأن القراءة الحقة تعنى المعايشة الحقيقية للنص القرآنى ، والتخلق به ، فى قوله (٢)تعالى «يتلونه حق تلاوته» قال (٣)أى يتبعونه حق اتباعه ، وعن أبى العالية قال(٤) : قال عبد الله بن مسعود : والذى نفسى بيده إن حق تلاوته أن يحل حلاله ، ويحرم حرامه ، ويقرأه كما أنزل الله ، ولا يحرف الكلم عن مواضعه ، ولا يتأول منه شيئا على غير تأويلـه .

ولكى يتحقق هذا القصد كان عبد الله يعلم تلاميذه تدبر القرآن عنـد قراءته ؛ فلا يقفون بكلماته عند مخارج حروفها ، ولا يتلون آياته بألسنتهم ، وقلوبهم هواء ، وإنما عليهم أن يجعلوا قراءتهم له تملأ عليهم رؤوسهم وصدورهم ،

١ — السيوطى : شرح السيوطى على سنن النسائى جـ ٢ ص ١٧٥ .
٢ — سورة البقرة : آية ١٢١ .
٣ — الطبرى : جامع البيان عن تأويل آى القرآن جـ ٢ ص ٥٦٧ .
— ابن كثير : تفسير القرآن العظيم جـ ١ ص ٢٨٧ .
٤ — راجع الطبرى : جامع البيان عن تأويل آى القرآن جـ ٢ ص ٥٦٧ — ٥٦٩ .
— ابن كثير : تفسير القرآن العظيم جـ ١ ص ٢٨٦ .
— السيوطى : الدر المنثور فى التفسير بالمأثور جـ ١ ص ١١١ .

قال لهم(١) : إن أقواماً يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم ، ولكن إذا وقع فى القلب فرسخ فيه نفع .

وكان يحذرهم من أن يقرأوا القرآن من أقصى الحلق ، قال(٢) : إياكم والتنطع : والتنطع هو التكلم بأقصى الحلق - مأخوذ من النطع ، وهو الغار الأعلى - ،وهو فى هذا يتأسى برسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويأخذهم بحديثه «(٣)ألا هلك المتنطعون» والمتنطعون هم(٤) المتعمقون المغالون أى المتجاوزون الحدود فى أقوالهم وأفعالهم .

وكان عبد الله يرى أن قارىء القرآن لو تدبره ، وعمل به لعرف بين الناس بسمات لا توجد فى غيره لأنه سيأخذ بما هداه إليه ، فيصبح طيب المظهر والمخبر مما يجعل شخصيته تمثل نمطا مميزا بين الناس ، وقد أكد عبد الله ضرورة أن يكون تلاميذه من هذا النوع فأخذهم بقوله(٥) : «ينبغى لقارىء القرآن أن يعرف بليله إذا الناس نائمون ، وبنهاره إذا الناس مستيقظون ، وببكائه إذا الناس يضحكون ، وبصمته إذا الناس يخوضون» .

---

١ - السيوطى : الدر المنثور فى التفسير بالمأثور جـ ٦ ص ٤٩ .
- أبو بكر الباقلانى : الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به ص ٨٨ .
- صحيح مسلم : جـ ١ ص ٥٣٦ ، وانظر ص ٥٦٤ .
- أحمد بن حنبل : المسند جـ ٥ ص ٢١٥ حديث رقم ٣٦٠٧ .
٢ - أبو شامة : المرشد الوجيز ص ٢٠٣ .
- ابن عبد البر : جامع بيان العلم وفضله جـ ٢ ص ١٢١ .
٣ - أحمد بن حنبل جـ ٥ ص ٢٣٩ حديث رقم ٣٦٥٥ .
٤ - انظر شرح النووى على صحيح مسلم جـ ١٦ ص ٢٢٠ .
- شرح الأبى على صحيح مسلم جـ ٧ ص ١٠٦ .
- شرح السنوسى على صحيح مسلم جـ ٧ ص ١٠٦ .
٥ - القرطبى : الجامع لأحكام القرآن جـ ١ ص ٢١ .
- أبو شامة : المرشد الوجيز ص ٢٠٥ .

«وينبغى(١) لحامل القرآن أن يكون باكيا محزونا ، حكيما ، حليما ، عليما ، سكيتا» .

— «وينبغى(٢) لحامل القرآن ألا يكون جافيا ، ولا غافلا ، ولا صخابا ، ولا صياحاً» .

وكان عبد الله يحذر من أن يقرأ القرآن منكوساً ، وقال(٣) : ذلك منكوس القلب ، وكان يعنى بذلك من يقرأ السورة منكوسة ، ويبتدىء من آخرها إلى أولها لأنه إفساد للسورة ، ومخالفة لما قصد بها .

وكان عبد الله يتخذ له مجلساً فى المسجد حين يريد أن يقرىء تلاميذه القــرآن .

قال مسروق(٤) : كان عبد الله يقرئنا القرآن فى المسجد ، ثم نجلس به نثبت الناس .

وكان عبد الله ينهج نهج النبى (ص) فى التثبت من جودة قراءة تلاميذه وتمكنهم من أصول التلاوة وقواعدها ، فكان يطلب منهم أن يقرأوا عليه القرآن كما كان الرسول (ص) يفعل فى حياته .

روى أبو حيان الأشجعى عن ابن مسعود ، قال(٥) : قال لى : اقرأ

---

١ — أبو نعيم الأصبهانى : حلية الأولياء وطبقات الأصفياء جـ ١ ص ١٣٠ .
٢ — أبو نعيم الأصبهانى : حلية الأولياء وطبقات الأصفياء جـ ١ ص ١٣٠ .
— السيوطى : الدر المنثور فى التفسير بالمأثور جـ ٥ ص ٢٥٠ .
٣ — القرطبى : الجامع لأحكام القرآن جـ ١ ص ٦١ .
— الزركشى : البرهان فى علوم القرآن جـ ١ ص ٢٥٧ .
٤ — ابن الجزرى : غاية النهاية فى طبقات القراء جـ ١ ص ٤٥٩ .
٥ — أحمد بن حنبل : المسند جـ ٥ ص ١٨٥ حديث رقم ٣٥٥٠ .

على من القرآن ، قال : فقلت له : أليس منك تعلمته وأنت تقرئنا ، فقال : إني أتيت النبي (ص) ذات يوم ، فقال اقرأ على من القرآن ، قال : فقلت يارسول الله ، أليس عليك أنزل ، ومنك تعلمناه ؟ قال : بلى ، ولكني أحب أن أسمعه من غيري .

وروى البخاري عن(١) علقمة ، قال : كنا جلوساً عند ابن مسعود ، فجاء خباب ، فقال يا أبا عبد الرحمن ، أيستطيع هؤلاء الشباب أن يقرأوا كما تقرأ ، قال : أما إنك لو شئت أمرت بعضهم يقرأ عليك ، قال أجل .

قال : اقرأ يا علقمة ... فقرأت خمسين آية من سورة مريم ، فقال عبد الله كيف ترى ، قال : قد أحسن ، قال عبد الله : ما أقرأ شيئا إلا وهو يقرأه .

وقرأ(٢) عليه الأسود ، وتميم بن حذلم ، والحارث بن قيس ، وزر بن حبيش ، وعبيد بن قيس ، وعبيد بن فضلة ، وعلقمة ، وعبيدة السلماني ، وعمرو بن شرحبيل ، وأبو عبد الرحمن السلمي ، وأبو عمرو الشيباني ، وزيد ابن وهب ، ومسروق .

وقد ذاعت قراءة عبد الله في العراق حيث عاش كثيرون ممن قرأوا عليه ، يقول ابن حزم(٣) : ولأهل الكوفة القراءة المعروفة بعاصم بن أبي النجود (تابعي مات سنة ١٢٨) قرأ على أبي عبد الرحمن السلمي وزر بن حبيش ، وقرأ زر على ابن مسعود ، وهي خير القرآن (أي القراءة) عندنا من غير أن ننكر غيرها .

---

١ — صحيح البخاري جـ ٥ باب قدوم الأشعريين وأهل اليمن ص ٢٢٠ ط . الشعب .
٢ — ابن الجزري : غاية النهاية في طبقات القراء جـ ١ ص ٤٥٨ .
— الذهبي : معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار جـ ١ ص ٣٤ .
٣ — ابن حزم : من رسالة له نشرت في كتابه جوامع السيرة ص ٢٦٩ .

وقد لفت الطبرى إلى ذلك فكثر فى كلامه عقب ما يورده من قراءات عبد الله قوله(١) : «فقرأ ذلك قراء أهل الكوفة» وقوله(٢) : «فأما قارىء ذلك كذلك من أهل الكوفة فإنه ذكر عنه أنه قرأه كذلك اعتبارا منه بقراءة ابن مسعود» .

ولا يمنع ذلك من ذكر ما اعترض به على عبد الله ، فقد عاب عمر بن الخطاب عليه (٣)ظاهرة الفحفحة التى اختصت بها هذيل ، والتى أخذها تلاميذه عنه ، فقد سمع رجلا يقرأ «عتى حين»(٤) فقال من أقرأك ؟ قال : ابن مسعود ، فكتب إليه إن الله أنزل هذا القرآن فجعله عربيا ، وأنزله بلغة قريش ، فأقرىء الناس بلغة قريش ، ولا تقرئهم بلغة هذيل .

كذلك قيل لابن عباس(٥) : إن ابن مسعود قرأ ، ونادوا يا مال ليقض علينا ربك» بحذف الكاف للترخيم فقال : ما أشغل أهل النار عن الترخيم .

ولم يقف ابن مسعود بجهده فى التعليم عند حد إقراء القرآن ، وإنما كان يفسره لمن يحضرون مجالسه .

قال مسروق(٦) : كان عبد الله يقرأ علينا السورة ثم يحدثنا فيها ،ويفسرها عامة النهار .

---

١ – الطبرى : جامع البيان عن تأويل آى القرآن جـ ٣ ص ٢٤١ ط . دار المعارف .
٢ – الطبرى : جامع البيان عن تأويل آى القرآن جـ ٤ ص ٥٥١ .
٣ – راجع الزمخشرى : الكشاف جـ ٢ ص ٤٦٨ .
٤ – سورة يوسف : آية ٣٥ .
٥ – الزمخشرى : الكشاف جـ ٤ ص ٢٦٤ .
– أنظر قوله تعالى : «ونادوا يامالك ليقض علينا ربك قال إنكم ماكثون» سورة الزخرف آية ٧٧ .
٦ – الطبرى : جامع البيان عن تأويل آى القرآن جـ ١ ص ٨١ ط دار المعارف .

ووصفه ابن كثير(١) بأنه كانت له اليد الطولى فى تفسير كلام الله ،
ووضعه القرطبي(٢) فى المرتبة الثانية لعبد الله بن عباس .

وكان عبد الله فى تفسيره يستعين بما يعرف فى التربية الحديثة بالوسائل المعينة فى التدريس . أو وسائل الايضاح ، فقد أخرج الطبرى عن أبى الأحوص عن عبد الله فى قوله تعالى(٣) «فردوا أيديهم فى أفواههم» قال(٤) : عضوا عليها تغيظا ، وعض يده .

وقد كان عبد الله فى ذلك يستهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فى انتهاجه هذا النهج ، فقد روى (٥)أبو وائل عن ابن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم فى تفسير قوله تعالى(٦)«وأن هذا صراطى مستقيما» أنه خط خطا ، ثم قال : هذا سبيل الرشد . ثم خط عن يمينه وعن شماله خطوطا ثم قال : هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه ، ثم تلا هذه الآية .

وكان عبد الله ممن يتحرجون من القول بالرأى فى التفسير ، قال(٧) : القرآن كلام الله ، فمن قال فيه برأيه فليعلم ما يقول فإنما يقول على الله .

وأخرج ابن أبى شيبه عن ابن مسعود قال(٨) : «إن للقرآن مناراً كمنار الطريق ، فما عرفتم فتمسكوا به ، وما اشتبه عليكم فذروه» ، وكان يتوقف

---

١ — ابن كثير : البداية والنهاية جـ ٥ ص ٣٣٦ .
٢ — القرطبى : الجامع لأحكام القرآن جـ ١ ص ٣٥ .
٣ — سورة إبراهيم : آية ٩ .
٤ — الطبرى : جامع البيان عن تأويل آى القرآن جـ ١٢ ص ١٨٨ ط . الحلبى .
٥ — الزمخشرى : الكشاف جـ ٢ ص ٨٠ .
٦ — سورة الأنعام : آية ١٥٣ .
٧ — الدارمى : الرد على الجهمية : رسالة نشرت ضمن كتاب عقائد السلف ص ٣٣١ .
٨ — السيوطى : الدر المنثور فى التفسير بالمأثور جـ ٢ ص ٧ .

أمام الآيات المتشابهات ، ويعدها مما استأثر الله بعلمه . عن الربيع بن خيثم قال(١) : قال عبد الله ، ما علمك الله فى كتابه فاحمد الله ، وما استأثر به عليك من علم فكله إلى عالمه ، ولا تتكلف . فإن الله عز وجل يقول لنبيه «قل ما أسألكم عليه من أجر ، وما أنا من المتكلفين» ، وكان تفسير عبد الله مصدرا استقى منه كثير من مفسرى الكوفة ما رووه فى كتبهم . فقد روى السدى(٢) تفسيره عن مرة الهمدانى عن ابن مسعود .

ولم يقتصر عبد الله فيما أخذ به تلاميذه على الدرس القرآنى إقراء وتفسيرا ، وإنما تعهدهم بما يعينهم على التفقه فى الدين ، فبصرهم بطرائق استنباط الأحكام ، كما وجههم إلى تعلم الفرائض ليكون قضاؤهم فيما يرفع إليهم عن معرفة بما أقره الشرع ، وما جاءهم القرآن به . قال لهم(٣) : «من قرأ منكم القرآن فليتعلم الفرائض ، فإن لقيه أعرابى قال : يا مهاجر أتقرأ القرآن ، فيقول : نعم ، فيقول : وأنا أقرأ ، فيقول الأعرابى : أتفرض يا مهاجر ، فإن قال : نعم ، قال : زيادة بخير ، وإن قال : لا ، قال : فما فضلك على يا مهاجر» . كذلك كان(٤) يطالبهم بأن يتعلموا الحج والطلاق فإنه من دينهم .

---

١ — ابن قيم الجوزية : أعلام الموقعين عن رب العالمين جـ ١ ص ٥٧ .

٢ — انظر الطبرى : جامع البيان عن تأويل آى القرآن جـ ١ ص ١٥٦ — ١٦٠ . ط . دار المعارف — تعليق الشيخ أحمد شاكر .

— وراجع ناصر الدين الأسد فى كتابه : مصادر الشعر الجاهلى وقيمتها التاريخية ص ١٤٨ الطبعة الرابعة سنة ١٩٦٩م .

٣ — السيوطى : الدر المنثور فى التفسير بالمأثور جـ ٢ ص ١٢٧ .

— راجع قول عبد الله : «من لم يتعلم الفرائض والطلاق والحج فبم يفضل أهل البادية» : القرطبى : الجامع لأحكام القرآن جـ ١٨ ص ١٦٢٦ ط . الشعب .

٤ — السيوطى : الدر المنثور فى التفسير بالمأثور جـ ٢ ص ١٢٧ .

الفصل الثانی

فی درس الحدیث

أمضى عبد الله بن مسعود معظم حياته بعد النبي صلى الله عليه وسلم بعيدا عن المدينة . وكان أغلب أهل الأمصار التى قصدها ممن دخلوا فى الإسلام بعد الفتوحات ، ويؤكد خطاب عمر إلى أهل الكوفة المهام التى اضطلع بها حين أوفده إليها فقد أراده معلماً لهم لأنه أدرك حاجتهم إلى ما عنده من علم .

وفى الكوفة كثر لقاء الناس بابن مسعود ، وكان يحدثهم بما عنده من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأقبلوا يأخذونه عنه ، وربما كان ذلك وراء وصفه بأنه «حدث(١) عن النبي صلى الله عليه وسلم بالكثير» وفى حديث عامر بن عبد الله بن الزبير ما يشير إلى ذلك ، قال(٢) قلت للزبير بن العوام ، مالى لا أسمعك تحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما أسمع ابن مسعود وفلانا وفلانا ؟ قال : أما إنى لم أفارقه منذ أسلمت ، ولكنى سمعت منه كلمة ، يقول ، من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار .

والواقع أن عبد الله قد أتيح له ما لم يتح لغيره من الصحابة ، فلقد طالت صحبته للرسول صلى الله عليه وسلم ، واشتدت ملازمته له حتى كاد يعد من أهل بيته ، فضلا عن حرصه على التعلم منه ، والأخذ عنه ، ومع هذا فإن وصفه بالإكثار من الحديث أمر نسبي ، ذلك أن ما روى عنه كان أقل مما روى عن غيره من الصحابة ممن هم فى طبقته ، وعلى درجته ، وقد عده ابن حزم من أصحاب المئين ، ولا يعد(٣) مكثرا من الرواية بين الصحابة إلا كل من

---

١ — ابن حجر العسقلانى : الإصابة فى تمييز الصحابة جـ ٤ ص ٢٣٣ .
الذهبى : سير أعلام النبلاء جـ ٣ ص ١٥٩ .
٢ — البخارى : الجامع الصحيح جـ ٩ كتاب الأحكام ص ٩٠ .
— ابن ماجة : السنن جـ ١ ص ١٤ .
٣ — صبحى الصالح : علوم الحديث ص ٣٥٤ .

زاد منهم على ألف حديث ، وقد بلغت أحاديث(١) عبد الله ثمانمائة مسند ونيفا ، وعلى وجه التحديد(٢) ثمانمائة حديث وثمانية وأربعين ، اتفق البخارى ومسلم منها على أربعة وستين ، وانفرد البخارى بأحد وعشرين ، ومسلم بخمسة وثلاثين .

وقد ذكروا فى التعليل لقلة ما رواه عبد الله بن مسعود أن عمر خشى أن يخطىء الصحابة إن هم أكثروا من رواية الحديث فشدد عليهم ، وأمرهم(٣) أن يقلوا الرواية عن النبى ، يقول ابن قتيبة(٤) : «كان عمر شديدا على من أكثر الرواية ، أو أتى بخبر فى الحكم لا شاهد له عليه ، وكان يأمرهم بأن يقلوا الرواية ، يريد بذلك ألا يتسع الناس فيها ، ويدخلها الشوب ، ويقع التدليس والكذب من المنافق والفاجر والأعرابى» ، وقيل(٥) إنه سجن ابن مسعود فى نفر من الصحابة سنة بالمدينة حتى استشهد فأطلقهم عثمان ، وكان سجنهم لأن القوم أكثروا الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وفى خبر رواه شعبة عن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه قال : قال عمر لابن مسعود(٦) ، ولأبى الدرداء ، ولأبى ذر : «ما هذا

---

١ — ابن حزم : رسالة فى المفاضلة بين الصحابة ص ٢٣٨ .

٢ — ابن حزم : أسماء الصحابة الرواة ص ٢٧٦ .

— النووى : تهذيب الأسماء واللغات جـ ١ ص ٢٨٨ .

— وقد أخذت دائرة المعارف الإسلامية بهذا العدد .

انظر مادة ابن مسعود جـ ١ ص ٢٧٦ .

٣ — يعضد ذلك أن عمر ألزم نفسه بما أمر الناس به فمسنده خمسمائة وسبعة وثلاثون حديثا فقط : انظر ابن حزم : رسالة فى المفاضلة بين الصحابة ص ٢٣٧ .

٤ — ابن قتيبة : تأويل مختلف الحديث ص ٣٠ .

٥ — ابن العربى : العواصم من القواصم ص ٧٥ .

٦ — ابن حزم : الإحكام فى أصول الأحكام جـ ٢ ص ٣١٦ مطبعة الامتياز .

الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : وأحسبه لم يدعهم أن يخرجوا من المدينة حتى مات . وهذا الخبر لا يعول عليه فقد نبه ابن حزم على أنه مرسل ، وشك فيه ، فلا يصح الاحتجاج به ، وعلق عليه الشيخ أحمد شاكر بأن البيهقى وافق ابن حزم على أن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف (المتوفى سنة ٦٦ أو سنة ٦٥) عن ٧٥ سنة لم يسمع غن عمر .

ثم إن هناك رواية ثانية لهذا الخبر ، فقد روى الذهبي(١) عن شعبة عن سعد بن إبراهيم عن أبيه أن عمر حبس ثلاثة «ابن مسعود ، وأبا الدرداء ، وأبا مسعود الأنصارى» ، فقال : قد أكثرتم الحديث عن رسول الله» وهذه الرواية تختلف عن رواية ابن حزم فيمن حبسهم عمر ، فقد استبدلت أبامسعود الأنصارى بأبي ذر ، فهل تكرر(٢) الحبس من عمر ، ولو تكرر لاشتهر ، ثم إن حادثة كهذه سيطير خبرها فى الآفاق من غير أن تحتمل الشك فى المحبوسين لأنهم من أعيان الصحابة . ولو سلمنا أن العبرة فى الحادثة نفسها من حيث حبسه بعض الصحابة ، دون نظر إلى أعيانهم وأشخاصهم لأنهم أكثروا الرواية قلنا قد كان غير هؤلاء أكثر منهم حديثا ، ولم يردنا خبر عن حبسهم ، فلا يعقل أن يحبس أمير المؤمنين بعضا دون بعض فى قضية واحدة هم فيها سواء ، وهى الإكثار من الحديث .

وعلى افتراض صحة الخبر يكون المراد أن عمر منعهم الحديث ، واستبقاهم فى المدينة حتى يتثبت مما عندهم ، ويتيقن من ضبطهم لما يروون من الحديث ، ويحمل على ذلك ، ويعضده قول الخطيب البغدادى(٣) «إنه حبسهم بالمدينة حتى استشهد لفظهم سواء» .

---

١ — الذهبى : تذكرة الحفاظ : جـ ١ ص ٧ ط . الهند سنة ١٩٦٨.

٢ — محمد عجاج الخطيب : السنة قبل التدوين ص ١٠٧ ، ص ١٠٨ .

٣ — البغدادى : شرف أصحاب الحديث ص ٤٨ ط . باكستان .

وربما كان القصد أن عمر(١) خشى ألا يتدبر السامعون كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا كثر عليهم .

ومما اعترض به على الحبس المادى أن عمر(٢) لم يكن له حبس، لكن الثابت على خلاف ذلك ، فقد كان له سجن(٣) ، وسجن فيه الحطيئة على الهجو ، وسجن فيه صبيغا التميمى على سؤاله عن المتشابهات .

وإذا كنا قد رأينا أن ابن مسعود شدد على نفسه فى رواية الحديث ، والتحرى فى الأداء ، وانتهج الإقلال من الرواية ، والتورع فى الألفاظ ، فلاشك أن ذلك كان نتيجة لأسباب ذاتية، منها ورعه وتقواه ، فليس العلم عنده بكثرة الحديث ، ولكن العلم الخشية، ومنها أنه كان منصرفا إلى القرآن بإقرائه تفسيره ، ومن ثم يمكن القول إن موقف عمر لقى هوى عنده ، واستجابة لديه ، فأوجب على نفسه منهجا متشددا فى الرواية ، والتزم الحيطة فى التحديث حتى لا يقع فى الخطأ ، وأدرك عظم مسئولية من يتصدى للرواية ، فكان إذا قال(٤) : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم استقلته الرعدة ، وقال : «هكذا أو نحو ذا أو قريب من ذا» ، وكان(٥) إذا جرى على لسانه حديث علاه الكرب ، وتحدر العرق عن جبينه .

---

١ — محمد عجاج الخطيب : السنة قبل التدوين ص ١١٠ .
٢ — الرامهرمزى : المحدث الفاصل بين الراوى والواعى ص ١٣٣ الطبعة الأولى —بيروت
٣ — ابن الطلاع : أقضية رسول الله صلى الله عليه وسلم ص ٩٦ .
— بقى الحطيئة مسجونا حتى كلم عبد الرحمن بن عوف عمر فى شأنه ، فأخرجه عمر من السجن انظر الأغانى لأبى الفرج الأصفهانى جـ ٢ ص ١٥٥ .
٤ — الذهبى : تذكرة الحفاظ جـ ١ ص ١٥ .
٥ — ابن سعد : الطبقات الكبرى جـ ٣ ص ١٥٦ .
— ابن الجوزى : صفوة الصفوة ص ١٥٩ الطبعة الثانية سنة ١٩٦٨ .
— أحمد بن حنبل المسند جـ ٥ ص ٢٤٥ حديث رقم ٣٦٧٠ .
— ابن ماجة : السنن جـ ١ ص ١١ .
— السيوطى : تدريب الراوى فى شرح تقريب النواوى ص ٣١٤ .

ولم يكن ذلك من عبد الله إلا لرغبته فى أن يكون ما يرويه هو عين ما صدر عن الرسول صلى الله عليه وسلم دون تغيير أو تبديل ، فمن كذب(١) على رسول الله صلى الله عليه وسلم فليتبوأ مقعده من النار ، وقد لفت السيوطى إلى ذلك فقال(٢) : كان عبد الله بن مسعود يتغير عند ذكر الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتنتفخ أوداجه ، ويسيل عرقه ، وتلمع عيناه ، ويقول : «أو قريبا من هذا» ، «أو نحو هذا» ، «أو شبه هذا» كل ذلك خوفا من الزيادة أو النقصان ، أو السهو والنسيان ، واحتياطا للدين ، وحفظا للشريعة ، وحسماً لطمع طامع ، أو زيغ زائغ أن يجترىء فيحكى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لم يقله ، أو يدخل فى الدين ما ليس منه ، وليقتدى بهم من يسمع منهم ، ويأخذ عنهم ، فيقفو أثرهم ، ويسلك طريقهم.

وقد كان قصد عبد الله فى درس الحديث أن يأخذه تلاميذه عنه بألفاظه حتى يكونوا له أكثر ضبطا ، وأوثق أداء ، قال علقمة(٣) : لقد رأيت ابن مسعود يعلمنا هؤلاء الكلمات «التشهد» كما يعلمنا القرآن . وكان عبد الله يختار لدرسه أوقاتا مناسبة حتى لا يمل تلاميذه الدراسة ، ويظلوا فى شوق للقائه ، والجلوس إليه ، والتلقى عنه ، وهو فى كل ما يصنع إنما يقتدى برسول الله صلى الله عليه وسلم .

---

١ – أخرج أحمد والترمذى وابن ماجة عن عبد الله بن مسعود ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار» .
– أحمد بن حنبل : المسند جـ ١ ص ٣٨٩ ، ٤٠١ .
– ابن ماجة : السنن جـ ١ ص ١٣ ورقم الحديث ٣٠
٢ – السيوطى : تحذير الخواص من أكاذيب القصاص ، ص ١٤١ .
الدارمى : السنن : جـ ١ ص ٨٣ .
– وانظر ابن ماجة :السنن : جـ ١٠ ص ١٠ ، ١١ .
– الرامهرمزى : المحدث الفاصل بين الراوى والواعى ص ٥٤٩ .
٣ – النسائى : السنن جـ ٢ ص ٢٣٩ .

أخرج البخارى بسنده عن شقيق ، قال (١) كنا ننتظر عبد الله إذ جاء يزيد بن معاوية ، فقلنا ألا تجلس ، قال : لا ، ولكن أدخل فأخرج إليكم صاحبكم وإلا جئت أنا فجلست ، فخرج عبد الله وهو آخذ بيده فقام علينا ، فقال : أما إنى أخبر بمكانكم ، ولكنه يمنعنى من الخروج إليكم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتخولنا بالموعظة فى الأيام كراهية السآمة علينا .

وكان عبد الله يذكر الناس فى كل خميس ، فقال له رجل(٣) : يا أبا عبد الرحمن لوددت أنك ذكرتنا كل يوم . قال : أما إنه يمنعنى من ذلك أنى أكره أن أملكم ، وإنى أتخولكم بالموعظة ، كما كان النبى يتخولنا بها مخافة السآمة علينا» . وهكذا نجد أن عبد الله قد أدرك أهمية نشاط المتعلم فى عملية التعليم المثمر .

وكان عبد الله يعمد فى درسه إلى الحض على لزوم السنة ، والتمسك بها ، فكان يقول(٤) : إنما هما اثنان الهدى والكلام ، فأصل الكلام ، أو أصدق الكلام كلام الله ، وأحسن الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم ، وشر الأمور محدثاتها ، ألا وكل محدثة بدعة ، ألا لا يتطاولن عليكم الأمر فتقسو قلوبكم ، ولا يلهينكم الأمل ، فإن كل ما هو آت قريب ، إلا أن بعيدا ما ليس آتيا .

---

١ — البخارى : الصحيح : جـ ٨ كتاب الدعوات ص ١٠٩ ط . الشعب .
— أحمد بن حنبل : المسند حديث ٣٥٨١ ، ٣٥٨٦ .
— مسلم : الجامع الصحيح جـ ١٧ ص ١٦٣ ، ١٦٤ .

٢ — وفى رواية «فما يمنعنى من الخروج إليكم إلا كراهية ملكم» .
انظر ابن عبد البر : جامع بيان العلم وفضله جـ ١ ص ١٢٦ .

٣ — القسطلانى : إرشاد السارى إلى شرح صحيح البخارى جـ ١ ص ١٦٩ .
— ابن حجر العسقلانى : فتح البارى بشرح صحيح البخارى جـ ١ كتاب العلم ص ١٣٣ .
— وانظر قول عمرو بن ميمون . ما أخطأنى ابن مسعود عشية خميس إلا أتيته فيه .
— ابن ماجة : السنن جـ ١ ص ١١ .
— السيوطى : تدريب الراوى فى شرح تقريب النواوى ص ٣١٤ .
: تحذير الخواص من أكاذيب القصاص ص ١٥١ .

٤ — ابن عبد البر : جامع بيان العلم وفضله جـ ٢ ص ٢٢١ .

وقد أوضح عبد الله أن السنة مبينة للقرآن ، موضحة له ، فذكر أن الوشم هو المراد من قوله تعالى(١) «ولآمرنهم فليغيرن خلق الله» .

قال فى درس له (٢): «لعن الله الواشمات والمستوشمات ، والمتنمصات ، والمتفلجات للحسن ، المغيرات لخلق الله . فبلغ ذلك إمرأة من بنى أسد يقال لها أم يعقوب ، فجاءت إليه ، فقالت : إنه بلغنى أنك لعنت كيت وكيت ، قال : ومالى لا ألعن من لعن رسول الله (ص) وهو فى كتاب الله ، قالت : لقد قرأت ما بين الدفتين ، فما وجدت فيه شيئا من هذا ، قال : لئن كنت قرأته لقد وجدته ، أما قرأت(٣) : «وما آتاكم الرسول فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا» ، قالت : بلى ، قال : فإنه قد نهى عنه .

ولقى عبد الله رجلا محرماً وعليه ثيابه فقال له(٤): انزع عنك هذا ، فقال الرجل ، أتقرأعلى بهذا آية من كتاب الله تعالى ؟ قال : نعم : (٥)«وما آتاكم الرسول فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا» .

---

١ — سورة النساء : آية ١١٩ .
— راجع الزمخشرى : الكشاف جـ ١ ص ٥٦٧ .
٢ — البخارى : الصحيح جـ ٦ كتاب التفسير ص ١٨٤ .
— السيوطى : الدر المنثور فى التفسير بالمأثور جـ ٦ ص ١٩٤ .
— المتنمصات جمع متنمصة وهى التى تنتف الشعر من وجهها .
والمتفلجات : جمع متفلجة وهى التى تتكلف أن تفرق بين سنها من الثنايا والرباعيات .
— راجع ابن كثير : تفسير القرآن العظيم جـ ١ ص ٥١٧ .
— ابن عبد البر : جامع بيان العلم وفضله جـ ٢ ص ٢٣٠ .
٣ — سورة الحشر : آية ٧ .
٤ — القرطبى : الجامع لأحكام القرآن جـ ٧١ ص ٦٤٩٦ .
٥ — سورة الحشر : آية ٧

. ولم تقف مرويات عبد الله عند ما رواه عن الرسول صلى الله عليه وسلم بلا واسطة ، وإنما ثمة أحاديث له رواها عن(١) سعد بن معاذ، وعمر(٢) ، وعثمان(٣) ، وصفوان بن عسال ، كما روى عن أمه(٤) «أم عبد» .

ومع أن ما رواه ابن مسعود كان قليلا بالنسبة لما رواه غيره من الصحابة فقد كان تأثيره بعيد الغور في تلاميذه ، فقد وضع لهم منهجا في التحديث كانت له آثار كبيرة في نفوسهم ، فإلى جانب الإقلال من الرواية خشية أن تزل الألسن في الخطأ ، وتضل الأفهام حين يكثر عليها النقل ، أخذهم بالتثبت من الحديث ، والتحقق منه ، والتزم أمامهم أن يصحح ما يحدث به على القرآن ، قال(٥) : إنا إذا حدثنا كم أتيناكم بتصديق ذلك من كتاب الله ، وقد أقر السيوطي ذلك ، فقال(٦) : كان إذا حدث حديثا نزع له آية من الكتاب .

قال(٧) : إن العبد المسلم إذا قال سبحان الله وبحمده ، الحمد لله ، لا إله إلا الله ، والله أكبر ، تبارك الله ، أخذهن ملك فجعلهن تحت جناحيه ، ثم صعد بهن إلى السماء ، فلا يمر بهن على جمع من الملائكة إلا استغفروا

---

١ — ابن حجر العسقلاني : الإصابة في تمييز الصحابة جـ ٤ ص ٢٣٣ .
٢ — ابن حجر العسقلاني : تهذيب التهذيب جـ ٧ ص ٤٣٩ .
٣ — ابن حجر العسقلاني : تهذيب التهذيب جـ ٧ ص ١٤٠ .
٤ — عمر رضا كحالة : أعلام النساء جـ ٣ ص ٢٣٥ .
٥ — البخاري : خلق أفعال العباد : رسالة نشرت ضمن كتاب عقائد السلف ص ١٦٦ .
— السيوطي : الدر المنثور في التفسير بالمأثور جـ ٥ ص ٢٤٥ .
٦ — السيوطي : الدر المنثور في التفسير بالمأثور جـ ٦ ص ١٤٨ .
٧ — الطبري : جامع البيان في تفسير القرآن جـ ٢٢ ص ٨٠ ط . بولاق .
— السيوطي : الدر المنثور في التفسير بالمأثور جـ ٥ ص ٢٤٥ .

لقائلهن حتى يجىء بهن وجه الرحمن ، ثم قرأ(١) «إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه» .

وقال(٢) : ما من نفس برة ولا فاجرة إلا والموت خير لها من الحياة ، إن كان برا فقد قال الله(٣) «وما عند الله خير للأبرار» وإن كان فاجرا فقد قال الله(٤) : «ولا تحسبن الذين كفروا إنما نملى لهم خير لأنفسهم إنما نملى لهم ليزدادوا إثما» .

ومن قوله(٥) : «لا يصلح الكذب فى جد ولا هزل ، ولا أن يعد أحدكم صبيه ثم لا ينجزه» اقرأوا إن شئتم(٦) «وكونوا مع الصادقين» فهل فيها من رخصة .

وروى عبد الله عن النبى صلى الله عليه وسلم(٧) أنه لا يمنع عبد زكاة ماله إلا جعل له شجاع أقرع يتبعه ، يفر منه وهو يتبعه ، فيقول أنا كنزك ، ثم قال عبد الله مصداقه فى كتاب الله(٨) «سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة» .

---

١ — سورة فاطر : آية ١٠ .
٢ — السيوطى : الدر المنثور فى التفسير بالمأثور جـ ٢ ص ١٠٤ .
— الطبرى : جامع البيان عن تأويل آى القرآن جـ ٧ ص ٤٩٥ ط . دار المعارف .
— ابن كثير : تفسير القرآن العظيم جـ ٢ ص ١٨٤ .
٣ — سورة آل عمران : آية ١٩٨ .
٤ — سورة آل عمران ، آية ١٧٨ .
٥ — الزمخشرى : الكشاف جـ ٢ ص ٣٢١ .
٦ — سورة التوبة : آية ١١٩ .
— راجع شواهد أخرى : الطبرى : جامع البيان عن تأويل آى القرآن جـ ١٤ ص ٤٥٩ ، ٤٦٠ فى تفسير قوله تعالى : «ويأخذ الصدقات» : سورة التوبة : آية ١٠٤ .
: القرطبى : الجامع لأحكام القرآن جـ ١ ص ١٦٣ فى تفسير قوله تعالى «الذين يؤمنون بالغيب» سورة البقرة : آية ٣ .
٧ — أحمد بن حنبل : المسند جـ ٥ ص ٢٠٠ حديث رقم ٣٥٧٧ .
٨ — سورة آل عمران : آية ١٨٠ .

والواقع أن عبد الله فى هذا الالتزام إنما يستن بسنة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وينهج نهجه ، فقد روى أبو وائل عن عبد الله عن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال(١) : من حلف يمينا يقتطع بها مال مسلم لقى الله وهو عليه غضبان ، وقرأ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مصداقه من كتاب الله عز وجل(٢) «إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا أولئك لا خلاق لهم فى الآخرة ولا يكلمهم الله» .

وكان نزول عبد الله فى الكوفة من أسباب سبقها إلى العناية بالحديث ، وقد ذكر ابن سعد(٣) أنه كان فيها ستون شيخا من أصحابه»

وكان فى مقدمة من رووا عنه ابنه(٤) عبد الرحمن ، وابن أخيه عبد الله ابن عتبة وامرأته زينب الثقفية ، كذلك روى عنه ابن عمر(٥) ، وابن عباس ، وابن الزبير ، وأبو موسى الأشعرى ، وأنس ، وجابر ، وأبو سعيد الخدرى ، وعمران بن الحصين ، وعمرو بن حريث ، وأبو هريرة .

كما روى عنه الحجاج(٦) بن مالك الأسلمى ، وأبو أمامة ، وطارق بن شهاب ، وأبو الطفيل ، وأبو ثور الفهمى ، وأبو جحيفة ، وأبو رافع ، مولى النبى صلى الله عليه وسلم .

---

١ — أحمد بن حنبل : المسند جـ ٥ ص ٢٠٠ حديث رقم ٣٥٧٦ .
٢ — سورة آل عمران : آية ٧٧ .
٣ — ابن سعد : الطبقات جـ ٦ ص ٥ ، وراجع أسماءهم جـ ٦ ص ١٨١ .
— ابن قيم الجوزية : أعلام الموقعين عن رب العالمين جـ ١ ص ١٤ - ١٦ .
— الشيرازى : طبقات الفقهاء ص ٤٤ .
٤ — ابن حجر العسقلانى : الإصابة فى تمييز الصحابة ، جـ ٤ ص ٢٣٣ .
٥ — النووى : تهذيب الأسماء واللغات جـ ١ ص ٢٨٨ .
٦ — النووى : تهذيب الأسماء واللغات جـ ١ ص ٢٨٨ .

وقال الشعبي(١) : كان الفقهاء بعد أصحاب رسول الله بالكوفة من أصحاب ابن مسعود هؤلاء : علقمة ، وعبيدة ، وشريح ، ومسروق .

وقال (٢) لم يكن أحد من أصحاب عبد الله أطلب للعلم في أفق من الآفاق من مسروق . وكان مسروق أعلم بالفتوى من شريح ، وشريح أعلم بالقضاء منه وكان عبيدة يوازيه .

ومن أفاضل أصحابه(٣) عمرو وأرقم ابنا شرحبيل . كما روى عنه كثيرون من(٤) الصحابة والتابعين . وقد ذكر التهانوي أن(٥) إبراهيم النخعي كان ألزم الناس بابن مسعود وأصحابه ، وكان لسانهم في زمانه ، لا يفارق تلك المحجة إلا في مواضع يسيرة، ولكن الثابت أن إبراهيم النخعي لم يلتق بابن مسعود، وإنما لقي(٦) من أصحابه الأسود، وعلقمة ، ومسروق ، وعبيدة .

وفي رأي ابن معين(٧) أن أصح الأسانيد عن ابن مسعود ما رواه سليمان الأعمش عن إبراهيم بن يزيد النخعي عن علقمة بن قيس عن عبد الله بن مسعود غير أنه يعترض على ذلك بأن إبراهيم(٨) بن يزيد النخعي كان يدخل بينه وبين أصحاب عبد الله مثل هني بن نويرة وسهم بن منجاب ، وخزامة الطائي ، وربما دلس عنهم .

---

١ – السيوطي : التدريب ص ٥٤٣ .
٢ – الرامهرمزي : المحدث الفاصل بين الراوي و الواعي ص ٢٢٤
– ابن عبد البر : جامع بيان العلم وفضله ص ٩٤
٣ – السيوطي : التدريب ص ٤٢٨ .
٤ – ابن حجر العسقلاني : تهذيب التهذيب .
– البغدادي : تاريخ بغداد جـ ١ ص ١٤٧ .
٥ – التهانوي : قواعد في علوم الحديث ص ١٣٢ .
٦ – المديني : علل الحديث ومعرفة الرجال ص ٤٦
٧ – النووي : التقريب ص ٣٢ .
– مقدمة ابن الصلاح ص ٨٤ ، ٨٥ تحقيق عائشة عبد الرحمن .
– السيوطي : التدريب ص ٣٢ .
٨ – النيسابوري : معرفة علوم الحديث ص ١٠٨ .

أما عند ابن المبارك(١) فأرجح الأسانيد وأحسنها سفيان الثورى عن منصور عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله بن مسعود .

وفى رأى ابن المبارك(٢) أن جودة الحديث ليست فى قرب الإسناد بل جودة الحديث صحة الرجال .

عن ابن حزم قال(٣): قال لنا وكيع: أى الإسنادين أحب إليكم: الأعمش عن أبى وائل عن عبد الله؟ أو سفيان عن منصور عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله؟ فقلنا: الأعمش عن أبى وائل. فقال: «يا سبحان الله، الأعمش شيخ، وأبو وائل شيخ، وسفيان فقيه، ومنصور فقيه، وإبراهيم فقيه، وعلقمة فقيه، وحديث يتداوله الفقهاء خير من أن يتداوله الشيوخ» .

وقد علق ابن الأثير على ما ذكره وكيع بقوله(٤): فهذا من طريق الفقهاء رباعى إلى ابن مسعود، وثنائى من طريق المشايخ، ومع ذلك قدم الرباعى لأجل فقه رجاله .

وكان يحيى بن اليمان يذهب بابنه داود كل مذهب، فقال له يوماً: كان(٥) رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم كان عبد الله، ثم كان علقمة، ثم كان إبراهيم، ثم كان منصور، ثم كان سفيان، ثم كان وكيع .

---

١ — السيوطى: التدريب ص ٣٦، ٣٧ .
— البلقينى: محاسن الاصطلاح ص ٨٧ .
— النيسابورى معرفة علوم الحديث ص٥٥
٢ — السيوطى: التدريب ص ٣٦٨ .
٣ — النيسابورى: معرفة علوم الحديث ص ١١ .
— ابن كثير: الباعث الحثيث فى اختصار علوم الحديث ص ٨٦، ٨٧ .
— البلقينى: محاسن الاصطلاح ص ٣٨٣ .
— السيوطى: التدريب ص ٣٦٨ .
— التهانوى: قواعد فى علوم الحديث ص ٢٩٨ .
٤ — ابن الأثير: جامع الأصول جـ ١ ص ١١٤ ط بيروت سنة ١٩٦٩ .
٥ — ابن عبد ربه: العقد الفريد جـ ٢ ص ٢٣٣، وانظر جـ ٢ ص ٤٣٧.

وأوهى أسانيد ابن مسعود(١) ما رواه شريك عن أبى فزارة عن أبى زيد عن عبد الله ، وقد أرسل(٢) القاسم بن محمد عن ابن مسعود . كما أرسل عنه ابنه أبو عبيدة ، كذلك أرسل (٣)إبراهيم النخعى عنه ، قال الأعمش : قلت لإبراهيم النخعى: أسند لى عن ابن مسعود، فقال: إذا حدثتكم عن رجل عن عبد الله فهو الذى سمعت ، وإذا قلت ، قال عبد الله فهو عن غير واحد عن عبد الله ، وقد قال ابن معين(٤) فى مراسيل إبراهيم النخعى : إنها أعجب إلى من مرسلات سالم بن عبد الله، والقاسم ، وسعيد بن المسيب ، وقال أحمد لا بأس بها .

وكانت الرغبة فى المحافظة على الحديث ، وتوثيق نصه مما شغل عبد الله به نفسه ، ومن أجل هذه الغاية دعا أصحابه أن يكونوا موصولى الصلة به ، ورغبهم فى درسه وتعلمه، قال(٥): تذاكروا الحديث فإن حياته مذاكرته . كما لم يقف من جانبه عند الرواية وحدها ، وإنما أقبل يحدث الناس بما عنده من علم . وكان لتصديه للتعليم أثره ، فإن بعض من رووا أحاديثه وصلوا ما كان أدرجه فيها فرووها متصلة ، متوهمين أنه من الحديث ، من ذلك ما رواه أبو داود عن أبى خيثمة زهير بن معاوية عن الحسن بن الحر عن القاسم بن

---

١ - النيسابورى : معرفة علوم الحديث ص ٥٧ .
البلقينى : محاسن الاصطلاح ص ٨٥ .
- السيوطى : التدريب ص ١٠٦ .
٢ - السيوطى : التدريب ص ٣٩٣ .
٣ - السيوطى : التدريب ص ١٢٤ .
التهانوى : قواعد فى علوم الحديث ص ١٤١ .
٤ - السيوطى : التدريب ص ١٢٤ .
التهانوى : قواعد فى علوم الحديث ص ١٥٠ .
٥ - النيسابورى : معرفة علوم الحديث ص ١٤١ :

مخيمرة ، قال(١) : أخذ علقمة بيدى . فحدثنى أن عبد الله بن مسعود أخذ بيده ، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ بيد عبد الله بن مسعود . فعلمنا التشهد فى الصلاة ... الحديث» وفيه «فإذا قلت هذا . فقد قضيت صلاتك إن شئت أن تقوم فقم ، وإن شئت أن تقعد فاقعد» . فقوله : إذا قلت إلى آخره . وصله زهير بن معاوية بالحديث المرفوع فى رواية أبى داود هذه . وفيما رواه عنه أكثر الرواة . قال الحاكم(٢) «وذلك مادرج فى الحديث من كلام ابن مسعود» .

ومن الدليل عليه أن الثقة(٣) الزاهد «عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان» رواه عن رواية «الحسن بن الحر» كذلك ، واتفق حسين الجعفى وابن عجلان» وغيرهما فى روايتهم عن «الحسن بن الحر» على ترك ذكر هذا الكلام فى آخر الحديث مع اتفاق كل من روى التشهد عن «علقمة» وعن غيره ، عن «ابن مسعود» على ذلك . ورواه «شبابة» عن أبى خيثمة . ففصله أيضا» .

والأمر نفسه فى حديث ابن مسعود(٤) «من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة ، ومن مات يشرك بالله شيئا دخل النار ، فى رواية أخرى . قال النبى صلى الله عليه وسلم كلمة ، وقلت أنا أخرى فذكرها . فأفاد ذلك أن إحدى الكلمتين من قول ابن مسعود . ثم وردت رواية ثالثة أفادت أن الكلمة التى هى من قوله هى الثانية ، وأكد ذلك رواية رابعة اقتصر فيها على الكلمة الأولى مضافة إلى النبى صلى الله عليه وسلم .

---

١ — السيوطى : تدريب الراوى ص ١٧٣ .

٢ — النيسابورى : معرفة علوم الحديث ص ٣٩ .

— راجع قول ابن الصلاح «وإنما هذا من كلام ابن مسعود لا من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم» مقدمة ابن الصلاح ص ٢٠٨ .

٣ — مقدمة ابن الصلاح ص ٢٠٩ .

٤ — السيوطى : تدريب الراوى ص ١٧٤ .

وقد رويت موضوعات كثيرة ، روج لها من رووها من القصاص بأن نسبوها إلى عبد الله ، وأسندوها إليه ، ولكن جهلهم كان يكشف كذبهم ، ويفضح سوء طويتهم . فسلسلة الإسناد عندهم كانت تأتي على وجه مستحيل ، من ذلك ما نقله البغدادى عن محمد بن يونس الكـــديمى قال(١) : كنت بالأهواز . فسمعت شيخا يقص فقال : «لما زوج النبي صلى الله عليه وسلم عليا فاطمة أمر الله شجرة طوبى أن تنثر اللؤلؤ الرطب يتهاداه أهل الجنة بينهم فى الأطباق» فقلت له : يا شيخ ! هذا كذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : ويحك ! اسكت . حدثينه الناس . فقلت : من حدثك ؟ قال : حدثنى يمان البحيرى ، عن حفص التسترى ، عن وكيع بن الجراح ، عن عبد الله بن مسعود ، عن الأعمش ، عن عطاء ، عن ابن عباس .

---

١ — السيوطى : تحذير الخواص من أكاذيب القصاص ص ٢٠٥ ، ٢٠٦ .

— فمن الراوى هذا السند عددا من أسماء المشاهير ، غير أن فيه مجهولين هما يمان البحيرى وحفص التسترى ، كما أن الرواية على هذا النحو لا تصح فوكيع بن الجراح (١٢٩ — ١٩٧ هـ) يروى عن ابن مسعود الذى توفى سنة ٣٢ هـ وهذا محال ، وابن مسعود يروى عن الأعمش ، وهو محال كذلك فالأعمش من صغار التابعين (٦١ — ١٤٨ هـ) .

راجع ابن حجر : تهذيب التهذيب جـ ١١ ص ١٢٦ .

الذهبى : ميزان الاعتدال فى نقد الرجال جـ ٢ ص ٢٢٤ مطبعة الحلبى

الفصل الثالث

المفاهيم الإسلامية فى التعلم
فى فكر ابن مسعود

كان عبد الله يثير في تلاميذه الرغبة في التعلم حتى تتهيأ نفوسهم له، ويتوفر لديهم الاستعداد لتقبل ما يريد أن يزودهم به، وأنت تراه كالعهد به يتجه إلى الجانب الديني في حياتهم، فيذكي فيهم المشاعر الإسلامية، فكان يقرأ قوله تعالى(١) : «يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات» ثم يتوقف ويقول لمن يجلس إليه(٢) : «يا أيها الناس افهموا هذه الآية، ولترغبكم في العلم» .

وأراد أن يعلمهم الصلاة على النبي، فلم يقصد لذلك مباشرة. وإنما قال : (٣)«إذا صليتم على النبي، فأحسنوا الصلاة عليه، فإنكم لا تدرون، لعل ذلك يعرض عليه، قالوا : فعلمنا، قال: قولوا : اللهم اجعل صلواتك ورحمتك وبركاتك على سيد المرسلين، وإمام المتقين، وخاتم النبيين، محمد عبدك ورسولك، إمام الخير، وقائد الخير، ورسول الرحمة. اللهم ابعثه مقاماً محمودا يغبطه به الأولون والآخرون، اللهم صل على محمد، وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم، إنك حميد مجيد» .

ولم يكن قصد عبد الله فيما تعلمه، وفيما علمه إلا قصد المسلم بعامة، وإن كلماته لتكشف لنا عن الهدف الذى يجب أن يلتزم به أهل العلم في الإسلام، فواجبهم ألا يطلبوا به عرض الدنيا، وحظوة الخلق، وإنما عليهم أن يبتغوا به وجه الله، قال(٤) : لا تعلموا العلم لثلاث — لتماروا به السفهاء، أو لتجادلوا به الفقهاء، أو لتصرفوا به وجوه الناس إليكم —، وابتغوا بقولكم

---

١ — سورة المجادلة : آية ١١ .
٢ — الزمخشري : الكشاف جـ ٤ ص ٤٩٢ .
٣ — السيوطي : الدر المنثور في التفسير بالمأثور جـ ٥ ص ٢١٨ .
٤ — ابن عبد البر : جامع بيان العلم وفضله جـ ١ ص ٢١٤ .

وفضلكم ما عند الله، فإنه يبقى ويفنى ما سواه» . وقال(١) : «لو أن أهل العلم صانوا العلم ووضعوه عند أهله، لسادوا به أهل زمانهم . ولكنهم بذلوه لأهل الدنيا لينالوا به من دنياهم ، فهانوا عليهم» .

وقد فطن عبد الله إلى أن مادة التعلم يجب أن تناسب عقول المتعلمين فكان يتجنب فى مجالسه أن يحدث أتباعه بما لا تدركه أفهامهم . كما كان يتحرى أن يجعل درسه فيما هو معروف من الحديث . ويدع ما هو غير معروف منه خشية أن يقعوا فى وهم .

قال(٢) : «ما أنت محدثا قوماً حديثا لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة» ولم يكن عبد الله يتكلف فى درسه ، كما لم يكن يرضى أن يتعنت سامعوه . فيسألوه فيما هو معروف . فقد سئل عن الجمل . فقال(٣) : زوج الناقة ، استجهالا للسائل ، وإشارة إلى أن طلب معنى آخر تكلف .

وقد فسر التعلم وعملياته تفسيرا يغلب عليه الطابع الدينى . فالتعلم عنده عبادة ، (٤)والدراسة صلاة ، (٥)ونعم المجلس مجلس تنتشر فيه الحكمة ، وترجى فيه الرحمة .

---

١ — ابن ماجة : السنن جـ ١ ص ٩٥
— ابن عبد البر : جامع بيان العلم وفضله جـ ١ ٢٢٩ .
٢ — ابن حجر العسقلانى : فتح البارى بشرح صحيح البخارى جـ ١ ص ١٨٢ .
— ابن عبد البر : جامع بيان العلم وفضلة جـ ١ ص ١٦٣ .
— السيوطى : تدريب الراوى ص ٣٤٢ ،
— : تحذير الخواص من أكاذيب القصاص ص ٢٣٢ .
— الذهبى : تذكرة الحفاظ جـ ١ ص ١٥ .
٣ — الزمخشرى : الكشاف جـ ٢ ص ١٠٤ .
٤ — ابن عبد البر : جامع بيان العلم وفضله جـ ١ ص ٢٦ .
٥ — ابن عبد البر : جامع بيان العلم وفضله جـ ١ ص ٦٠ .

والعلم(١) ليس بكثرة الرواية ، وإنما العلم خشية الله ، ويوم الحساب سيكون هذا السؤال(٢) : يا ابن آدم : ما عملت فيما علمت .

والعلم لا يورث ، وإنما يكتسب ، فالرجل(٣) لا يولد عالماً ، وإنما العلم بالتعلم ، وهو فى حياته(٤) بين اثنتين إما عالم أو متعلم ، ولذلك فعليه أن يغدو عالماً أو متعلماً ، ولا يغدو فيما بين ذلك ، فإنما بين ذلك جاهل أو جهل .

والعلم عند عبد الله لا ينحصر فى التلقى والاختزان ، وإنما على المرء أن يعى ما تعلم ليفيد منه ويعمل به قال :

— عليكم بالعلم فإن أحدكم لا يدرى متى يفتقر إليه(٥) .

— زيادة العلم الابتغاء ، ودرك العلم السؤال ، فتعلم ما جهلت ، واعمل بما علمت(٦) .

— كونوا للعلم وعاة ، ولا تكونوا له رواة(٧) .

---

١ — ابن عبد البر : جامع بيان العلم وفضله جـ ٢ ص ٣٢ .
— السيوطى : الدر المنثور فى التفسير بالمأثور جـ ٥ ص
٢ — ابن عبد البر : جامع بيان العلم وفضله جـ ٢ ص ٣ .
٣ — ابن عبد ربه : العقد الفريد جـ ٢ ص ٢١١ ، جـ ١ ص ١٢٠ .
٤ — ابن عبد البر : جامع بيان العلم وفضله جـ ١ ص ٣٥ .
— يبدو تأثر عبد الله بالرسول صلى الله عليه وسلم واضحاً فى هذه المفاهيم .
راجع قول الرسول صلى الله عليه وسلم : «اغد عالماً أو متعلماً أو مستمعاً أو محباً ، ولا تكن الخامسة فتهلك» قال عطاء . قال لى مسعر : زدتنا خامسة لم تكن عندنا ، والخامسة أن تبغض العلم وأهله : الهيثمى : مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ط . القدسى القاهرة سنة ١٣٥٢ .
٥ — ابن عبد البر : جامع العلم وفضله جـ ١ ص ١٠٤ .
٦ — ابن عبد البر : جامع بيان العلم وفضله جـ ١ ص ١٠٥ .
٧ — ابن عبد البر : المرجع نفسه جـ ٢ ص ٩

— تعلموا فإذا علمتم فاعملوا(١) .

— إن الناس أحسنوا القول كلهم ، فمن وافق فعله قوله فذلك الذى أصاب حظه ، ومن خالف قوله فعله فإنما يوبخ نفسه(٢) .

والتذكر مرده إلى التقوى والصلاح ، والنسيان سببه عمل الخطيئة ، وإرتكاب الإثم ، والوقوع فى المعصية، قال(٣) : «إن الرجل ينسى العلم قد علمه بالذنب يعمله ، (٤)أو إنى لأحسب الرجل ينسى العلم كان يعلمه بالخطيئة يعملها» ، وقال(٥) : إن هذا القرآن تصبحون يوما وما فيكم منه شىء ، فقال رجل : كيف ذلك ؟ وقد أثبتناه فى قلوبنا ، وأثبتناه فى مصاحفنا ، نعلمه أبناؤنا ، ويعلمه أبناؤنا أبناءهم ، فقال : يسرى عليه ليلا فيصبح الناس منه فقراء ، ترفع المصاحف ، وينزع ما فى القلوب ، ثم قرأ قوله تعالى(٦) : «ولئن شئنا لنذهبن بالذى أوحينا إليك ثم لا تجد لك به علينا وكيلا» .

وتفسير عبد الله لهذه العملية التعليمية ينزع إلى ما تزود به من الثقافة الإسلامية التى تقوم على القرآن والسنة ، فهو فيما يقول ، وفيما يفعل، عيناه دائما عليهما ، يستقى منهما الفكرة السامية ، واللفظة المعبرة ، ويدلل بما ورد فيهما على سلامة رأيه ، وحسن اتجاهه .

---

١ — ابن عبد البر : جامع بيان العلم وفضله جـ ٢ ص ١٢ .
— ابن عبد ربه : العقد الفريد جـ ٢ ص ٢٢٣ مطبعة لجنة التأليف .
٢ — ابن عبد البر : جامع بيان العلم وفضله جـ ٢ ص ٩ .
٣ — ابن عبد البر : جامع بيان العلم وفضله جـ ٢ ص ٢٣٩ .
٤ — السيوطى : الدر المنثور فى التفسير بالمأثور جـ ٢ ص ٢٦٨ .
أبو نعيم الأصبهانى : حلية الأولياء وطبقات الأصفياء جـ ١ ص ١٣١ .
٥ — الزمخشرى : الكشاف جـ ٢ ص ٦٩١ .
وانظر القرطبى : الجامع لأحكام القرآن جـ ٤٣ ص ٣٩٤١ ط . الشعب .
٦ — سورة الإسراء : آية ٨٦ .

فقد دلل على أن المرء (١) قد ينسى بعض العلم بالمعصية بقوله تعالى(٢) : «فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم ، وجعلنا قلوبهم قاسية ، يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به» .

وقد أخرج ابن أبي حاتم عنه قال(٣) : أكثروا تلاوة القرآن قبل أن يرفع ، قيل : وكيف يرفع ما فى صدور الرجال . قال : يسرى عليهم ليلا ، فيصبحون منه قفرا ، وينسون قول لا إله إلا الله ، ويقعون فى قول الجاهلية وأشعارهم ، فهذا قوله تعالى(٤) : «ووقع القول عليهم بما ظلموا ، فهم لا ينطقون» ولابد أن يكون عبد الله قد سمع ووعى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم(٥) : «إياكم والمعاصى ، إن العبد ليذنب الذنب فينسى به الباب من العلم .» .

ومدارسة العلم أدعى إلى حفظه ، والتثبت منه ، ومذاكرة الحديث إحياء له فى الصدور ، قال(٦) : تذاكروا الحديث فإنه يهيج بعضه بعضا .

وكما كان عبد الله أمينا على المال لا يعطيه إلا بحق ، كذلك كان أمينا على الكلمة لا يقولها إلا عن بصر بها ، فالعلم أمانة والعالم مستأمن ، إن أدرك الحقيقة فليس له أن يكتمها ، وإن غابت عنه فليس له أن يدعيها .

---

١ — الزمخشرى : الكشاف جـ ١ ص ٦١٥ .
٢ — سورة المائدة : آية ١٣ .
٣ — السيوطى : الدر المنثور فى التفسير بالمأثور جـ ٥ ص ١١٥ .
— القرطبى : الجامع لأحكام القرآن جـ ٥٤ ص ٤٩٥٢ ط . الشعب .
٤ — سورة النمل : آية ٨٥ .
٥ — السيوطى : الدر المنثور فى التفسير بالمأثور جـ ٦ ص ٢٥٣ .
٦ — ابن عبد البر : جامع بيان العلم وفضله جـ ١ ص ١٢١ .

قال مسروق(١) : بينما رجل يحدث فى المسجد فقال فيما يقول : يوم تأتى السماء بدخان يكون يوم القيامة يأخذ بأسماع المنافقين وأبصارهم .ويأخذ المؤمنين منه كهيئة الزكام ، قال : فقدمنا حتى دخلنا على عبد الله رضى الله عنه ، وهو فى بيته ، فأخبرناه ، وكان متكئا ، فاستوى قاعدا ، فقال(٢) : أيها الناس ، من علم منكم علماً فليقل به ، ومن لم يعلم ، فليقل الله أعلم» .

لقد أدرك عبد الله الخطأ فيما أخبر به ، وأعانته صحبة الرسول (صلى الله عليه وسلم) ومعرفة أسباب النزول على معرفة وجه الحق فيه ، فلم يشأ أن يسكت عنه ، ولم يرد أن يحبس علماً عرفه ، لأن النهج الإسلامى أن ينشر العالم ما علم ، قال وهو يعرض لتفسير قوله تعالى(٣) «فارتقب يوم تأتى السماء بدخان مبين»

«سأحدثكم(٤) عن الدخان ، إن قريشا لما استعصيت على رسول الله (ص) ، وأبطئوا عن الإسلام ، قال : اللهم أعنى عليهم بسبع كسبع يوسف ، فأصابهم قحط وجهد حتى أكلوا العظام ، فجعل الرجل ينظر إلى السماء فيرى ما بينه وبينها كهيئة الدخان من الجوع ، فأنزل الله ، فارتقب يوم تأتى السماء بدخان مبين ، يغشى الناس هذا عذاب أليم ، فأتى النبى (ص) ، فقيل يا رسول الله ، استسق الله لمضر ، فاستسقى لهم ، فسقوا فأنزل الله : «إنا

---

١ — انظر : البخارى : خلق أفعال العباد : رسالة نشرت ضمن كتاب عقائد السلف ص ١٥٥
: مسلم : الجامع الصحيح بشرح النووى : جـ ١٧ : كتاب صفة القيامة والجنة والنار ص ١٤١ ، ١٤٢ .
: أحمد بن حنبل : المسند جـ ٥ حديث رقم ٣٦١٣ ص ٢١٧ .
: ابن كثير : تفسير القرآن العظيم جـ ٧ ص ٤٢٠ ، ٤٢١ .

٢ — راجع ما رواه مسروق عن عبد الله قال ، قال عبد الله : من سئل عما لم يعلم فليقل لا أعلم ولا يتكلف فإن قوله لا أعلم علم .
القرطبى : الجامع لأحكام القرآن جـ ٦٢ ص ٥٦٧٤ ط.الشعب

٣ — سورة الدخان : آية ١٠ .

٤ — السيوطى : الدر المنثور فى التفسير بالمأثور جـ ٦ ص ٢٨ .

كاشفو العذاب قليلا إنكم عائدون» ، فلما أصابتهم الرفاهية عادوا إلى حالهم ، فأنزل الله» يوم نبطش البطشة الكبرى إنا منتقمون» فانتقم الله منهم يوم بدر» .

وعند عبد الله أن القدوة الصالحة لها أهميتها فى مجال التربية ، فاكتساب كل ما هو فاضل ، وامتصاص كل ما هو خير ، إنما يحدث عندما تقع عينا طالب العلم على معلمه ، فيتحلى بما وجده عليه من حميد الخلق ، ويتخلى عما وجده قد نأى بنفسه عنه مما هو فاسدفى الطبع ، فيحاكيه فيما يفعل وما يترك ، ويقلده فيما يأخذ وما يذر ، قال(١) : من كان منكم متأسيا فليتأس بأصحاب محمد ، فإنهم كانوا أبر هذه الأمة قلوباً ، وأعمقها علماً ، وأقلها تكلفا ، وأقومها هديا ، وأحسنها حالا ، قوما اختارهم الله لصحبة نبيه (ص) ، وإقامة دينه ، فاعرفوا لهم فضلهم واتبعوهم فى آثارهم ، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم» .

أما وقد عرف ابن مسعود ذلك فى صحابة الرسول (ص) الذين تربوا على القرآن ، وعزوا بالصحبة وعلموا السنة ، فلا عجب أن يكونوا عنده خير من يؤخذ العلم النافع عنهم .

قال(٢) : «لايزال الناس بخير ما أتاهم العلم من أصحاب رسول الله (ص) ومن أكابرهم ، فإذا جاء العلم من قبل(٣) أصاغرهم ، فذلك حين هلكوا ، ونظرة ابن مسعود فيما يصدر عنه تأتيه دائما من القرآن . فإذا رأى أن(٤) العالم من يخشى الله تلى «إنما يخشى الله من عباده العلماء» .

---

١ — جامع بيان العلم وفضله جـ ٢ ص ١١٩ .

٢ — جامع بيان العلم وفضله جـ ١ ص ١٩٢ .

٣ — قيل لابن المبارك من الأصاغر ؟ قال الذين يقولون برأيهم فأما صغير يروى عن كبير فليس بصغير .

وذكر أبو عبيد فى تأويل هذا الخبر عن ابن المبارك أنه كان يذهب بالأصاغر إلى أهل البدع ، ولا يذهب إلى السن ، قال أبو عبيد : وهذا وجه ، قال أبو عبيد : والذى أرى أنا فى الأصاغر أن يؤخذ العلم عمن كان بعد أصحاب رسول الله ، ويقدم ذلك على رأى أصحاب رسول الله (ص) ، فذلك أخذ العلم عن الأصاغر .

ابن عبد البر : جامع بيان العلم وفضله جـ ١ ص ١٩١ .

٤ - جامع بيان العلم وفضله جـ ٢ ص ٧ .

وفى العراق تألقت عبقرية عبد الله بن مسعود ، وأجمع الصحابة على فضله . قال معاذ بن جبل(١) : التمسوا العلم عند أربع رهط : عند عويمر ابن أبى الدرداء ، وعند سلمان الفارسى ، وعند عبد الله بن مسعود ، وعند عبد الله بن سلام ، وأوصى معاذ(٢) عمرو بن ميمون أن يلحق بابن مسعود فيصحبه ، ويطلب العلم عنده ، ففعل ذلك .

وقال أبو موسى(٣) : «مجلس كنت أجالسه ابن مسعود أوثق فى نفسى من عمل سنة

وقال(٤) : «لا تسألونى عن شيء وهذا الحبر بين أظهركم» .

وكان(٥)لا يفتى فى المسألة تعرض له إلا بعد أن يعرف رأيه ،

وقال مسروق(٦) : وجدت أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم مثل (٧)الإخاذ يروى الواحد ، والإخاذ يروى الاثنين ، والإخاذ لو ورد عليه الناس أجمعون لأصدرهم ، وإن عبد الله بن مسعود(٨) من تلك الآخاذ .

وعنده أن العلم الإسلامى انتهى إلى اثنين كان عبد الله أحدهما ، وقد ذكر ذلك فى قوله(٩) «شاممت(١٠) أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فوجدت

١ – ابن قيم الجوزية : أعلام الموقعين عن رب العالمين ج ١ ص ١٤ ، ١٥ .
٢ – ابن قيم الجوزية : أعلام الموقعين عن رب العالمين ج ١ ص ٢٥ .
٣ – ابن الجزرى : غاية النهاية فى طبقات القراء ج ١ ص ٤٥٩ .
٤ – القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ج ١٩ ص ٦٦٥ ط . الشعب .
– أبو نعيم : حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ج ١ ص ١٢٩ .
٥ – القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ج ٢٨ ص ٢٥٧٦ ط . الشعب .
٦ – القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ج ١ ص ٣٥ مطبعة دار الكتب سنة ١٩٥٢ .
– على بن عبد الله المدينى : علل الحديث ومعرفة الرجال ص ٤٣ .
٧ – الإخاذ عند العرب : الموضع الذى يحبس الماء كالغدير .
٨ – قوله من تلك الآخاذ يعنى أن فيهم الصغير والكبير والعالم والأعلم .
٩ – ابن سعد : الطبقات الكبرى ج ٣ ص ٣٥١ .
– الشيرازى : طبقات الفقهاء ص ٤٤ ، ٤٥ .
١٠ – «شاممت» أى بحثت عنهم ، ويقال : شاممت فلانا إذا قاربته ، وتعرفت ما عنده بالاختبار والكشف .

علمهم انتهى إلى ستة(١) ، إلى عمر ، وعلى ، وعبد الله ، ومعاذ ، وأبى الدرداء ، وزيد بن ثابت ، فشاممت هؤلاء الستة فوجدت علمهم انتهى إلى على وعبدالله» .

ويفهم من ذلك أن مسروقا كان يحبذ الاتجاه إلى القول بالرأى ، والاجتهاد فيما لم يرد فيه نص ، وكان يرى أن مدرسة الرأى هى التى تملك من الإمكانات ما يجعلها تواجه المتغيرات الجديدة خارج الجزيرة العربية بحاول تتفق مع روح الإسلام وأهدافه .

وقد انتشر الفقه فى العراق على يد أصحاب عبد الله بن مسعود ولم يكن من أصحاب(٢) رسول الله صلى الله عليه وسلم من له أصحاب يذهبون مذهبه ، ويفتون فتواه ، ويسلكون طريقته إلا ثلاثة : عبد الله بن مسعود ، وزيد بن ثابت ، وعبد الله بن عباس .

وكان فى مقدمة أصحاب عبد الله الذين يقولون بقوله ، ويقضون بقضائه ، ويقرأون بقراءته : عبيدة السلمانى (توفى سنة ٧٢هـ) ، والحارث بن قيس ، ومسروق بن الأجدع الهمدانى توفى سنة ٦٣ هـ ، وعلقمة بن قيس (توفى سنة ٦٢هـ) ، وشريح بن الحارث (توفى سنة ٧٨هـ) .

قال محمد بن سيرين(٣) : كان أصحاب عبد الله الذين لا يعدلهم خمسة ،

---

١ — ثمة رواية استبدلت وأبى بن كعب بمعاذ .
انظر : ابن قيم الجوزية : أعلام الموقعين عن رب العالمين جـ ١ ص ١٦ .
النواوى : التقريب ص ٤٠٤ .
مقدمة ابن الصلاح ص ٤٣١ تحقيق عائشة عبد الرحمن . وفى رواية الشعبى ذكر أبوموسى الأشعرى مكان أبى الدرداء على بن عبدالله المدينى : علل الحديث ومعرفة الرجال ص ٤٢
انظر السيوطى : التدريب ص ٤٠٤
مقدمة ابن الصلاح ص ٤٣١ تحقيق عائشة عبد الرحمن .
٢ — على بن عبد الله المدينى : علل الحديث ومعرفة الرجال ص ٧٣ .
— مقدمة ابن الصلاح ص ٤٣١ تحقيق عائشة عبد الرحمن .
٣ — على بن عبد الله المدينى : علل الحديث ومعرفة الرجال ص ٤٥ .

فمنهم من كان يبدأ بالحارث الهمدانى ، ويثنى بعبيدة ، ومنهم من كان يبدأ بعبيدة، والحارث، وعلقمة ، ومسروق ، وشريح،ومنهم من يجعل شريحا آخرهم .

وقد خالف إبراهيم النخعى ابن سيرين ، وكان إبراهيم من أعلم الناس بأصحاب عبد الله — قال(١) : كأن أصحاب عبد الله الذين يقرأون ويفتون ستة : علقمة ، والأسود ، ومسروق ، وعبيدة ، وعمرو بن شرحبيل ، والحارث الأعور ، ما أرى ابن سيرين إلا زاد الحارث بن قيس لأن الحارث الأعور كان فى غير طريق أصحاب عبد الله ، كانت روايته ومذهبه إلى على ابن أبى طالب، وما أعلمه روى عن عبد الله إلا حديثين مختلف عنه فى أحدهما.

وكان عبد الله يعتز(٢) بتلاميذه ، ويعرف أنه أدى الواجب عليه نحوهم، فلما أراد أن يأتى المدينة جمعهم وقال لهم : والله إنى لأرجو أن يكون قد أصبح اليوم فيكم من أفضل ما أصبح فى أجناد المسلمين من الدين والفقه والعلم بالقرآن» .

---

١ — على بن عبد الله المدينى : علل الحديث ومعرفة الرجال ص ٤٦ .
— راجع ما أورده ابن سعد ، قال : كان أصحاب عبد الله الذين يقرأون ويفتون ستة : علقمة ، والأسود ، ومسروق ، وعبيدة ، والحارث بن قيس ، وعمرو بن شرحبيل . الطبقات الكبرى ج ٦ ص ١٠ .

٢ — أحمد ابن حنبل : المسندحديث رقم١٨٤٥

الباب الثالث

(ادب عبد الله بن مسعود)
الخصائص والسمات

الفصل الأول

فى الموضوعات والأفكار والأساليب

أولا : فى الموضوعات :

يغلب على أدب عبد الله بن مسعود ما نراه يغلب على أدب الزهاد بعامة، فهم ينصرفون عن الحياة رغم امتلاكها ، وهم يعرفون أن الدنيا ليست دار قرار ، وأن المرء مفارقها مهما طال به الأجل ، وكل عرض زائل ، والمال غاد ورائح .

يقول عبد الله(١) : ليس من الناس أحد إلا وهو ضيف على الدنيا ، وماله عارية ، فالضيف مرتحل ، والعارية مردودة .

وعبد الله من الزهاد الذين امتلكوا الدنيا دون أن يجعلوا لها سبيلا لكى تتملكهم ، وهم يكتفون بالقليل ، ويقنعون بالبلغة ، وليس لهم فى السعة الملهية غاية . يقول(٢) : ما قل وكفى خير مما كثر وألهى .

والثراء الحقيقى ليس ما فى الحوزة من عرض، فليس ذاك إلا زخرفا تتعلق بعض النفوس به ، فثمة لون آخر من الغنى اهتدت إليه النفوس فى ظل الإسلام .

يقول عبد الله(٣) : خير الغنى غنى النفس .

وضماً لقالحياة خليقة بأن تجعل المرء لا يغالى فى شأنها ، وأجدر به ألا يشغله الاهتمام بالمظهر عن العناية بالجوهر ، فقيمة المرء فى علمه وهديه ، وقلوه فى القرب من الله ، ومكانته فيما سيكون عليه بين أهل السماء ، وليس ما هو عليه بين أهل الأرض.

---

١ — أحمد بن حنبل : الزهد ص ١٦٣ .
— أبو نعيم الأصفهانى : حلية الأولياء وطبقات الأصفياء جـ ١ ص ١٣٤ .
ابن عبد ربه : العقد الفريد جـ ٣ ص ٢٢١ .
٢ — ابن عبد ربه : العقد الفريد جـ ٢ ص ٢٢٤ .
٣ — السيوطى : الدر المنثور جـ ٢ ص ٢٢٤ .

وقد كان عبد الله يأخذ نفسه بهذا النهج ، ويحمل تلاميذه عليه ، فيقول لهم فى درسه(١) «كونوا ينابيع العلم ، مصابيح الهدى ، أحلاس البيوت ، سرج الليل ، جدد القلوب ، خلقان الثياب ، تعرفون عند أهل السماء ، وتخفون عند أهل الأرض .

ومن هذا يتبين أن مبادىء الزهد الإسلامى قد تمثلت فى فكر عبد الله من ترك(٢) العرض الفانى ، والرضا بالقليل منه ، والرغبة فى نعيم الآخرة الدائم ، قال عبد الله(٣) : من أراد الدنيا أضر بالآخرة ، ومن أراد الآخرة أضر بالدنيا ، يا قوم فأضروا بالفانى للباقى .

وكما شاع الحديث عن الموت فى أدب الزهد كذلك نجده مستفيضا فى آثار عبد الله ، وأنت تحس فيه امتداد النظرة المقبضة إلى الدنيا التى لا راحة من متاعبها إلا بالخروج منها .

يقول(٤) : لا راحة للمؤمن دون لقاء الله عز وجل .

وهو يرى أن الموت يفجأ الناس ، فعليهم أن يكونوا على أهبة للقائه بالعمل الصالح ، ذلك لأن الله يجازى كل نفس بما عملت ، فأهل الخير يوفيهم الله حقهم ، وأصحاب الشر حصادهم مما غرست أيديهم .

يقول(٥) : «إنكم فى ممر الليل والنهار فى آجال منتقصه ، وأعمال محفوظة ، والموت يأتى بغتة ، فمن يزرع خيرا يوشك أن يحصد رغبة ومن زرع شرا

---

١ — شرح نهج البلاغة لابن أبى حديد جـ ١ ص ٤٠٣ .

٢ — الجاحظ : البيان والتبيين جـ ٣ ص ٣٦٥ .

٣ — أبو نعيم الأصبهانى : حلية الأولياء وطبقات الأصفياء جـ ١ ص ١٣٨ .

٤ — أحمد بن حنبل : الزهد ص ١٥٦ . أبو نعيم الأصبهانى : حلية الأولياء ، وطبقات الأصفياء جـ ١ ص ١٣٦ .

٥ — أحمد بن حنبل : الزهد ص ١٦١ . أبو نعيم الأصبهانى : حلية الأولياء جـ ١ ص ١٣٤

فيوشك أن يحصد ندامة ، ولكل زارع مثل الذى زرع ، لا يسبق بطىء بحظه ، ولا يدرك حريص ما لم يقدر له ، فمن أعطى خيرا فالله أعطاه ،ومن وقى شرا فالله وقاه .

ويؤكد عبد الله أن فى الموت خيرا لكل الناس على اختلاف منازعهم ، ولذلك نهاهم جميعا عن الحرص على الدنيا ، ودعاهم إلى انتزاع كل رغبة فيها ، فليس لأحد أن يقبل على الحياة ، أو يتمسك بها .

يقول(١) : «ما من نفس برة ولا فاجرة إلا والموت خير لها من الحياة ، إن كان برا فقد قال الله «وما عند الله خير للأبرار» ، وإن كان فاجرا فقد قال الله : ولا تحسبن الذين كفروا إنما نملى لهم خير لأنفسهم ، إنما نملى لهم ليزدادوا إثما .

ثانيا : الأفكار :

فى إمكاننا أن نقول إن السمة الدينية تبدو واضحة فى أدب عصر النبوة بخاصة ، وعهد الخلفاء بعامة ، على الرغم من تعدد أنواعه ، واختلاف أغراضه . وكانت العقيدة ومبادئها مناط الاهتمام عند ذوى المنزع الأدبى ، فدعوا إلى سبيل الله بالكلمة الطيبة ، والموعظة الحسنة ، حقا لقد اصطبغ(٢) الأدب فى عصر صدر الإسلام وما يليه بصبغة إسلامية إنسانية تمثل مذهبا مستقلا ، فالأفكار والروح الإسلامية قد بدأت تفرض وجودها على الأدب والأدباء مما يدل على سيادة مذهب إسلامى فى الأدب .

وكان عبد الله بن مسعود ممن نهلوا من نبع القرآن ، ومعين الحديث ، فارتوت نفسه بهما ، وشب على مبادىء الإسلام وقيمه ، فانصهر وجدانه

---

١ — السيوطى : الدر المنثور فى التفسير بالمأثور جـ ٢ ص ١٠٤ .

٢ — عبد المنعم خفاجى : الأدب فى التراث الصوفى . دار غريب للطباعة سنة ١٩٨٠ .

فيهما ، وقد واتته قدرة التعبير عن فكره وحسه لما امتلكه من ثقافة ، وما حازه من علم ، وعرف كيف يضمن المعنى الكثير فى اللفظ القليل .

خطب النبي صلى الله عليه وسلم خطبة خفيفة ، ثم قال (١) : قم يا أبا بكر ، فقام فخطب ، فقصر دون النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : قم ياعمر فاخطب ، فقام ، فخطب ، فقصر دون أبي بكر ، ثم قال : قم يا فلان فاخطب ، إلى أن قال ، قم يا ابن أم عبد فاخطب — فقام عبد الله بن أم عبد ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس ، إن الله ربنا ، وإن الإسلام ديننا ، وإن هذا نبينا «وأومى إلى بيده» رضينا ما رضى الله ورسوله ، السلام عليكم» فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أصاب ابن أم عبد . صدق ابن أم عبد .

وليس فى وسعنا إلا أن نكرر قول رسول الله صلى الله عليه وسلم «أصاب ابن أم عبد ، صدق ابن أم عبد» ، فأما عن إصابته فلأنه أحسن اختيار موضوعه ، واقترب بحسه مما كان يدور فى نفس الرسول صلى الله عليه وسلم ، فراعى بذلك المقام ، إذ الناس فى حضرة النبي صلى الله عليه وسلم ، وخير كلام يقال لهم ما اتصل بأمور الدين ، فلا شيء غيره يشغلهم ، ولا شيء غيره يشدهم ، وكل حديث فيه تتفتح له منافذ الحس فى نفوسهم . قل هذا ، أو قل إن شئت إن عبد الله نظر إلى القوم فأدرك بصادق حسه ما يناسبهم من الحديث ، فتحدث إليهم به ، أو أنه وضع يده على نبضهم فاستشعر أحاسيسهم ، وكلمهم بما كان الرسول صلى الله عليه وسلم يود أن يحدثهم به ، وبما كانوا يودون سماعه منه . ثم إن عبد الله قد عمد إلى الإيجاز فأتى بالمعنى الكثير فى

---

١ — الذهبى : تذكرة الحفاظ جـ ١ ص ١٥ .

اللفظ القليل ، وكان فى هذا وذاك قريبا من القوم ، فلم يغرب عليهم فى شىء مما قال .

وأما عن صدقه فهو فيما تحدث به ، إذ هو جوهر الدعوة ولبها ، فالمسلمون لا يعرفون إلها غير الله ، ولا دينا غير الإسلام ، ولا نبيا غير محمد ، وقد ساق عبد الله ذلك فى أسلوب خبري مؤكد ليقرر أنه حقائق ثابتة ، لا تقبل المـــراء .

وقد كانت الخطابة الدينية فى مقدمة الأغراض النثرية فى فجر الإسلام ، وقد اختلفت عن سجع الكهان الذى عرفته الجاهلية فى المعانى التى تناولتها ، واللغة التى غلبت عليها ، فزخرت بالأفكار الإسلامية ، وفاضت بالروح الدينية ، حيث دعت إلى التمسك بتعاليم الدين ، وحثت على التخلى عن نواهيه .

ومما اشتهر من خطب عبد الله قوله :

أصدق(١) الحديث كتاب الله تعالى ، وأوثق العرى كلمة التقوى(٢) ، وخير الملل ملة إبراهيم عليه السلام ، وأحسن السنن سنة محمد صلى الله عليه وسلم ، وشر الأمور محدثاتها ، وخير الأمور عزائمها ، ما قل وكفى خير مما

---

١ ـ الجاحظ : البيان والتبيين جـ ١ ص ٢٤٠ ط . لبنان سنة ١٩٦٨ (وانظر جـ ٢ ص ٢٧

٢ ـ وردت هذه الخطبة عند ابن عبد ربه فى العقد الفريد جـ ٤ ص ١٣٠ وفيها هذا الخلاف .

خير الملل / أكرم الملل . أحسن السنن / خير السنن .

خير الأمور عزائمها / خير الأمور أوسطها . نفس تنجيها / لنفس تحييها .

النساء حبالة الشيطان / النساء حبائل الشيطان . من الناس / شر الناس . أعظم الخطايا اللسان الكذوب / هذه الجملة ساقطة فى رواية العقد الفريد . من يستغفر / من يغفر .

ـ راجع هذا النص أيضا عند أبى نعيم : حلية الأولياء وطبقات الأصفياء جـ ١ ص ١٣٨ ص ١٣٩ .

كثر وألهى ، نفس تنجيها خير من إمارة لا تحصنها ، خير الغنى غنى النفس ، خير ما ألقى فى القلب اليقين ، الخمر جماع الآثام ، النساء حبالة الشيطان ، الشباب شعبة من الجنون ، حب الكفاية مفتاح المعجزة ، من الناس من لا يأتى الجماعة إلا ديرا ، ولا يذكر الله إلا هجرا .

أعظم الخطايا اللسان الكذوب ، سباب المؤمن فسوق ، وقتاله كفر ، وأكل لحمه معصية ، من يتألَّ على الله يكذبه ، ومن يستغفر يغفر له ، مكتوب فى ديوان المحسنين من عفا عمَّن عنه ، الشقى من شقى فى بطن أمه ، السعيد من وعظ بغيره ، الأمور بعواقبها ، ملاك الأمر خواتيمه ، أحسن الهدى هدى الأنبياء ، أقبح الضلالة الضلالة بعد الهدى ، أشرف الموت الشهادة ، من يعرف البلاء يصبر عليه ، من لا يعرف البلاء ينكره .

والواقع أن الصبغة الإسلامية غالبة ، فالأفكار الإسلامية تؤكد حضورها فى الخطبة ، فهى تدور على مجموعة معينة من المحاور هى : الدين ، والقرآن والسنة ، وأوامر الإسلام ونواهيه ، والقيم الدينية والأخلاقية ، وهى فى مجموعها تقدم مذهباً إسلامياً فى الأدب له فكره المتميز ، ومعالمه الخالصة .

ويبدو جليا أن عبد الله قد استوعب الدعوة الإسلامية ، وأن أصولها قد استغرقته ، فاستلهمها أفكاره ومعانيه ، واستهداها عظاته ونصائحه ، مما مهد لظهور مبادىء الدين الجديد بهذا القدر من الوفرة الذى نراه فى الخطبة .

ومذهب عبد الله الوضوح الكامل ، فالأفكار على سموها وكثرتها من السهل إدراكها دون جهد وعناء .

وقد ساعد على ذلك قصر الجمل الذى يجعل السامعين يتلقون الأفكار كلها فلا يفوتهم منها شىء ، وفى الوقت ذاته يركزها فى ألفاظ قليلة تضغط على المشاعر ، فترقى بها .

ولئن كان ظاهر الأمر يشير إلى أن الخطبة تضم مجموعة من الأفكار المتناثرة ، والحكم البليغة فى عبارات موجزة ، وجمل مقتضبة ، إلا أنه يجب ألا يغيب عنا أن خيطا واحدا يسلكها ، وروحاً واحدا يسرى فيها ، فأنت تحس النبض الإسلامى يخفق فى كل كلمة ، والمعانى فى مجموعها تعبق بشذى دينى ينفذ إلى النفوس من كل جوانبها ، ولا أثر فيه لفكر مستجلب ، أو تفلسف غريب .

وقد أخذ النظام على عبد الله قوله :(١) «الشقى من شقى فى بطن أمه» ، وود لو أنه عدل عنه ، قال : ولو كان ابن مسعود بدل نظره فى الفتيا نظر فى الشقى كيف يشقى ، والسعيد كيف يسعد حتى لا يفحش قوله على الله تعالى ، ولا يشتد غلطه .

وقد رد عليه ابن قتيبة ، فذكر أن قول(٢) عبد الله روى مرفوعاً وأن من المحال أن يكذب ابن مسعود على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مثل هذا الحديث الجليل المشهور ، ويقول حدثنى الصادق المصدوق وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم متوافرون ، ولا ينكره أحد منهم ، ولأى معنى يكذب مثله على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أمر لا يجتذب به إلى نفسه نفعا ، ولا يدفع ضرا ، ولا يدنيه من سلطان ولا رعية ، ولا يزداد به مالا إلى ماله .

وقد حكم العراقى(٣) وابن حجر بصحة الحديث إلا أن هناك من يقول إنه بهذا اللفظ من قول ابن مسعود ، فأما من حيث أنه مرفوع فقد قال فيه

---

١ — ابن قتيبة : تأويل مختلف الحديث ص ١٨ دار الكتاب العربى .
٢ — ابن قتيبة : تأويل مختلف الحديث ص ٢١ دار الكتاب العربى .
٣ — الشوكانى : الفوائد المجموعة فى الأحاديث الموضوعة — مطبعة السنة المحمدية سنة ١٣٨٠ هـ

الشوكانى فى إسناده ضعيفان ، وقال ابن الجوزى لا يثبت ، وقال الصنعانى موضوع .

ومما يوجب اللفت ورود اسم التفضيل بكثرة فى أدب عبد الله،ويلقانا من ذلك فى الخطبة قوله : «فأصدق الحديث كتاب الله تعالى ـ. وأوثق العرى كلمة التقوى — وخير الملل ملة إبراهيم عليه السلام . وأحسن السنن سنة محمد صلى الله عليه وسلم ، وشر الأمور محدثاتها» . ومرد ذلك عمق الإحساس بالأفكار والرغبة فى أن يكون الصدق فيها ، والصدق فى أدائها على مستوى واحـــد .

وقد كان عبد الله يلح فى مواعظه على أفكار معينة ، يرددها حتى ترسخ فى النفوس ، ونلحظ أنه يكاد يسوقها بألفاظها ، وبين أيدينا موعظة ثانية يقول فيها .

أصدق الحديث كتاب الله(١) ، وأحسن الهدى هدى محمد ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وخير ما ألقى فى القلب اليقين ، وخير الغنى غنى النفس ، وخير العلم ما نفع ، وخير الهدى ما اتبع ، وما قل وكفى خير مما كثر وألهى ، وإنما يصير أحدكم إلى موضع أربع أذرع ، ألالاتملوا الناس ، ولا تسئموهم ، فإن لكل نفس نشاطا وإقبالا ، وإن لها سآمة وإدبارا ، ألا وشر الروايا روايا الكذب ، الكذب يقود إلى الفجور ، وإن الفجور يقود إلى النار ، ألا وعليكم بالصدق ، فإن الصدق يقود إلى البر ، وإن البر يقود إلى الجنة ، واعتبروا فى ذلك أيهما الفئتان التقتا ، يقال للصادق صدق وبر ، ويقال للكاذب كذب وفجر .

---

١ — السيوطى : الدر المنثور فى التفسير بالمأثور جـ ٢ ص ٢٢٤ .

وقد سمعنا نبيكم صلى الله عليه وسلم يقول: لايزال العبد يصدق حتى يكتب صديقا ، ولايزال يكذب حتى يكتب كذاباً ، ألا وإن الكذب لا يصلح فى جد ولا هزل ، ولا أن يعد الرجل منكم صبيه ثم لا ينجز له ؛ ألا ولا تسألوا أهل الكتاب عن شىء ، فإنهم قد طال عليهم الأمد ، فقست قلوبهم ، وابتدعوا فى دينهم ، فإن كنتم لا محالة سائليهم ، فما وافق كتابكم فخذوه ، وما خالفه فامسكوا عنه ، واسكتوا ، ألا وإن أصغر البيوت البيت الذى ليس فيه من كتاب الله شىء ، ألا وإن البيت الذى ليس فيه من كتاب الله خرب كخراب البيت الذى لا عابر له ، ألا وإن الشيطان يخرج من البيت الذى يسمع سورة البقرة تقرأ فيه .

ومؤدى هذه الخطبة هو تمجيد القرآن والحديث ، وتعهد النفس بالنصح لتحذر مزالق الشر فى الدنيا ، وتنجو من عقاب الآخرة ، ولتأخذ بكل ما هو حق وخير فتكون راضية مرضية ، وعبد الله فى كل ذلك يدور فى مجال فكرى معين تكاد تتكرر فيه المعانى والألفاظ ، ومن الأفكار التى تكررت ، ولم تتغير الألفاظ المؤدية لها قوله :

— أصدق الحديث كتاب الله..

— شر الأمور محدثاتها . .

— ما قل وكفى خير مما كثر وألهى .

— خير الغنى غنى النفس .

— خير ما ألقى فى القلب اليقين(١) .

---

١ — يقول الطوسى : اليقين هو المكاشفة ، والمكاشفة على ثلاثة أوجه : مكاشفة العيان بالأبصار يوم القيامة ، ومكاشفة القلوب بحقائق الإيمان بمباشرة اليقين بلا كيف ولا حد ، والحالة الثالثة : مكاشفة الآيات بإظهار القدرة للأنبياء عليهم الصلاة والسلام بالمعجزات ، ولغيرهم بالكرامات والإجابات : اللمع ص ١٠٢ .

وثمة أفكار أخرى تكررت لكن ألفاظها نالها شيء من التغيير . من ذلك قوله :.

— أحسن السنن سنة محمد . أحسن الهدى هدى محمد.

— أعظم الخطايا اللسان الكذوب . ألا وشر الروايا روايا الكذب .

غير أن الأمر لا يقف بهذه الأفكار عند حد تكرارها ، ومعاودة تناولها، وإنما أنت تلحظ أنه يضيف إليها ما يزيدها عمقا ، ويفصل فيها بحيث تزداد فعاليتها فى التأثير على السامعين ، من ذلك قوله :

— شر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة . وكل بدعة ضلالة .

— ما قل وكفى خير مما كثر وألهى ، وإنما يصير أحدكم إلى موضع أربع أذرع

— ألا وشر الروايا روايا الكذب ، الكذب يقود إلى الفجور ، وإن الفجور يقود إلى النار .

وكانت مواعظ عبد الله وكلماته لها فعاليتها فى النفوس ، فأما الذين تلقوها بقبول حسن ، فهؤلاء هم أتباع عبد الله وتلاميذه الذين أخذوا العلم عنه ، وكانوا خير خلف لخير سلف . فقد انتشر العلم فى العراق على أيديهم ، وكانوا هم الأساس لحركة علمية هائلة امتدت لتشمل كل فروع المعرفة الإسلامية ، وأما الذين ضاقوا بها وأعرضوا عنها ، فهؤلاء هم الذين كانوا على شيء من اللين فى دينهم ، وعلى طرف من الرقة فى عقيدتهم من أمثال الوليد بن عقبة الذى يقول الذهبى عنه إنه أرسل إلى ابن مسعود أن اسكت عن هؤلاء الكلمات : أحسن(١) الهدى هدى محمد ، وشر الأمور محدثاتها» .

---

١ — الذهبى : سير أعلام النبلاء جـ ٣ ص ٢٧٦ .

ويشف أدب عبد الله عن مكونات ثقافته ، ويومىء إلى الروافد التى ستقاها منها ، ويمكننا أن نرد كثيرا من أفكاره وعباراته إلى مصادرها الأولى ؛

فقوله : أصدق الحديث كتاب الله . هو من قوله تعالى(١) : «ومن أصدق من الله حديثا» .

وقوله : إن الكذب لا يصلح فى جد ولا هزل ، ولا أن يعد الرجل منكم صبية ثم لا ينجز له» تأوله(٢) من قوله تعالى(٣) «يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين» .

وقوله(٤) : من اغتيب عنده مؤمن فنصره جزاه الله بها خيرا فى الدنيا والآخرة ، ومن اغتيب عنده مؤمن ، فلم ينصره جزاه الله بها فى الدنيا والآخرة شرا ، وما التقم أحد لقمة شرا من اغتياب المؤمن ، إن قال فيه ما يعلم فقد اغتابه ، وإن قال فيه مالا يعلم فقد بهته . جاء تفسيرا لقوله تعالى(٥) «ولا يغتب بعضكم بعضا ، أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه» .

وقوله(٦) «أيها الناس عليكم بالطاعة والجماعة فإنهما حبل الله الذى أمر به» أخذه من قوله تعالى(٧) : «واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ، واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا» .

---

(١) – سورة النساء آية ٨٧ ، وانظر آية ١٢٢ .
(٢) – أبو حيان : البحر المحيط جـ ٥ ص ١١٠ .
(٣) – سورة التوبة : آية ١١٩ .
(٤) – السيوطى : الدر المنثور فى التفسير بالمأثور جـ ٦ ص ٩٦ .
(٥) – سورة الحجرات : آية ١٢ .
(٦) – السيوطى : الدر المنثور فى التفسير بالمأثور جـ ٢ ص ٦٠ .
(٧) – سورة آل عمران : آية ١٠٣ .

وليس من السهل أن يحكم المرء بأن هذا التأثر كان فى غيبة عن الوعى أو عن غير قصد من عبد الله ، ففضلا عن أن كثيرا مما ورد عنه كان تفسيرا للقرآن أو بيانا للحديث ، فإننا نجد أمامنا من الشواهد ما يدل على أنه -- بعيدا عن هذا الجانب -- كان يدرك تصنيع فكرته . فقد أخرج البخارى بسنده عنه قال(١) : قال النبي صلى الله عليه وسلم كلمة ، وقلت أخرى ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : «من مات وهو يدعو لله ندا دخل النار . ، وقلت أنا : «من مات وهو لا يدعو لله ندا دخل الجنة» .

ومن حديث أبى شعبة عن النبي صلى الله عليه وسلم : (٢)«لا تقطع من كان يواصل أباك تطفىء بذلك نوره ، فإن ودك ود أبيك» ، وقال عبد الله : «من بر الحى بالميت أن يصل من كان يصل أباه» .

. وأخرج البيهقى عن ابن مسعود أنه أتى على الصفا فقال(٣) : يا لسان ، قل خيرا تغنم أو اصمت تسلم من قبل أن تندم ، قالوا يا أبا عبد الرحمن : هذا شىء تقوله أو سمعته ، قال : لا ، بل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إن أكثر خطايا ابن آدم فى لسانه .

وأخرج ابن أبى حاتم وابن مردويه عن ابن مسعود قال(٤) ، قال رسول

---

١ -- البخارى : الصحيح : جـ ٦ كتاب التفسير ص ٢٨ .

٢ -- ابن عبد ربه : العقد الفريد جـ ٢ ص ٢٢٣ .

-- راجع ما أخرجه مسلم عن عبد الله بن عمر قال : إنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : «إن أبر البر صلة الولد أهل ود أبيه» . صحيح مسلم بشرح النووى : جـ ١٦ كتاب البر والصلة والآداب ص ١٠٩ .

-- رواه الترمذى وابن ماجة وابن حنبل . انظر أ. ى. فنسنك : مفتاح كنوز السنة -- ترجمة محمد فؤاد عبد الباقى ص ٢٠٧ .

٣ -- السيوطى : الدر المنثور فى التفسير بالمأثور جـ ٢ ص ٢٢٠ .

٤ -- السيوطى : الدر المنثور فى التفسير بالمأثور جـ ٦ ص ٢٥٣ .

الله صلى الله عليه وسلم : «إياكم والمعاصى إن العبد ليذنب الذنب فينسى به الباب من العلم» ، وقال عبد الله(١) : إنى لأحسب الرجل ينسى العلم كان يعلمه بالخطيئة يعملها .

وأحيانا كانت الأفكار تتداخل فلا يستطيع عبد الله أن يفصل بين ما هو خاص به ، وما يجرى على لسانه من القرآن أو الحديث .

ومثال ذلك قوله(٢) : «ألا وشر الروايا روايا الكذب ، الكذب يقود إلى الفجور ، وإن الفجور يقود إلى النار ، ألا وعليكم بالصدق فإن الصدق يقود إلى البر ، وإن البر يقود إلى الجنة ، واعتبروا فى ذلك أيهما الفئتان التقتا يقال للصادق صدق وبر ، ويقال للكاذب كذب وفجر ، وقد سمعنا نبيكم صلى الله عليه وسلم يقول لايزال العبد يصدق حتى يكتب صديقا ، ولايزال يكذب حتى يكتب كذاباً ، ألا وإن الكذب لا يصلح فى جد ولا هزل ، ولا أن يعد الرجل منكم صبيه ثم لا ينجز له .

أكثر ما فى هذه الفقرة من الحديث ، ولم يقف عبد الله بالاقتباس عند المعنى ، وإنما لك أن تقول إن الحديث احتواه واستغرقه فغلبه على نفسه فجاء تارة مختلطا بما كتب ، وجاء تارة متميزا ، فقد أكد عبد الله فكرته السابقة بعبارات نبوية صريحة تنتظم معها .

وأنت ترى أن كثيرا مما روى فى مسند عبد الله ورد تارة موقوفا ، وأخرى مرفوعاً فقد أخرج ابن(٣) ماجة بسنده عن عبد الله ابن مسعود أن رسول الله

---

١ — السيوطى : الدر المنثور فى التفسير بالمأثور جـ ٢ ص ٢٦٨ .
٢ — السيوطى : الدر المنثور فى التفسير بالمأثور جـ ٢ ص ٢٢٤ .
— البخارى الجامع الصحيح : جـ ٨ كتاب الأدب ص ٣٠ ط . الشعب .
— أحمد بن حنبل : الزهد ص ١٥٠
— أحمد بن حنبل : المسند جـ ٥ ص ٢٧٥ حديث رقم ٣٧٢٧ .
جـ ٥ ص ٢٣١ حديث ٣٦٣٨ .
— مالك : الموطأ جـ ٣ ص ١٥٢ .

صلى الله عليه وسلم قال : إن الكذب يهدى إلى الفجور وإن الفجور يهدى إلى النار ، وإن الصدق يهدى إلى البر ، وإن البر يهدى إلى الجنة ، وإنه يقال للصادق صدق وبر ، ويقال للكاذب كذب وفجر ، ألا وإن العبد يكذب حتى يكتب عند الله كذابا .

وعن أبى الأحوص عن عبد الله ، قال(١) : من سره أن يلقى الله غدا مسلماً فليحافظ على هؤلاء الصلوات حتى ينادى بهن ، فإن الله شرع لنبيكم صلى الله عليه وسلم سنن الهدى ، وإنهن من سنن الهدى ، ولو أنكم صليتم فى بيوتكم كما يصلى هذا المتخلف فى بيته لتركتم سنة نبيكم ، ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم .

«وما من رجل يتطهر فيحسن الطهور ، ثم يعمد إلى مسجد من هذه المساجد إلا كتب الله له بكل خطوة يخطوها حسنة ، ويرفعه بها درجة ، ويحط عنه بها سيئة» .

ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق ، ولقد كان الرجل يؤتى به يهادى بين الرجلين حتى يقام فى الصف .

وقد ورد هذا الكلام فى مسند أحمد بن حنبل برمته بشىء طفيف من التغيير الذى لا يخرج به عن معناه ، إلا أن الفقرة الثانية منه جاءت حديثا مرفوعا إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، قال عبد الله ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم(٢) : «ما من رجل يتوضأ فيحسن الوضوء ، ثم يأتى مسجدا من المساجد ، فيخطو خطوة إلا رفع بها درجة ، أو حط عنه بها خطيئة أو كتبت له بها حسنة .

---

١ — مسلم : الجامع الصحيح بشرح النووى جـ ١ كتاب المساجد ص ٤٥٣ .

— النسائى : السنن كتاب الإمامة جـ ٢ ص ١٠٨ ، ١٠٩ .

٢ — أحمد بن حنبل : المسند جـ ٥ حديث رقم ٣٦٢٣ ص ٢٢٢ .

ومما ورد في خطبة عبد الله من قوله : أصدق(١) الحديث كتاب الله ، وأحسن الهدى هدى محمد ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة» .

أخرجه النسائي عن جابر بن عبد الله قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في خطبته(٢) : «... أصدق الحديث كتاب الله وأحسن الهدى هدى محمد ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار» .

وقال عبد الله(٣) «الغناء ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء الزرع ، والذكر ينبت الإيمان في القلب كما ينبت الماء الزرع» .

وأخرج ابن أبي الدنيا والبيهقي في سننه عنه قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الغناء ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل .

ويرجح عندي أن كثيرا من كلمات عبد الله ، وأحاديثه الموقوفة رفعها بعضهم إلى الرسول صلى الله عليه وسلم من ذلك أن حديث : (٤)الغناء واللهو ينبتان النفاق في القلب كما ينبت الماء العشب. رواه الديلمي ، قال النووي لا يصح .

ولك أن تقول إن ثقافة عبد الله بروافدها التي تحدثنا عنها كانت توفر له زادا فكريا ولغويا هائلا اختزنه في أعماقه ، واستوعبته ذاكرته . فإذا ما

---

١ — السيوطي : الدر المنثور في التفسير بالمأثور جـ ٢ ص ٢٢٤ .

٢ — النسائي : السنن : جـ ٣ كتاب صلاة العيدين ص ١٨٨ .

— وانظر جـ ٣ كتاب السهو ص ٥٨ .

— وراجع : ابن ماجة : السنن : جـ ١ ص ١٧ ، ١٨ .

— رواه البخاري جـ ٨ كتاب الأدب ص ٣١ ، وابن حنبل في جـ ٣ ص ٣١٠ ،

— أ. ى. فنسنك : مفتاح كنوز السنة — ترجمة محمد فؤاد عبد الباقي ص ١٥٤ .

٣ — السيوطي : الدر المنثور في التفسير بالمأثور جـ ٥ ص ١٥٩ .

— ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب جـ ١ ص ٣٩ .

٤ — الشوكاني : الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة الطبعة الأولى ١٩٦٠ م .

وجدت المثيرات التى تستدعيه والمواقف التى تستوجبه نجده يتزاحم على حسه فيأخذ منه ما يراه . وهو فى غمرة الإحساس بموضوعه لا يتوقف ليفصل بين ما هو أصيل لديه وما هو مكتسب عنده ، غير أنه فى هذا وذاك صادق الإحساس صادق الأداء .

ولم يقف هذا المنزع عند حد القرآن والحديث ، كما لم ينحصر فى خطبة أو موعظة ، وإنما يكاد يكون منهاجاً نستطيع أن نتبين مساره فيما أثر عنه ، فقد كان يضمن كلامه ما علمه من كتب أهل الكتاب ، قال(١) : لاتعادوا نعم الله ، قيل له ، ومن يعادى نعم الله ، قال : الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله ، يقول الله فى بعض الكتب «الحسود عدو نعمتى ، متسخط لقضائى ، غير راض بقسمتى» .

ثالثا : الأساليب :

القسم :

كثر أسلوب القسم فى القرآن ، فقد جاء فى إحدى وثمانين آية . كما استحدث التعبير القرآنى ألواناً منه لم يكن للقوم سابق عهد بها ، فقد أقسم(٢) الله بذاته فقال(٣) : تالله لتسألن عما كنتم تفترون» وقال(٤) : «تالله لقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فزين لهم الشيطان أعمالهم فهو وليهم اليوم ولهم عذاب أليم» ، وأقسم بالقرآن فى قوله :(٥) «يس والقرآن الحكيم ، إنك لمن المرسلين»

---

١ — ابن عبد ربه : العقد الفريد ج ٢ ص ٣١٩ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر .
١ — راجع : الدكتور يوسف خليف دراسات فى القرآن والحديث ص ٩٥ — ١٠٢ .
٢ — النحل : آية ٥٦ .
٣ — النحل : آية ٦٣ .
٤ — سورة يس : آيات (١ — ٣) .

وقوله(١) : «ص . والقرآن ذى الذكر . بل الذين كفروا في عزة وشقاق»، وأقسم بالنبي صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى(٢) : «لعمرك إنهم لفى سكرتهم يعمهون» وأقسم بالملائكة فى قوله تعالى(٣) : «والصافات صفا فالزاجرات زجرا» . وأقسم بمظاهر الطبيعة التى تؤكد عظم قدرته فقال تعـــالى(٤) : «والشمس وضحاها ، والقمر إذا تلاها ، والنهار إذا جلاها ، والليل إذا يغشاها» .

ولقد بدت النزعة الدينية عند عبد الله فيما اصطنعه من أسلوب القسم لأن سبيله إلى مدركاته كان إسلاميا خالصا ، فقد رآها من منظور دينى محض ، ولو أننا حاولنا أن نقف على سبب استخدام أسلوب القسم عنده لوجدناه جرى فيه على عادة العرب فى القسم إذا أرادوا توكيد أمر فى مواجهة من ينكره ، ولكى تكون حجته كاملة على من يقسم له ، ثم إن الأمر مـداره التعامل القائم على الوجدان ، والسبيل إلى إزالة الشك من النفوس ، وحملها على التصديق هو إثارة العواطف .

وعبد الله فى هذا المنحى يستهدى التعبير القرآنى استخدام أسلوب القسم كما جرى القرآن به ، فقد أقسم بذات الله ، كما أقسم بصفاته، وربما أقسم بالذات ثم أتبعها بالصفة ، فمن قسمه بالذات ما حدث منه عندما توفى عمر ، فقد فاته أن يصلى عليه ، فوقف على قبره يبكى ، وطرح رداءه وقال(٥) :

---

١ — سورة ص : آيات (١ — ٣) .

٢ — سورة الحجر : آية ٧٢ .

٣ — سورة الصافات : آيتا (١ ، ٢) .

٤ — سورة الشمس : آيات (١ — ٤) .

٥ — ابن عبد ربه : العقد الفريد ج ٣ ص ٢٣٨ .

والله لئن فاتتنى الصلاة عليك لا فاتنى حسن الثناء : أما والله لقد كنت سخيا بالحق ، بخيلا بالباطل ، ترضى حين الرضا ، وتسخط حين السخط ، ما كنت عياباً ، ولا مداحاً ، فجزاك الله عن الإسلام خيرا» .

كان عبد الله وطيد الصلة بعمر ، شديد الإعجاب به ، ولذلك جاء حزنه على وفاته قويا وصادقا ، وقد حمله ذلك على أن يبدأ رثاؤه له بالقسم بذات الله ، فدعم بذلك الدعوة ، وأجج الشعور الدينى .

ونحن نرى شيئا جديدا فيما أقسم عبد الله عليه ، فهو لم يذكر عمر بأمجاده على وفرتها وكثرتها ، وإنما ذكر له مآثره الدينية من تفانيه فى إحقاق الحق ، وإزهاق الباطل ، وهذه المناقب لم يعرفها الجاهليون حين كانوا يعدون الشمائل فى تأبينهم لأنها إسلامية خالصة .

وقسم عبد الله على كل ما أورده من سيرة عمر ، وما عده له من مآثر ، لا يرجع إلى أن شيئا من الشك ساور سامعيه ، فأراد أن يزيله من نفوسهم ، ولكنه قصد إلى تعميق الإحساس فيهم ، والتأثير عليهم ، وحملهم على الإطمئنان إلى ما يقوله لهم . .

ومن أسلوب القسم الذى جد فى ظل الإسلام ، وجرى به لسان عبد الله القسم بصفات الله ، وبخاصة صفة الوحدانية ليؤكدها فى القلوب ، ويعظمها فى النفوس على عادة العرب فيما يقسمون به . قال عبد الرحمن بن يزيد(١) «كان عبد الله يصلى المغرب ؛ ونحن نرى أن الشمس طالعة ، قال : فنظرنا يوماً إلى ذلك ، فقال : ما تنظرون ، قالوا : إلى الشمس ، قال عبد الله :

---

١ — البيهقى : السنن الكبرى : كتاب الصلاة جـ ١ ص ٣٧ .

هذا والذى لا إله غيره ميقات هذه الصلاة ، ثم قال (١) : «أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل» ، فهذا دلوك الشمس .

— وقيل(٢) لعبد الله بن مسعود إن ناساً يرمون الجمرة من فوق العقبة ، فرمى عبد الله من بطن الوادى ، ثم قال : من هاهنا والذى لا إله غيره رمى الذى أنزلت عليه سورة البقرة .

وواضح أن عبد الله قد تأثر فيما أخذ به من أساليب القسم من حيث المقسم به والمقسم عليه ، وطريقته فى الأداء بما ورد فى قوله تعالى (٣) «ما لكم من إله غيره» .

ويبدو التأثر أكثر صراحة ووضوحا فى قول عبد الله(٤) : «والله الذى لا إله إلا هو ما على ظهر الأرض شىء أحق بطول سجن من لسان» وحيث تأثر بقوله تعالى(٣) «إنما إلهكم الله الذى لا إله إلا هو وسع كل شىء علما» .

---

١ — سورة الإسراء : آية ٧٨ .

٢ — النسائى : سنن النسائى : كتاب مناسك الحج جـ ٢ ص ٢٧٤ .

— أنظر ما ورد على هذا النحو من القسم فى قوله :

«والله الذى لا إله غيره ما يضر عبدا يصبح على الإسلام ، ويمشى عليه ما أصابه الدنيا» «والذى لا إله غيره ما أصبح عند آل عبد الله ما يرجون أن يعطيهم الله به خيرا ، أو يدفع عنهم به سوءا الا أن الله قد علم أن عبد الله لا يشرك به شيئا» . أبو نعيم الأصبهانى : حلية الأولياء ، وطبقات الأصفياء جـ ١ ص ١٣٢ .

٣ — سورة الأعراف : آية ٥٩ ، ٦٥ ، ٧٣ ، ٨٥ .

٤ — أحمد بن حنبل : الزهد ص ١٦٢ .

— أبونعيم : حلية الأولياء ، وطبقات الأصفياء جـ ١ ص ١٣٤

٥ — سورة طه : آية ٩٨ .

— وراجع قوله تعالى : «هو الله الذى لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة ، هو الرحمن الرحيم . هو الله الذى لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون : سورة الحشر ، آيتا ٢٢ ، ٢٣ .

وقد يرجع القسم بصفة الوحدانية أو إقرانها بذات الله عند القسم بها إلى الرغبة فى تأكيدها فى القلوب ، وترسيخها فى النفوس ، على ما جرت عليه عادة العرب فى خطابهم ، (١)«فبسبب الوثنية التى تغلغلت فى نفوس القوم منذ عهد بعيد ، والتى رأوا آباءهم وأجدادهم يؤمنون بها كانت دعوة الإسلام إلى عبادة إله واحد دعوة غريبة عليهم لم يتقبلوها فى سهولة ويسر.وفى سورة ص تصوير لهذا الموقف : «(٢)وعجبوا أن جاءهم منذر منهم ، وقال الكافرون هذا ساحر كذاب ، أجعل الآلهة إلها واحدا ، إن هذا لشىء عجاب» .

الدعـــاء :

كثر الدعاء فى الأدب الإسلامى بعامة ، وتعدد أنواعه ، وكان منه عند ابن مسعود مسألة الرزق فى الدنيا ، وامتلاك أسبابه ، وفى الوقت ذاته المقدرة على التخلص من عبودية المال .

قال(٣) : «اللهم وسع على فى الدنيا ، وزهدنى فيها ، ولا تزوها عنى وترغبنى فيها .

وعندما اشتدت وطأة المرض عليه ، ووجد أن الداء بلا دواء لاذبالدعاء علّه يجد فيه الشفاء ، أو يكون سببا للاستسلام للقضاء .

ومما يدل على التأثر بالإسلام ما نجده من عناصر إسلامية فى الدعاء ، والابتهال ، فالمسألة فيه لا تتصل بأعراض الحياة الزائلة ، وإنما تتعلق بما هو

---

١ — الدكتور يوسف خليف : دراسات فى القرآن والحديث ص ١٠٣ دار غريب للطباعة سنة ١٩٨١ .

٢ — سورة ص: آيتا ٤ ، ٥

٣ — ابن عبد ربه : العقد الفريد جـ ٣ ص ٢٢١ .

خير وأبقى ، يقول عبد الله(١) : «اللهم إنى أسألك إيمانا لا يرتد ، ونعيما لا ينفد ، ومرافقة نبيك – يعنى محمداً – فى أعلى جنة الخلد ».

وقد برزت فكرة الخير والشر فيما دعا به عبد الله ، كما كشف أسلوبه عن عمق إيمانه ، ورسوخ عقيدته . مما أججَّ الشعور الدينى فى نفسه ، فقدم الإيمان تعلة لغفران الذنوب ، وتكفير السيئات ، ولاذ بالقرآن يقتبس منه خير ما يدعو به المرء المؤمن . قال(٢) : «اللهم إنى أسألك من الخير كله ما علمت منه ، وما لم أعلم ، اللهم إنى أسألك من خير ما سألك عبادك الصالحون ، وأعوذ بك من شر ما عاذ منه عبادك الصالحون ، (٣)«ربنا آتنا فى الدنيا حسنة ، وفى الآخرة حسنة ، وقنا عذاب النار» ، ربنا إننا آمنا(٤) «فاغفر لنا ذنوبنا ، وكفر عنا سيئاتنا ، وتوفنا مع الأبرار ، ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ، ولا تخزنا يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد» .

وكان عبد الله يتخير وقت السحر لدعائه أن يغفر الله له تأسيا بما فعل يعقوب عليه السلام مع بنيه ، فقد أخرج الطبرى عن محارب بن دينار قال(٥) «كان عم لى يأتى المسجد ، فسمع إنساناً يقول : «اللهم دعوتنى فأجبت ، وأمرتنى فأطعت ، وهذا سحر فاغفر لى» قال : فاستمع الصوت ، فإذا هو من دار عبد الله بن مسعود ، فسأل عبد الله عن ذلك ، فقال : إن يعقوب أخر بنيه إلى السحر بقوله «سوف أستغفر لكم ربى إنه هو الغفور الرحيم» .

---

١ – ابن عبد البر : الاستيعاب فى معرفة الأصحاب ج ٢ ص ٩٩ .
– أبو نعيم : حلية الأولياء ، وطبقات الأصفياء ج ١ ص ١٢٧ .
٢ – السيوطى : الدر المنثور فى التفسير بالمأثور ج ٢ ص ١١١ .
– الصنعانى : سبل السلام ج ١ ص ٣٦٩ ، ٣٧٠ .
٣ – سورة البقرة : آية ٢٠١ .
٤ – سورة آل عمران : آية ١٩٣ .
٥ – الطبرى : جامع البيان عن تأويل آى القرآن ج ١٣ ص ٦٤ مطبعة الحلبى .
– ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج ٢ ص ٢٠ ط . بيروت سنة ١٩٦٦ .

. وكان عبد الله يعرف أن الفاضل من الدعاء مستجاب ، وأن ممايعين على الاستجابة أن يدعو الداعى من قلبه ، وأن يكون الدعاء خالصا لله .

قال(١) : إن الله لا يسمع من مسمع ، ولا من مراء ، ولا من لاعب ، ولا من داع دعاء إلا ثبتا من قلبه .

وكان لعبد الله تأثير واضح فى أدب الدعاء عند الصوفية ، فقد قالوا إن أقرب(٢) الدعاء إلى الإجابة دعاء الحال . ودعاء الحال أن يكون صاحبه مضطرا لابد له مما يدعو لأجله ، كما ذكروا أن من آدابه حضور القلب ، وألا يكون ساهيا .

وكما كان عبد الله يقف فى دعائه خائفا(٣) مستجيرا بائساً مستغفرا ، راغباً راهباً ، فكذلك كان الصوفية حين يدعون يرون أن خير(٤) الدعاء ماهيجته الأحزان .

---

١ — ابن حنبل : الزهد ص ١٥٩ .
٢ — القشيرى : الرسالة القشيرية ص ١١٩ ، ١٢٠ .
٣ — ابن حنبل : الزهد ص ١٦٠ .
٤ — القشيرى : الرسالة القشيرية ص ١٢١ .

الفصل الثانى

الحس اللغوى

على الرغم مما نذهب إليه من أن أدب فترة معينة فى بيئة معينة قد يتشابه فى جانب من ملامحه العامة من حيث الأفكار والموضوعات والألفاظ ، إلا أنه تبقى مع ذلك فروق عدة تميز أدب فرد عن آخر .

ويرجع ذلك إلى التفاوت فى الإحساس ، والاختلاف فى الأداء، فعمود البلاغة هو(١) وضع كل نوع من الألفاظ التى تشتمل عليها فصول الكلام موضعه الأخص الأشكل به . الذى إذا أبدل مكانه غيره جاء منه : إما تبدل المعنى الذى يكون منه فساد الكلام ، وإما ذهاب الرونق الذى يكون معه سقوط البلاغة ، ذلك أن فى الكلام ألفاظا متقاربة فى المعانى يحسب أكثر الناس أنها متساوية فى إفادة بيان مراد الخطاب ، والأمر فيها وفى ترتيبها عند علماء أهل اللغة بخلاف ذلك لأن لكل لفظة منها خاصية تتميز بها عن صاحبتها فى بعض معانيها ، وإن كانا قد يشتركان فى بعضها .

وقد عرض الخطابى لبيان الفرق اللغوى بين لفظى البخل والشح ،وأوضح أن عبد الله قد تفرد بحس لغوى متميز ، بصره بالوقوف على الدلالة المرادة من الكلمة ، فخالف فى أن يكون الشح يراد به البخل ، وإنما هو أكل مال الآخرين ظلما .

قال(٢) : «وأما الشح والبخل فقد زعم بعضهم أن البخل منع الحق وهو ظلم ، والشح ما يجده الشحيح فى نفسه من الحزازة عند أداء الحق وإخراجه من يده . قال : ولذلك قيل : «الشحيح أعذر من الظالم» . قلت : وقد

١ – الخطابى : بيان إعجاز القرآن .
انظر ثلاث رسائل فى إعجاز القرآن للرمانى والخطابى وعبد القاهر الجرجانى – تحقيق محمد خلف الله ، ومحمد زغلول سلام ص ٢٩ .
٢ . الخطابى : بيان إعجاز القرآن :
انظر ثلاث رسائل فى إعجاز القرآن للرمانى والخطابى وعبد القاهر ص ٣٠ ، ٣١ .
.. الطبرى : جامع البيان عن تأويل آى القرآن جـ ٢٨ ص ٤٣ ط . شركة الحلبى .
فى تفسير قوله تعالى : «ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون» سورة الحشر آية ٩
. السيوطى : الدر المنثور فى التفسير بالمأثور جـ ٦ ص ١٩٦ .

وجدت هذا المعنى على العكس مما روى عن ابن مسعود : حدثنا أحمد بن إبراهيم بن مالك قال : حدثنا عمر بن حفص السدوسي قال : حدثنا المسعودى عن جامع بن شداد عن أبى الشعثاء قال : قلت لعبد الله بن مسعود : يا أبا عبد الرحمن إنى أخاف أن أكون قد هلكت . قال : ولم ذاك ؟ قلت : لأنى سمعت الله يقول : «ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون» وأنا رجل شحيح لا يكاد يخرج من يدى شىء : قال : ليس ذاك الشح الذى ذكره الله فى القرآن ، ولكن الشح أن تأكل مال أخيك ظلماً . ولكن ذاك البخل . وبئس الشىء البخل .

وعندما يتقارب الاستعمال اللغوى لبعض الألفاظ فى مواضع من الكلام يلوذ عبد الله بثقافته اللغوية ، فيصل إلى المراد بالكلمة فيما استعملت فيه . أخرج الطبرى عن القاسم بن عبد الرحمن عن ابن مسعود أنه قيل له(١) : إن الله يكثر ذكر الصلاة فى القرآن(٢) : «الذين هم عن صلاتهم ساهون» ، (٣)«على صلاتهم دائمون» ، و(٤) «على صلاتهم يحافظون» فقال : ابن مسعود رضى الله عنه ، على مواقيتها . قالوا : ما كنا نرى ذلك إلا على الترك . قال : ذاك الكفر» .

وأقول إن عبد الله نبه بذلك على أن استخدام «عن» فى قوله تعالى «عن صلاتهم» يراد به الذهاب عن الوقت ولا شىء غيره . وقد ارتضى أهل اللغة هذا الاستخدام ، وأقروا ما ورد منه عليه . قال مالك بن دينار(٥) : جمعنا

١ – الطبرى : جامع البيان عن تأويل آى القرآن جـ ١٦ ص ٩٩ مطبعة الحلبى .
٢ – سورة الماعون : آية ٥ .
٣ – سورة المعارج : آية ٢٣ .
٤ – سورة الأنعام : آية ٩٢ .
٥ – الخطابى : بيان إعجاز القرآن .
: انظر ثلاث رسائل فى إعجاز القرآن ص ٣٢ . ط دار المعارف سنة ١٩٦٨ .

الحسن لعرض المصاحف أنا وأبا العالية الرياحى ... فقال رجل : يا أبا العالية ، قول الله تعالى فى كتابه «فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون» ما هذا السهو ؟ قال الذى لا يدرى عن كم ينصرف ، عن شفع أو عن وتر ، فقال الحسن : مه يا أبا العالية ، ليس هذا . بل الذين سهوا عن ميقاتهم حتى تفوتهم ، قال الحسن : ألا ترى قوله عز وجل «عن صلاتهم» .

وقد علق الخطابى على ذلك ، فبين سبب خطأ قول أبى العالية ، وصحة رأى الحسن ، وقد أصل رأيه على الاستعمال اللغوى وحده ، قال(١) : وإنما أتى أبو العالية فى هذا حيث لم يفرق بين حرف «عن» و «فى» فتنبه له الحسن فقال : ألا ترى قوله «عن صلاتهم» يؤيد أن السهو الذى هو الغلط فى العدد إنما هو يعرض فى الصلاة بعد ملابستها ، فلو كان هو المراد لقيل : فى صلاتهم ساهون ، فلما قال عن صلاتهم دل على أن المراد به الذهاب عن الوقت .

وقد لفت عبد الله إلى الفروق الدقيقة فى الاستعمال اللغوى للألفاظ ، فلفظ السحت عنده يعنى الرشوة ، واستعماله بهذا المعنى يقيده السياق ، ويقصد به أن يستعينك رجل على مظلمة فتعينه عليها ، أو يطلب منك حاجة فتقضيها له ، فيهدى لك هدية فتقبلها ، فإذا استخدم لفظ الرشوة فى الحكم فإن دلالته تتغير ويقصد به عندئذ الكفر . أخرج الطبرى عن مسلم بن صبيح قال(٢) : شفع مسروق لرجل فى حاجة ، فأهدى له جارية ، فغضب غضبا شديدا ، وقال : لو علمت أنك تفعل هذا ما كلمت فى حاجتك ، ولا أكلم فيما بقى من حاجتك ،

---

١ — المرجع نفسه ص ٣٣ .

٢ — راجع تفسير قوله تعالى : «سماعون للكذب أكالون للسحت» سورة المائدة : آية ٤١
— الطبرى : جامع البيان عن تأويل آى القرآن جـ ١٠ ص ٣٢١ ، ٣٢٢ .
- السيوطى : الدر المنثور فى التفسير بالمأثور جـ ٢ ص ٢٨٣ .

سمعت ابن مسعود يقول : «من شفع شفاعة ليرد بها حقا . أو يرفع بها ظلما فأهدى له فقبل ، فهو سحت» ، فقيل له : يا أبا عبد الرحمن ، ما كنا نرى ذلك إلا الأخذ على الحكم . قال : الأخذ على الحكم كفر» ثم قرأ . ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون» . «ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون» ، «ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون»(١) .

وفهم عبد الله أن لفظ أمة يعنى الذى يعلم الناس الخير . وأن القانت هو المطيع لله ورسوله ، قال فروة بن نوفل الأشجعى . قال عبد الله بن مسعود : «إن(٢) معاذا كان أمة قانتا لله حنيفا» . فقلت فى نفسى غلط أبو عبد الرحمن إنما قال الله تعالى : «إن إبراهيم كان أمة قانتا لله» فقال أتدرى ما الأمة ؟ وما القانت ؟ قلت : الله أعلم ، قال الأمة الذى يعلم الخير ، والقانت المطيع لله ورسوله ، وكذلك كان معاذ بن جبل يعلم الخير ،وكان مطيعا لله ورسوله . وحمل لفظ الأمة على هذا المعنى يعنى أن عبد الله لم يكن ينظر إلى الكلمة المفردة ، وإنما يتتبعها فى سياقها . ويقف على دلالتها من السياق(٣) «فالأمة لفظ مشترك بين معان منها الجمع الكبير من الناس . ثم يشبه به الرجل الصائم أو الملك أو المتفرد بطريقة وحده عن الناس» والاستعمال وحده هو الذى يحدد المراد به ، والحس اللغوى الأصيل يلفت إلى هذا المراد . ويكشف عنه

وكان عبد الله يستهدى الشعور الدينى فى الوقوف على دلالة ألفاظه . ويستنير بما استعملت فيه فى القرآن أو الحديث . فقد سأله(٤) زر بن حبيش

١ — سورة المائدة : اية ٤٤ ، اية٤٥ ، اية ٤٧

٢ — الطبرى : جامع البيان عن تأويل اى القرآن جـ ١٤ ص ١٩١ .
فى تفسير قوله تعالى «إن إبراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا» سورة النحل : ايه ١٢٠ .
— الزمخشرى : الكشاف جـ ٢ ص ٦٤٢ .

٣ — أبو حيان : البحر المحيط جـ ٥ ص ٥٤٧ .

٤ — الطبرى : جامع البيان عن تأويل اى القرآن جـ ١٤ ص ٥٢٣ .

عن «الأواه» ، فقال هو الدعاء ، وفي لسان العرب(١) ، رجل أواه ، قيل هو الدعاء ، وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : الأواه الدعاء .

وقد صوب الطبرى(٢) رواية زر عن عبد الله فى معنى الأواه ، ورد رواية ثانية عن طريق يحيى بن الجزار عن أبى العبيدين عن عبد الله ، قال(٣): الأواه» الرحيم ، وهو على حق فيما فعل ، فيحيي(٤) بن الجزار غير معروف.

وكان عبد الله يحمل بعض الألفاظ على أمور غيبية تخرج عن المادة اللغوية لها فى أية صورة منها . من ذلك أنه فهم «غيا»(٥) على أنه نهر فى جهنم ، روى أبو عبيدة عن عبد الله أنه قال فى قوله تعالى(٦) «فسوف يلقون غيا» ، قال : نهر فى جهنم خبيث الطعم ، بعيد القعر .

وأنه أراد بلفظ «ويل»(٧) فى قوله تعالى «ويل يومئذ للمكذبين» واديا فى جهنم يسيل فيه صديد أهل النار فجعل للمكذبين .

وتشير قراءات عبد الله التفسيرية إلى علمه باللغة وبصره بها ، ففى قوله تعالى(٨) «أو يكون لك بيت من زخرف » قال مجاهد : كنا لا ندرى ما الزخرف حتى رأيناه فى قراءة ابن مسعود «أو يكون لك بيت من ذهب» .

---

١ - ابن منظور : لسان العرب : مادة أوه ج ١٣ دار صادر بيروت سنة ١٩٥٦ .
٢ - الطبرى : جامع البيان عن تأويل آى القرآن ج ١٤ ص ٥٣٢ .
٣ - الطبرى : جامع البيان عن تأويل آى القرآن ج ١٤ ص ٥٢٦ .
٤ - يحيى بن معين : التاريخ ج ٢ ص ٦٤٣ .
٥ - الطبرى : جامع البيان عن تأويل آى القرآن ج ١٦ ص ١٠٠ .
٦ - سورة مريم : آية ٥٩ .
٧ - السيوطى : الدر المنثور فى التفسير بالمأثور ج ٦ ص ٣٠٣ .
- انظر سورة المرسلات : آية ١٥ .
٨ - سورة الإسراء : آية ٩٣ .
- الطبرى : جامع البيان عن تأويل آى القرآن ج ١٥ ص ١٦٣ .
- وانظر النيسابورى : تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان على هامش تفسير الطبرى ج ١٥ ص ١٦٣ .

وكانت ألفاظ عبد الله رغم بساطتها تحوى مضموناً عميقا ، لا يكشف عن غوره لكل من يقف عليه ، وإنما يعطى قارئه بقدر ما يمعن النظر فيه .

قال(١) : «لا يبلغ عبد حقيقة الإيمان حتى يحل بذروته ، ولا يحل بذروته حتى يكون الفقر أحب إليه من الغنى ، والتواضع أحب إليه من الشرف ، وحتى يكون حامده وذامه سواء .

وقد فسر أصحابه ذلك فقالوا(٢) : «حتى يكون الفقر فى الحلال أحب إليه من الغنى فى الحرام ، والتواضع فى طاعة الله أحب إليه من الشرف فى معصية الله ، وحتى يكون حامده وذامه عنده فى الحق سواء» .

ومع هذا يبقى شىء فى الكلمات ، فالمراد بالفقر فى فكر الزهاد قد لا يقف بالضرورة عند حدوده المادية ، وإنما يتجاوز ذلك النطاق إلى الاحتياج إلى الله ، والتوجه بالسؤال إليه وطلب العون منه .

فحقيقة(٣) الفقر ألا يستغنى المرء إلا بالله ، وأما الغنى فهو الأمن بالله تعالى «وقد سئل الجنيد عن الافتقار إلى الله سبحانه وتعالى ، أهو أتم أم الاستغناء بالله تعالى ، فقال(٤) : «إذا صح الافتقار إلى الله عز وجل ، فقد صح الاستغناء بالله تعالى ، وإذا صح الاستغناء بالله تعالى كمل الغنى به ، فلا يقال أيهما أتم ، الافتقار أم الغنى لأنهما حالتان ، لا تتم إحداهما إلا بالأخرى» .

---

١ — أبو نعيم : حلية الأولياء وطبقات الأصفياء جـ ١ ص ١٣٢ .

٢ — أبو نعيم : حلية الأولياء وطبقات الأصفياء جـ ١ ص ١٣٢ .

٣ — القشيرى : الرسالة القشيرية ص ١٢٣ .

٤ — القشيرى : الرسالة القشيرية ص ١٢٣ .

— راجع قولهم : «صحة الفقر ألا يستغنى الفقير فى فقره بشىء إلا بمن إليه فقره» .

— أحسن ما يتوسل به العبد إلى مولاه دوام الفقر إليه على جميع الأحوال . الرسالة القشيرية ص ١٢٣ .

و«التواضع (١) لا يكون من المرء لغيره فحسب ولكنه يكون(٢) فى الخضوع للحق ، والانقياد له . والصوفية يقولون(٣) : حكم الفقير إذا مشى أن يتبختر لولا تواضعه .

وقد مد الصوفية بصرهم وهم يقولون بالمقامات إلى ما ورد عن عبد الله ابن مسعود فى شأنها ، وإن كان ما أثر عنه فيما يتصل بها لا يعنى ما انتهوا إليه ، قال (٤) : «خير ما ألقى فى القلب اليقين : وفسر اليقين بقوله(٥) : «ألا تحمد أحدا على رزق ، ولا تلوم أحدا على ما لم يؤتك الله ، فإن الرزق لا يسوقه حرص حريص ، ولا يرده كراهة كاره ، فإن الله بقسطه جعل الروح والفرح فى اليقين والرضى ، وجعل الهم والحزن فى الشك والسخط .

أما الصوفية فيقولون(٦) : اليقين هو العلم المستودع فى القلوب ، وهو العلم(٧) اللدنى الذى يأخذه العالم من ربه .

وهم يقولون(٨) : اليقين هو المكاشفة ، والمكاشفة فى كلامهم عبارة عن ظهور الشىء للقلب باستيلاء ذكره من غير بقاء للريب ، وربما أرادوا بها ما يقرب مما يراه الرائى بين اليقظة والنوم . وهى عبارة عن نور(٩) يظهر فى القلب عند تطهيره ، وتزكيته من صفاته المذمومة ، وينكشف من ذلك

---

١ - قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن الله تعالى أوحى إلى أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد» . الغزالى : إحياء علوم الدين ج ٦ ص ٩٩١ .

٢ - القشيرى : الرسالة القشيرية ص ٦٩ .

٣ - القشيرى : الرسالة القشيرية ص ١٢٥ .

٤ - الجاحظ : البيان والتبيين ج ١ ص ٢٤٠ .

٥ - ابن عبد البر : جامع بيان العلم وفضله ج ٢ ص ٢٠٤ .

٦ - القشيرى : الرسالة القشيرية ص ٨٣ .

٧ - الغزالى : إحياء علوم الدين ج ٨ ص ١٣٨١ ط . الشعب .

٨ - القشيرى : الرسالة القشيرية ص ٨٣ .

٩ - الغزالى : إحياء علوم الدين ج ١ ص ٣٤ .

النور أمور كثيرة كان يسمع من قبل أسماءها ، فيتوهم لها معانى مجملة غير متضحة ، فتضح إذ ذاك حتى تحصل المعرفة الحقيقية بها .

وقال عبد الله(١) : «الذكر ينبت الإيمان فى القلب كما ينبت الماء البقل، والغناء ينبت النفاق فى القلب كما ينبت الماء البقل .

ويستوقفنا هنا لفظ الذكر ، ومقصد عبد الله منه القرآن ، وقد وردت هذه الدلالة فى قوله تعالى :

— (٢)«ذلك نتلوه عليك من الآيات والذكر الحكيم» .

— (٣)«أوعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم» .

— (٤)«وهذا ذكر مبارك أنزلناه أفأنتم له منكرون» .

— (٥)«إن الذين كفروا بالذكر لما جاءهم وإنه لكتاب عزيز» .

فأما الصوفية فالذكر فى لغتهم هو أن يقول المرء(٦) : الله، الله ، وهم يعقدون له المجالس ، وهو عندهم(٧) طريق الحق سبحانه، فما سلك المريد طريقا أصح وأوضح منه ، ولا يصل أحد إلى الله تعالى إلا بدوام الذكر ، ومن خصائصه عندهم أنه(٨) غير مؤقت .

---

١ — ابن العماد الحنبلى : شذرات الذهب ج ١ ص ٣٩ .
— الغزالى : إحياء علوم الدين ج ٦ ص ١١٥٠ .
٢ — سورة آل عمران : آية ٥٨ .
٣ — سورة الأعراف : آية ٦٩ .
٤ — سورة الأنبياء : آية ٥٠ .
٥ — سورة فصلت : آية ٤١ .
٦ — القشيرى : الرسالة القشيرية ص ١٠٣ .
٧ — القشيرى : لطائف الإشارات ج ١ ص ٣١٦ .
٨ — يقول القشيرى : «ما من وقت من الأوقات إلا والعبد مأمور بأن يذكر الله تعالى . اما فرضا وإما ندباً ... والذكر بالقلب مستدام فى عموم الحالات» الرسالة القشيرية ص ١٠٢

والصوفية فى هذا يصححون أنفسهم على القرآن ، ويقفون عند قوله تعالى(١) : «يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا» .

(٢)«الذين يذكرون الله قياماً وقعودا وعلى جنوبهم» ،

ويؤكد هذا خطأالذين يقولون(٣) : «إن الذكر ورياضات الزهد الأخرى ترجع إلى أصول مسيحية» .

وهم يستنبطون من الآيات التى يؤصلون بها مذهبهم إشارات حقية لايدل عليها المعجم اللغوى لألفاظها ، فنى قوله تعالى(٤) : «فاذكرونى أذكركم ، واشكروا لى ولا تكفرون» يقول القشيرى(٥) : «فاذكرونى» مكتفين بى عن عطائى وأفضالى «أذكركم» راضيا بكم دون أفعالكم ... «فاذكرونى» بقطع العلائق ، أذكركم بنعوت الحقائق .

---

١ — سورة الأحزاب : آية ٤١ .

٢ — سورة آل عمران : آية ١٩١ .

٣ — أ. ر. نيكلسون : الصوفية فى الاسلام : ترجمة نور الدين شريبة ط . سنة ١٩٥١ .

٤ — سورة البقرة : آية ١٥٢ .

٥ — القشيرى : لطائف الإشارات جـ ١ ص ١٤٩ .

الخاتمة

أستطيع أن أقول فى هذه الخاتمة ، وأنا مطمئن الخاطر أنى أوضحت أن مجموعة من الروافد تلاقت فيا بينها ، فكونت ثقافة عبد الله بن مسعود ، وأمدته بزاد علمى وتربوى زاخر ظل يستمد منه دون أن ينضب فيا استقبل من أيامه .

وكانت هذه الروافد : القرآن ، والسنة ، والدرس اللغوى ، وثقافة أهل الكتاب ، ولئن تفاوتت فى مداها ، واختلفت فى حجمها ، فإن القرآن الكريم ، والسنة النبوية كانت لهما الغلبة ، ذلك لأن حياة عبد الله قد أتاحت له أن ينال منهما قدرا ذا شأن .

ونحن لا نستطيع أن نفصل بين هذه العوامل فى الواقع ، أو نحدد أثر كل منها على حدة ، فكلها تتصل بالنص القرآنى بسبب ، وتلوذ إليه برابط .

وقد أثبتت هذه الدراسة أن فراسة الرسول صلى الله عليه وسلم فى عبد الله قد صدقت ، حين دعا له بأنه غلام معلم .

كذلك صدقت توقعات عمر فيه حين بعثه إلى أهل الكوفة معلماً ليس له صوت ولا عصا ، ولكن له من هذه الثقافة التى حازها ما يجعل النفوس ترتاح إليه ، فتأخذ عنه ، وتستجيب له .

وقد وضح أن عبد الله كان على مستوى المسئولية التى كلف بها ، فكان حقا نعم المعلم ، أقرأ أبناء العراق القرآن فالتفوا حوله ، وأوضح لهم شروط التلاوة فلم يحيدوا عنها ، ووجههم إلى تدبره ، فاهتدوا بهديه ، ونشروا العلم فى الآفاق .

وفى مجال الحديث أكدت الدراسة أن عبد الله كان مقلا فى الرواية بالنسبة

لغيره من: الصحابة على الرغم من أنهم لم يحظوا بمثل ما حظى به ، من اختصاص الرسول صلى الله عليه وسلم له ، وتقريبه منه ، وقد قدمت الأسباب التى أدت إلى ذلك ، وكان على رأسها تشديد عمر عليه فى الإقلال من الرواية ثم إلزامه نفسه بهذا المنهج حتى لا يقع فى الخطأ .

كذلك أوضحت الدراسة أن الجهد الذى بذله عبد الله قد أثمر ، فقد سبقت الكوفة غيرها إلى العناية بالحديث ، وكان فيها ستون شيخا من أصحابه ؛ ثم عرضت لما ذكر أنه أصح الأسانيد ، وما قيل إنه أضعفها عنه ، وقبلت من ذلك ما دللت على أنه أحق بالقبول من غيره .

وقد أبرزت الدراسة أن عبد الله أقر أثناء عمله بالتعليم مجموعة من المبادىء التربوية التى يفخر الإسلام بها ، فهى من التقدمية على سبق ، وهى فى إطار زمانها وبيئتها تستحق أن يشاد بها ، وكان من ذلك :

- إثارة الرغبة فى المتعلم .
- التسامى بالهدف من التعليم .
- العمل على أن تناسب مادة التعلم عقول المتعلمين .
- العلم ليس بكثرة الرواية ، وإنما العلم خشية الله .
- العلم ليس تلقيا واختزانا ، وإنما على المرء أن يعى ما يتعلم ليفيد منه ويعمل به .
- مذاكرة العلم إحياء له .
- التأكيد على القدوة الحسنة ، ودورها فى مجال التربية .

ومما تعتز به هذه الدراسة أنها استطاعت — لأول مرة — أن تجمع شتاتا من أقوال عبد الله ، وتلم نثارا من كتاباته ، وتعرض لها بالدرس المتأنى ، فتثبت بحق أن عبد الله بما حاز من ثقافة ، وبما خبر من تعليم ، توفر لديه الاقتدار على التعبير بالكلمة فى يسر وسهولة ، وكان له منهج متميز فى أدبه .

فمن حيث الموضوعات التى غلبت عليه نجد أنها كانت تتصل بسبب بأدب الزهاد الذى يدور حول التحقير من شأن الدنيا ، وأنه لا ديمومة فيها ، وأن المرء عليه أن يمتلكها ، وليس له أن يجعلها تمتلكه ، وأن خير الغنى غنى النفس .

ومن حيث الأفكار ، فقد غلبت عليها الروح الدينية ، واتجهت فى جملتها إلى الإيجاز ، وهى وإن بدت غير مترابطة إلا أن المدقق يجد خيطا يسلكها ، وهى تشف عن مكونات ثقافته حتى يمكننا أن نرد كثيرا منها إلى أصولها ومصادرها ،

ومن حيث الأسلوب فقد بدت عليه النزعة الدينية ، ولقد استهدى عبد الله أسلوب القرآن والحديث فيما قصد من التعبير ، ومن الشواهد على ذلك ما نجده فى أسلوبى القسم والدعاء ، والنهج الذى وردا عليه فى أدبه .

ومن حيث الألفاظ فقد ثبت أن عبد الله قد انتبه إلى الفروق الدقيقة فى استعمالها ، وقد أعانته على ذلك ثقافته الدينية واللغوية ، ومما يلفت هنا أنه كان يضمن الكلمات مضامين عميقة توجب التروى للوقوف عليها ، وربما كان ذلك سببا فيما نراه من رجوع بعض الصوفية إليه .

المصادر والمراجع

١ – الإبانة عن معانى القراءات :
أبو محمد مكى بن أبى طالب القيسى (٣٥٥ هـ – ٤٣٧ هـ) .
حققه وقدم له الدكتور محيي الدين رمضان .
الطبعة الأولى سنة ١٣٩٩ هـ – ١٩٧٩ م دار المأمون للتراث – دمشق .

٢ – الاتجاهات الفكرية فى التفسير :
دكتور الشحات السيد زغلول .
دار النجاح للطباعة سنة ١٩٧٥ .

٣ – الإتقان فى علوم القرآن :
السيوطى : جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر بن محمد بن سابق الدين السيوطى (المتوفى سنة ٩١١ – ١٥٠٥ م) .
الطبعة الثانية ١٣٥٤ هـ – ١٩٣٥ م – مطبعة المعاهد .

٤ – أثر القراءات فى الدراسات النحوية :
الدكتور عبد العال سالم على .
المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٣٨٩ هـ – ١٩٦٩ م .

٥ – الإحكام فى أصول الأحكام :
ابن حزم : «أبو محمد على بن حزم الأندلسى الظاهرى» .
الطبعة الأولى سنة ١٣٤٥ هـ – مطبعة السعادة ، وطبعة مطبعة العاصمة ، ومطبعة الامتياز سنة ١٩٧٨ .

٦ – إحياء علوم الدين :
الغزالى : محمد بن محمد أبو حامد المعروف بالغزالى .
طبع دار الشعب .

٧ ــ أخبــار القضــاة :
وكيع : محمد بن خلف بن حيان .
الطبعة الأولى . . مطبعة الاستقامة . القاهرة ١٣٦٦ هـ . ١٩٤٧ م .
٨ ــ الأدب فى التراث الصوفى :
دكتور محمد عبد المنعم خفاجى .
دار غريب للطباعة ـ. القاهرة سنة ١٩٨٠ م .
٩ ــ إرشاد السارى إلى شرح صحيح البخارى
القسطلانى : أحمد بن محمد بن أبى بكر القسطلانى (المتوفى ٧٥١ هـ) .
القاهرة ــ المطبعة المنيرية سنة ١٢٨٥ هـ .
١٠ ــ أسباب النــزول :
السيوطى : جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر بن محمد بن سابق الدين
السيوطى (المتوفى سنة ٩١١ هـ . ١٥٠٥ م) .
طبع القاهرة سنة ١٣٨٢ هـ . ١٩٦٣ م مطابع شركة الإعلانات الشرقية
١١ ــ أسباب النــزول :
النيسابورى : أبو الحسن على بن أحمد الواحدى النيسابورى المتوفى سنة
٤٦٨ هـ .
مطبعة دار الاتحاد العربى للطباعة سنة ١٣٨٨ هـ ـ. ١٩٦٨ م .
١٢ ــ الاستيعاب فى معرفة الأصحاب :
ابن عبد البر : أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر (٤٠٣ هـ
١٠٧١ م) ـ. تحقيق على محمد البجاوى .
مطبعة نهضة مصر .
١٣ ــ الإسرائيليات فى التفسير والحديث :
دكتور محمد السيد حسين الذهبى .

دار النصر للطباعة (سنة ١٣٩١ هـ - ١٩٧١ م) .
١٤- الإسرائيليات والموضوعات فى كتب التفسير :
دكتور محمد بن محمد أبو شهبة .
طبع الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية سنة ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م.
١٥- أسرار العـربية :
ابن الأنبارى : أبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبى سعيد الأنبارى
مطبعة الترقى - دمشق ١٣٧٧ هـ - ١٩٥٧ م .
١٦- أسماء الصحابة الرواة وما لكل واحد من العدد :
«رسالة نشرت مع كتاب جوامع السيرة» .
ابن حزم : أبو محمد على بن أحمد بن سعيد بن حزم (٣٨٤ هـ -٤٥٦م)
تحقيق الدكتور إحسان عباس ، والدكتور ناصر الدين الأسد .
ط . دار المعارف - مصر .
١٧- الإصابة فى تمييز الصحابة :
العسقلانى : أحمد بن على بن حجر العسقلانى (المتوفى سنة ٨٥٢ هـ) .
حقق أصوله ، وضبط أعلامه ، ووضع فهارسه على محمد البجاوى .
طبع دار الثقافة العربية - ومطبعة السعادة سنة ١٣٢٨ .
١٨- الأعلام : «قاموس تراجم» :
الزركلى : خير الدين الزركلى .
الطبعة الثالثة .
١٩- أعلام الموقعين عن رب العالمين :
ابن قيم الجوزية : أبو عبد الله محمد بن أبى بكر المعروف بابن قيم الجوزية
«المتوفى ٧٥١ هـ - ١٣٥٠ م» .
راجعه وقدم له ، وعلق عليه طه عبد الرءوف سعد .

طبع دار الجيل – بيروت لبنان سنة ١٩٧٣ .

٢٠– الأغـــانى :

أبو الفرج الأصفهانى : على بن الحسين أبو الفرج الأصفهانى .

«توفى ٣٥٦ هـ – ٩٦٧م» .

طبع بولاق سنة ١٣٧٥هـ – ودار الكتب .

٢١– الأمـــالى :

القالى : أبو على إسماعيل بن القاسم القالى البغدادى (٢٨٨هـ – ٣٥٦هـ) .

مطبعة دار الكتب المصرية ١٣٤٤ هـ – ١٩٢٦ م .

٢٢– الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به :

الباقلانى : أبو بكر بن الطيب الباقلانى المتوفى سنة ٤٠٣ هـ.

تحقيق محمد زاهد بن الحسن الكوثرى .

مؤسسة الخانجى للطباعة والنشر والتوزيع ١٣٨٢ هـ – ١٩٦٣ م .

٢٣– أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك :

ابن هشام : أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن هشام الأنصاوى المصرى المتوفى فى سنة ٧٦١ هـ .

مطبعة السعادة – الطبعة الثالثة سنة ١٩٤٩ .

٢٤– الإيضاح فى علوم البلاغة :

القزوينى : جلال الدين محمد بن القاضى سعد الـدين أبو القاسم عبـدالرحمن بن إمام الدين عمر القزوينى (٦٦٦ هـ – ٧٧٩) .

شرح وتعليق محمد عبد المنعم خفاجى .

مطبعة مكتبة الحسين التجارية – الطبعة الأولى ١٣٦٨ هـ – ١٩٤٩ م .

٢٥– الباعث الحثيث فى اختصار علوم الحديث :

ابن كثير : أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشى (٧٠١ هـ – ٧٧٤ هـ) .
طبع دار الفكر – بيروت – دار التراث العربى سنة ١٩٧٩ .

٢٦– الباعث الحثيث «شرح اختصار علوم الحديث» :
أحمد محمد شاكر .
الطبعة الثالثة ١٣٩٩ هـ – ١٩٧٩ م دار مصر للطباعة .

٢٧– البحـــر المحيـــط :
أبو حيان : محمد بن يوسف بن على بن يوسف بن حيان الأندلسى الغرناطى المتوفى سنة ٧٤٥ هـ .
طبع القاهرة سنة ١٣٢٩ .

٢٨– البـــدء والتاريخ :
المنسوب إلى أبى زيد أحمد بن سهل البلخى المتوفى سنة ٩٣٤ م ، وهو لمطهر بن طاهر المقدسى .
طبع باريس سنة ١٩١٦ .

٢٩– البداية والنهاية فى التاريخ :
ابن كثير : أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشى المتوفى سنة٧٧٤هـ
مكتبة المعارف – بيروت سنة ١٩٦٦ .

٣٠– البرهان فى علوم القرآن :
الزركشى : أبو عبد الله ، بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشى المتوفى ٧٩٤ هـ – ١٣٩١ م .
القاهرة – دار إحياء الكتب العربية سنة ١٣٧٦ هـ – ١٩٥٧ م .

٣١– بيان إعجاز القرآن :
الخطـــابى .
رسالة نشرت ضمن ثلاث رسائل فى إعجاز القرآن للرمانى والخطابى ،

وعبد القاهر الجرجانى .

تحقيق محمد خلف الله – والدكتور محمد زغلول سلام .

٣٢ – البيـــان والتبيين :

الجاحظ : أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكنانى المتوفى سنة ٢٥٥ هـ – ٨٦٩ م .

طبع لبنان سنة ١٩٦١ .

٣٣ – تأويل مختلف الحديث :

ابن قتيبة : أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينورى المتوفى ٢٧٦ هـ – ٨٨٩ م .

طبع دار الكتاب العربى – بيروت .

٣٤ – تاج العروس من جواهر القاموس :

الزبيدى : أبو الفيض السيد محمد مرتضى الحسينى الواسطى الزبيدى .

الطبعة الأولى – المطبعة الخيرية – مصر سنة ١٣٠٦ هـ .

٣٥ – التـــاريخ :

يحيى بن معين : يحيى بن معين بن غياث بن زياد بن عون بن بسطام .
(ولد ١٥٨ هـ – توفى ٢٣٣ هـ) .

دراسة وترتيب وتحقيق الدكتور أحمد محمد نور يوسف .

الطبعة الأولى سنة ١٣٩٩ هـ – ١٩٧٩ م .

مطابع الهيئة العامة للكتاب .

٣٦ – تاريخ بغداد أو مدينة السلام :

البغدادى : أبوبكر أحمد على الخطيب البغدادى المتوفى سنة ٤٦٣ هـ

مطبعة السعادة بمصر ١٣٤٩ هـ – ١٩٣١ م .

٣١ — تاريخ الرسل والملوك :
الطبرى : أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى (٢٢٤ هـ — ٣١٠ هـ) .
تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم .
طبع دار المعارف بمصر سنة ١٩٦١ — الطبعة الثانية .
٣٢ — تاريخ القــرآن :
دكتور عبد الصبور شاهين .
دار الكاتب العربى للطباعة والنشر بالقاهرة .
٣٣ — تحذير الخواص من أكاذيب القصاص :
السيوطى : جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر بن محمد بن سابق الدين السيوطى (٨٤٩ هـ — ٩١١ هـ) .
تحقيق الدكتور محمد لطفى الصباغ .
الطبعة الثانية ١٤٠٤ هـ — ١٩٨٤ م المكتب الإسلامى — بيروت .
٣٤ — تدريب الراوى فى شرح تقريب النواوى :
السيوطى : جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر بن محمد بن سابق الدين السيوطى «٨٤٩ هـ — ٩١١ م» .
راجعه عبد الوهاب عبد اللطيف .
الطبعة الأولى ١٣٧٩ هـ — ١٩٥٩ م .
٣٥ — تذكرة الحفــاظ :
الذهبى : محمد بن أحمد بن عثمان الذهبى (دتوفى سنة ٧٤٨ هـ — ١٣٤٧م)
الطبعة الرابعة — مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن بالهند سنة ١٣٨٨ هـ — ١٩٦٨ م — وطبعة دار إحياء التراث العربى .

٣٦ — التعريفـــات :
الجرجانى : على بن محمد الشريف الجرجانى .
طبع لبنان سنة ١٩٦٩ .
٣٧ — تفسير القرآن العظيم :
ابن كثير : إسماعيل بن عمر بن كثير القرشى «المتوفى سنة ٧٧٤ هـ» .
طبعة التجارية — طبعة بيروت سنة ١٩٦٦ .
٣٨ — تفسير القرآن الكريم : المسمى أنوار التنزيل وأسرار التأويل :
البيضاوى : أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازى البيضاوى (توفى سنة ٧٩١ هـ) .
الطبعة الثانية ١٣٤٤ هـ — ١٩٢٥ م .
٣٩ — تقييد العـــلم :
البغدادى : أبو بكر أحمد بن على بن ثابت الخطيب البغدادى (٣٩٢ هـ ٤٦٣ هـ) .
صدره وحققه وعلق عليه يوسف العش .
الطبعة الثانية ١٩٧٤ — نشر دار إحياء السنة النبوية .
٤٠ — تهذيب الأسماء واللغات :
النووى : أبو زكريا محي الدين شرف النووى المتوفى سنة ٦٧٦ هـ .
طبع بيروت .
٤١ — تهذيب التهذيب :
العسقلانى : شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن على بن حجر العسقلانى المتوفى سنة ٨٥٢ هـ .
الطبعة الأولى ١٣٦٩ هـ .

٤٢ — جامع الأصول فى أحاديث الرسول

ابن الأثير : مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد : ابن الأثير الجزرى (٥٤٤ هـ — ٦٠٦ هـ) .

حقق نصوصه عبد القادر الأرناؤوط .

ط . بيروت ١٣٨٩ — ١٩٦٩ م .

٤٣ — جامع بيان العلم وفضله ، وما ينبغى فى روايته وحمله :

ابن عبد البر : أبو عمر يوسف بن عبد البر النمرى القرطبى الأندلسى . (٣٦٨ هـ — ٤٦٣ هـ) .

ضبط غريبه ، وصححه ، وراجع أصوله عبد الرحمن محمد عثمان .

مطبعة العاصمة — القاهرة — الطبعة الثانية ١٣٨٨ هـ — ١٩٦٨ م .

٤٤ — جامع البيان عن تأويل آى القرآن.

الطبرى : أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى المتوفى سنة ٣١٠ هـ .

طبع بولاق — طبع مصطفى الحلبى — دار المعارف بمصر سنة ١٩٦٩ م .

٤٥ — الجامع لأحكام القرآن :

القرطبى : أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى القرطبى المتوفى سنة ٦٧١ هـ .

طبعة نة ١٩٥٢ ، دار الشعب .

٤٦ — جمهرة اللغـــة :

ابن دريد : أبو بكر محمد بن الحسن الأزدى البصرى المتوفى سنة٣٢١ هـ
طبعة مكتبة المثنى ببغداد .

٤٧ — حاشية السندى على سنن النسائى :

السندى : أبو الحسن نور الدين بن عبد الهادى السندى توفى سنة ١١٣٨هـ
الطبعة الأولى سنة ١٣٤٨ هـ — ١٩٣٠ المطبعة المصرية .

٤٨ – حاشية الصبان على الأشمونى :
الصبان : محمد بن على الصبان .
مطبعة مصطفى محمد .
٤٩ – الحجة فى القراءات السبع :
ابن خالوية : الحسين بن أحمد بن خالوية بن حمدان توفى سنة ٣٧٠ هـ
مطبعة دار الشروق – بيروت .
٥٠ – الحطام المتناثر فى تضاعيف اللغة العربية :
دكتور عبد العزيز برهام .
٥١ – حلية الأولياء وطبقات الأصفياء :
أبو نعيم : أحمد بن عبد الله الأصبهانى المتوفى سنة ٤٣٠ هـ .
مطبعة السعادة سنة ١٩٢٣ م ، الطبعة الثانية ١٣٨٧ هـ – ١٩٦٧ م .
٥٢ – الخصـــائص :
ابن جنى : أبو الفتح عثمان بن جنى .
حققه محمد على النجار .
مطبعة دار الهدى للطباعة والنشر – بيروت – الطبعة الثانية ، ومطبعة دار الكتب المصرية ١٣٧٦ – ١٩٥٦ م .
٥٣ – خلق أفعال العباد :
البخـــارى :
رسالة نشرت ضمن كتاب عقائد السلف .
٥٤ – دائرة المعارف الإسلامية : النسخة العربية .
تحرير وإعداد : إبراهيم زكى خورشيد ، وأحمد الشنتناوى ، وعبدالحميد يونس .

٥٥ ـ الدر المنثور فى التفسير بالمأثور :
السيوطى : جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر بن محمد بن سابق الدين السيوطى (المتوفى سنة ٩١١ هـ ـ ١٥٠٥ م) .
نشر بيروت .
٥٦ ـ دراسات فى القرآن والحديث :
الدكتور يوسف خليف .
دار غريب للطباعة ـ القاهرة سنة ١٩٨١ .
٥٧ ـ الرد على الجهمية :
الـــدارمى
رسالة نشرت ضمن كتاب عقائد السلف .
٥٨ ـ الرد على المريسى :
الـــدارمى .
رسالة نشرت ضمن كتاب عقائد السلف
٥٩ ـ رسالة فى المفاضلة بين الصحابة :
ابن حزم : أبو محمد على بن أحمد بن سعيد بن حزم (٣٨٤ هـ ـ ٤٥٦ هـ)
٦٠ ـ الرسالة القشيرية فى علم التصوف :
القشيرى : أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيرى (٣٧٦ هـ ـ ٤٦٥ هـ)
طبعة سنة ١٣٦٧ ـ ١٩٥٧ م .
٦١ ـ الزهـــد :
أحمد بن حنبل : أبو عبد الله أحمد بن محمد بن جنبل الشيبانى
نسخة مصورة ـ الناشر ـ دار عمر بن الخطاب للنشر والتوزيع .
٦٢ ـ سبل السلام : شرح بلوغ المرام من جمع أدلة الأحكام .
الصنعانى : محمد بن إسماعيل بن صلاح الصنعانى (١٠٥٩ هـ ـ ١١٨٢ هـ)

تحقيق إبراهيم عصر .
نشر دار الحديث .
٦٣ ــ سر صناعة الإعراب :
ابن جني : أبو بكر عبد الواحد بن عرس بن فهد بن أحمد الأزدى .
حققه مصطفى السقا وآخرون .
الطبعة الأولى سنة ١٩٥٤ .
٦٤ ــ السنة قبل التدوين :
دكتور محمد عجاج الخطيب .
نسخة مصورة ــ الناشر مكتبة وهبة ــ عن الطبعة الأولى سنة ١٣٨٣ هـ
١٩٦٣ م .
٦٥ ــ سنن الترمذى :
الترمذى : أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة (٢٠٩ هـ ــ ٢٩٧ هـ) .
مطبعة مصطفى البابي الحلبي ــ الطبعة الأولى سنة ١٩٣٧ م .
٦٦ ــ سنن الدارمى :
الدارمى : عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام بن عبد الصمد
التميمى السمرقندى ، المتوفى سنة ٢٥٥ .
نسخة مصورة ــ نشر دار إحياء السنة النبوية ــ بيروت .
٦٧ ــ السنن الكبرى :
البيهقى : أبو بكر أحمد بن الحسين بن على البيهقى المتوفى سنة ٤٥٨ هـ .
نسخة مصورة ــ دار الفكر ــ بيروت .
٦٨ ــ سنن المصطفى :
ابن ماجة : أبو عبد الله محمد بن يزيد القزوينى (٢٠٧ هـ ــ ٢٧٥ هـ) .
الطبعة الأولى ــ المطبعة التازية .

٦٩ ـ سنن النسائى :

النسائى : أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن على بن بحر بن سنان بن دينار النسائى (٢١٥ هـ ـ ٣٠٢ هـ) .

المطبعة المصرية بالأزهر ـ الطبعة الأولى سنة ١٣٤٨ هـ ـ ١٩٣٠ م .

٧٠ ـ سير أعلام النبلاء :

الذهبى : أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي المتوفى سنة ٧٤٨ هـ

طبع دار المعارف بمصر سنة ١٩٦٢ م .

٧١ ـ السيرة النبوية :

ابن هشام : أبو محمد عبد الملك بن هشام المعافرى (المتوفى سنة ٢١٣ هـ)

طبع مؤسسة نبع الفكر العربى للطباعة . وشركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى .

٧٢ ـ شذرات الذهب فى أخبار من ذهب :

ابن العماد الحنبلى : عبد الحى بن العماد الحنبلى (المتوفى سنة ١٠٨٩) .

ط . بيروت .

٧٣ ـ شرح ابن عقيل :

ابن عقيل : بهاء الدين عبد الله بن عقيلى العقيلى (٦٩٨ - ٧٦٩ هـ) .

مطبعة السعادة بمصر ، الطبعة الخامسة ١٣٦٧هـ ـ ١٩٤٧م .

٧٤ ـ شرح الأبى على صحيح مسلم (المسمى إكمال إكمال المعلم) .

الأبى : أبو عبد الله محمد بن خلفة الوشتانى الأبى المتوفى سنة ٨٢٧ هـ .

مطبعة السعادة بمصر سنة ١٣٢٨ هـ .

٧٥ ـ شرح أشعار الهذليين :

السكرى : أبو سعيد الحسن بن الحسين السكرى .

حققه عبد الستار فراج .

مطبعة المدنى .

٧٦ ـ شرح السنوسى على صحيح مسلم المسمى «مكمل إكمال الأكمال» :

السنوسى : أبو عبد الله محمد بن محمد بن يوسف السنوسى المتوفى سنة ٨٩٥ هـ .

مطبعة السعادة بمصر سنة ١٣٢٨ .

٧٧ ـ شرح السيوطى على سنن النسائى :

السيوطى : جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر بن محمد بن سابق الدين السيوطى .

طبع فى ذيل سنن النسائى ـ المطبعة المصرية ـ الطبعة الأولى سنة ١٣٤٨هـ ١٩٣٠ م .

٧٨ ـ شرح شافية ابن الحاجب :

الاستراباذى : رضى الدين محمد بن الحسن الاستراباذى سنة ٦٨٦ هـ

دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ١٣٩٥ هـ ـ ١٩٧٥ م .

٧٩ ـ شرح المفصل :

ابن يعيش : موفق الدين يعيش بن على بن يعيش النحوى المتوفى سنة ٦٤٣ هـ .

إدارة الطباعة المنيرية .

٨٠ ـ شرح المسند : «انظر المسند لأحمد بن حنبل» .

أحمد شاكر .

طبعة دار المعارف القاهرة ١٩٤٦ .

٨١ ـ شرح نهج البلاغة :

ابن أبى حديد (٥٨٦هـ ـ ٦٥٦هـ) .

قام بتحقيقه الشيخ حسن تميم .
دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر — بيروت .
٨٢ — شرح النووى على صحيح مسلم :
النووى : أبو زكريا يحيى بن شرف بن مرى الحزامى الشافعى (٦٣١ هـ — ٦٧٦ هـ) .
نسخة مصورة — نشر مكتبة زهران .
٨٣ — شرف أصحاب الحديث :
البغدادى : أبو بكر أحمد بن على بن ثابت بن أحمد بن مهدى الخطيب البغدادى «٣٩٢ هـ — ٤٦٣ هـ» .
طبع لاهور — باكستان ١٩٦٤ م .
٨٤ — شعر الهذليين فى العصر الجاهلى والإسلام :
دكتور أحمد كمال زكى .
دار الكتاب العربى للطباعة والنشر ، القاهرة سنة ١٩٦٩ م .
٨٥ — الصاحبى فى فقه اللغة وسنن العربية فى كلامها :
ابن فارس : أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا الرازى القزوينى . (المتوفى سنة ٣٩٥ هـ) .
مطبعة المؤيد — القاهرة ١٣٢٨ هـ — ١٩١٠ م .
٨٦ — صحيح البخارى :
البخارى : أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه
طبع المطبعة الخيرية — وطبع دار الشعب .
٨٧ — صحيح مسلم بشرح النووى :
مسلم : أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم بن ورد بن كوشان القشيرى النيسابورى المتوفى سنة ٢٦١ هـ .

نسخة مصورة عن طبعة المطبعة المصرية ومكتبتها — نشر مكتبة زهران

٨٨ — صفوة الصفوة :

ابن الجوزى : جمال الدين أبو الفرج ابن الجوزى (٥١٠ — ٥٩٧ هـ) .

الطبعة الثانية سنة ١٩٦٨ .

٨٩ — الصوفية فى الإسلام :

ا. ر. نيكلسون . .

ترجمة نور الدين شريبة .

طبعة سنة ١٩٥١ .

٩٠ — طبقات الفقهـــاء :

الشيرازى : أبو إسحاق الشيرازى الشافعى (٣٩٣ هـ — ٤٧٦ هـ) .

حققه وقدم له الدكتور إحسان عباس .

ط . بيروت سنة ١٩٧٠ .

٩١ — الطبقات الكـــبرى :

ابن سعد : محمد بن سعد بن معن (توفى سنة ٢٣٠ هـ) .

طبع دار بيروت للطباعة سنة ١٩٥٧ م .

٩٢ — عقـــائد السلف :

دكتور على سامى النشار — عمار جمعى الطالبى .

طبع منشأة المعارف سنة ١٩٧١ الإسكندرية .

٩٣ — العقـــد الفـــريد :

ابن عبد ربه : أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسى .

مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٣٧٢ — ١٩٥٢ .

٩٤ — علل الحديث ومعرفة الرجال :

المدينى : على بن عبد الله المدينى (١٦١ هـ — ٢٣٤ هـ) .

حققه وعلق عليه الدكتور عبد المعطى أمين قلعجى .

(الطبعة الأولى ١٤٠٠ هـ — ١٩٨٠ م) .

٩٥ — علوم الحديث ومصطلحه :

دكتور صبحى الصالح .

طبع ١٣٩٣ هـ — ١٩٧٣ م — مطبعة دار العلم للملايين .

٩٦ — العواصم من القواصم :

ابن العربى : أبو بكر العربى توفى سنة ٥٤٢ .

تحقيق محب الدين الخطيب .

الدار السعودية للنشر — الطبعة الثانية ١٣٨٧ هـ — جدة .

٩٧ .. عيون الأثر فى فنون المغازى والشمائل والسير :

ابن سيد الناس .

الطبعة الأولى سنة ١٩٧٧ .

٩٨ — غريب القرآن ورغائب الفرقان :

النيسابورى : نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمى النيسابورى .

على هامش جامع البيان فى تفسير القرآن لمحمد بن جرير الطبرى .

المطبعة الأميرية سنة ١٣٢٣ هـ .

٩٩ — غاية النهاية فى طبقات القراء :

ابن الجزرى : شمس الدين أبو الخير محمد بن الجزرى (المتوفى ٨٣٣ هـ

١٤٢٩ م) .

عنى بنشره برجستراسر .

طبعة سنة ١٣٥١ — ١٩٣٢ .

١٠٠ — فتح البارى بشرح صحيح البخارى :
ابن حجر العسقلانى : أبو الفضل أحمد بن على بن حجر العسقلانى .
المتوفى (٨٥٥ هـ — ١٤٤٨ م) .
المطبعة الخيرية سنة ١٣١٥ هـ — المطبعة البهية ١٣٤٨ هـ .

١٠١ — فجــر الإسلام :
أحمد أمين .
مطبعة الاعتماد ١٣٤٧ هـ — ١٩٢٨ م .

١٠٢ — الفوائد المجموعة فى الأحاديث الموضوعة :
الشوكانى : محمد بن على الشوكانى المتوفى سنة ١٢٥٠ هـ .
تحقيق عبد الرحمن بن يحيي المعلمى اليمانى .
مطبعة السنة المحمدية سنة ١٣٨٠ هـ .

١٠٣ — فى تاريخ العربية :
نهاد موسى .

١٠٤ — فى اللهجات العربية :
الدكتور إبراهيم أنيس .
الطبعة الرابعة — المطبعة الفنية الحديثة سنة ١٩٧٣ .

١٠٥ — فيض القدير شرح الجامع الصغير :
المناوى : محمد عبد الرؤف المناوى .
مطبعة مصطفى محمد ، الطبعة الأولى ١٣٥٦ هـ — ١٩٣٨ م .

١٠٦ — القاموس المحيــط :
الفيروزابادى : محمد بن يعقوب الملقب بمجد الدين والمعروف
بالفيروزابادى .
المطبعة الأميرية — القاهرة .

١٠٧ ـ القراءات الشاذة :
ابن خالوية : أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن حمدان بن خالوية .
الطبعة الأولى سنة ١٩٣٤ ـ المطبعة الرحمانية بمصر .
١٠٨ ـ القراءات القرآنية : تاريخ وتعريف .
الدكتور عبد الهادى الفضلى .
طبع دار العلم ـ الطبعة الثانية ١٩٨٠ .
١٠٩ ـ قواعد فى علوم الحديث :
التهانوى : ظفر أحمد العثمانى التهانوى
حققه وراجع نصوصه وعلق عليه عبد الفتاح أبو غده
الطبعة الثالثة ـ لبنان ١٣٩٢هـ ـ ١٩٧٢م مطابع دار القلم .
١١٠ ـ قوت القلوب
أبو طالب المكى : أبو طالب محمد بن أبى الحسن على بن عباس المكى
(المتوفى ٣٨٦) ـ الطبعة الأولى (١٣٥١ هـ ـ ١٩٣٢ م) .
المطبعة المصرية .
١١١ ـ الكتـــاب :
سيبويه : أبو بشر عمرو الملقب سيبويه .
الطبعة الأولى المطبعة الأميرية بولاق سنة ١٣١٦ هـ .
١١٢ ـ كتاب الإبدال :
ابن السكيت . أبويوسف يعقوب بن السكيت
طبع الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ١٩٧٨م.
١١٣ ـ الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل :
الزمخشرى : محمود بن عمر بن محمد بن عمر الزمخشرى (٤٦٧ـ٥٣٨) .
مطبعة الاستقامة ـ القاهرة ـ الطبعة الأولى ١٣٦٥ هـ ـ ١٩٤٦ م .

١١٤ — لسان العرب :
ابن منظور : أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقى
طبع بيروت ١٩٥٦ م — ١٣٧٥ هـ .
١١٥ — لطائف الإشارات :
القشيرى : عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة المكنى بأبى القاسم المعروف بالقشيرى .
طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب — ودار الكاتب العربى للطباعة والنشر .
١١٦ — اللمـــع :
الطوسى : أبو نصر عبد الله بن على السراج الطوسى (توفى سنة ٣٧٨ هـ)
تحقيق الدكتور عبد الحليم محمود — طه عبد الباقى سرور ..
مطبعة السعادة سنة ١٣٨٠هـ — ١٩٦٠م .
١١٧ — اللهجات العربية فى القراءات القرآنية :
دكتور عبده الراجحى .
مطبعة م.ك. محمد محمود مسعد بالإسكندرية سنة ١٩٦٨ .
١١٨ — مجموعة الرسائل والمسائل :
ابن تيمية : تقى الدين أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية (المتوفى سنة ٧٢٨ هـ — ١٣٢٨ م) .
الطبعة الأولى .
١١٩ — محاسن الاصطلاح (انظر مقدمة ابن الصلاح ومحاسن الاصطلاح) :
البلقينى : سراج الدين عمر البلقينى
تحقيق الدكتورة عائشة عبد الرحمن .
مطبعة دار الكتب سنة ١٩٧٤ .

١٢٠ — المحتسب فى تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها

ابن جنى : أبو الفتح عثمان بن جنى .

تحقيق على النجدى ناصف والدكتور عبد الفتاح إسماعيل شلبى .

مطبعة دار التحرير القاهرة ١٣٨٩ هـ — ١٩٦٩ م .

١٢١ — المحدث الفاصل بين الراوى والواعى :

الرامهرمزى : الحسن بن عبد الرحمن الرامهرمزى (٢٦٠ هـ — ٣٦٠ هـ)

الطبعة الأولى : بيروت ١٣٩١ هـ — ١٩٧١ م .

١٢٢ — مجمع الزوائد ومنبع الفوائد :

الهيثمى : نور الدين الهيثمى .

طبع القدسى — القاهرة سنة ١٣٥٣ هـ .

١٢٣ — مختصر تفسير ابن كثير :

محمد على الصابونى .

طبعة دار القرآن الكريم — بيروت — الطبعة السابعة سنة ١٤٠٢ هـ — ١٩٨١ م .

١٢٤ — المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز :

أبو شامة : شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المعروف بأبى شامة المقدسى .

طبعة (١٣٩٥ هـ — ١٩٧٥ م) دار صادر بيروت .

١٢٥ — المزهر فى علوم اللغة وأنواعها :

السيوطى : عبد الرحمن بن أبى بكر بن محمد بن سابق الدين السيوطى المتوفى سنة ٩١١ هـ — ١٥٠٥ م .

طبع دار إحياء الكتب العربية ، وطبع الحلبى سنة ١٩٥٨ .

١٢٦ المساعد على تسهيل الفوائد :

ابن عقيل : بهاء الدين عبد الله بن عقيل العقيلى (٦٩٨ — ٧٦٩ هـ) .

تحقيق الدكتور محمد كامل بركات .
دار الفكر بدمشق ١٤٠٠ هـ – ١٩٨٠ م .

١٢٧ – المسند :
ابن حنبل : أحمد بن محمد بن حنبل (المتوفى سنة ٢٤١ هـ – ٨٠٤ م) .
تحقيق أحمد محمد شاكر .
دار المعارف – القاهرة .

١٢٨ – المصاحف :
السجستانى . أبو بكر عبد الله بن أبى داود سليمان بن الأشعث .
الطبعة الأولى ١٩٣٦ م – ١٣٥٥ هـ المطبعة الرحمانية بمصر .

١٢٩ – مصادر الشعر الجاهلى وقيمتها التاريخية :
الدكتور ناصر الدين الأسد .
الطبعة الرابعة سنة ١٥٦٥م – مطبعة دار المعارف بمصر .

١٣٠ – مصادر اللغة :
دكتور عبد الحميد الشلقانى .
مطبعة جامعة الرياض سنة ١٩٨٠ .

١٣١ – المعارف :
ابن قتيبة : أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (٢١٣ هـ–٢٧٦ هـ) .
تحقيق الدكتور ثروت عكاشة .
الطبعة الثانية – دار المعارف مصر – مطبعة دار الكتب سنة ١٩٦٠ .

١٣٢ – معانى القرآن :
الفراء : أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء المتوفى سنة ٢٠٧ هـ – ٨٢٢ م .
مطبعة دار الكتب المصرية سنة ١٣٧٤ – ١٩٥٥ م .

١٣٣ ــ معجم الأدباء :
ياقوت الحموى .
طبع دار المأمون سنة ١٩٣٦ .
١٣٤ ــ معجم قبائل العرب القديمة والحديثة :
عمر رضا كحالة .
دار العلم للملايين ــ بيروت ١٣٨٨ هـ ــ ١٩٦٨ م .
١٣٥ ــ معرفة علوم الحديث :
النيسابورى : أبو عبد الله محمد بن عبد الله النيسابورى (٣٢١ــ٤٠٥) .
المكتب التجارى للطباعة والنشر والتوزيع ــ بيروت ــ الطبعة الثانية سنة ١٩٧٧ م .
١٣٦ ــ معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار :
الذهبى : أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبى المتوفى سنة ٧٤٨ هـ
تحقيق محمد سيدجاد الحق .
الطبعة الأولى ــ مطبعة دار التأليف والترجمة والنشر سنة ١٩٦٩ .
١٣٧ ــ مفتاح السعادة ومصباح السيادة فى موضوعات العلوم :
طاش كبرى زاده : أحمد بن مصطفى الشهير بطاش كبرى زاده .
تحقيق كامل بكرى أمين ــ عبد الوهاب أبو النور .
مطبعة الاستقلال الكبرى .
١٣٨ ــ مفتاح كنوز السنة :
الدكتور أ. ى. فنسنك .
نقله إلى العربية محمد فؤاد عبد الباقى .
نسخة مصورة عن طبعة معارف لاهور سنة ١٣٩٧ ــ مطابع الشعب سنة ١٣٧٨ هـ .

١٣٩ — مفردات ألفاظ القرآن :
الراغب الأصفهانى : أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل .
تحقيق نديم مرغشلى .
مطبعة التقدم العربى سنة ١٣٩٢ هـ — ١٩٧٢ م — دار الكتاب العربى .
١٤٠ — المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام :
الدكتور جواد على .
الطبعة الأولى — بيروت سنة ١٩٧٠ م .
١٤١ — مقدمة ابن الصلاح :
ابن الصلاح : عثمان بن عبد الرحمن الصلاح «٥٧٧ هـ — ٦٤٣هـ» .
توثيق وتحقيق الدكتورة عائشة عبد الرحمن .
مطبعة دار الكتب سنة ١٩٧٤ .
١٤٢ — المـوطأ :
مالك : أبو عبد الله مالك بن أنس الأصبحى (٩٣ هـ — ١٧٩هـ) .
رواية محمد بن الحسن الشيبانى .
الطبعة الثانية ١٣٨٧ — ١٩٦٧ م .
١٤٣ — ميزان الاعتدال فى نقد الرجال :
الذهبى : محمد بن أحمد بن عثمان الذهبى المتوفى سنة ٧٤٨ هـ—١٣٤٨ م
مطبعة الحلـبى .
١٤٤ — النشر فى القراءات العشر :
ابن الجزرى : شمس الدين محمد بن محمد الدمشقى المتوفى سنة ١٨٣٣ —
١٤٢٩ م .
القاهرة : مطبعة مصطفى محمد .

١٤٥ ـ نهاية الأرب فى فنون الأدب :

النويرى : شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويرى (٦٧٧ ـ ٧٧٣هـ)
نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب .

١٤٦ . نيل الأوطار : شرح منتقى الأخبار من أحاديث سيد الأخبار .

الشوكانى : محمد بن على بن محمد الشوكانى المتوفى سنة ١٢٥٥ هـ .

المطبعة العثمانية المصرية - . الطبعة الأولى سنة ١٣٥٧ هـ .

الطبعة الثانية ١٣٧١ ـ ١٩٥٢ مطبعة مصطفى البابى الحلبى .

١٤٧ ـ هداية السالك إلى توضيح أوضح المسالك :

محمد محيي الدين بن عبد الحميد .
طبع مع كتاب أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك .
مطبعة السعادة . الطبعة الثالثة سنة ١٩٤٩ مصر .

فهرس الأعـــــلام

فهرس الموضوعات

الصحابة لعبد الله بأنه أقرأهم للقرآن ، وأفضلهم فى تجويده وترتيله ، «٣٢» ، عبد الله بن مسعود يسأل الرسول صلى الله عليه وسلم فيما لا يعرفه من تفسير القرآن «٣٢» .

شبهة عدم تعلم عبد الله القرآن فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم «٣٣» ، شبهة عدم جمع عبد الله بن مسعود القرآن قبل وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم «٣٣» .

الرد على الشبهات : النص على أن عبد الله أخذ عددا من السور من فى رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما ورد فى عد مناقبه «٣٣» ، تلقى عبد الله باقى القرآن من النبى صلى الله عليه وسلم بالمشاركة «٣٣» ، تعلمه القرآن من غير رسول الله صلى الله عليه وسلم «٣٣» ، شواهد على أن عبد الله قد أتم أخذ القرآن فى عهد النبوة «٣٤» ، الإقرار له بأنه من أعلم الصحابة بكتاب الله «٣٥» ، شواهد على عظم مكانة عبد الله فى العلم بالقرآن «٣٦» ،

مناقشة الزعم بأن عبد الله لم يتم ختم القرآن فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم «٣٦» ، دعوى عدم معرفته سورة الأعراف حتى قدم الكوفة «٣٧» ، دعوى عدم معرفته المعوذتين «٣٧» ، دعوى أن سورة الشعراء لم تكن معه «٣٧» .

الرد على هذه المزاعم : الرسول صلى الله عليه وسلم عد عبد الله بن مسعود من المتميزين فى العلم بالقرآن ولم يستثن منه سورة ما طالت أم قصرت «٣٧» ، حديث خذوا القرآن من أربعة : «من ابن أم عبد ... ...» يدل على صحته حديث محمد بن كعب القرظى الذى عد عبد الله بن مسعود ممن ختموا القرآن وبذلك لا يعتد بأنه مقطوع «٣٧» ، الذين أسندوا قراءتهم إلى عبد الله بن مسعود لم يستثنوا من جملة القرآن شيئا «٣٧» .

إقبال عبد الله على حفظ القرآن «٣٨» ، إتمامه الحفظ فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وعده من مناقبه «٣٨» . شواهد على حفظ عبد الله القرآن «٣٨» ، حفظ عبد الله القرآن لا يعنى اختزانه فقط ، وإنما يضيف إلى ذلك عمله به . وتحليه بآدابه . وتخليه عن نواهيه «٣٨» ، .

امتلاك عبد الله الأدوات التى تعين على التفسير «٣٩» : معرفته أسباب النزول «٣٩» . وقوفه على أماكن النزول «٣٩» ، استعانة عبد الله بعلمه فى معرفة مقاصد الآيات ومعانيها «٣٩» ، شواهد من تفسيره تؤكد إحاطته بعلوم القرآن «٤٠» ، تأثر عبد الله فى كثير من مروياته بأصول قرآنية «٤٠» .

الفصل الثانى : السنة «٤١ - ٤٩» .

السنة تمثل الرافد الثانى فى ثقافة عبد الله بن مسعود «٤٣» ، عبد الله بن مسعود من الرواة أصحاب المئين «٤٣» ، تعلمه عبد الله كثيرا من أمور الدين من الرسول صلى الله عليه وسلم مثلما تعلم منه القرآن «٤٣» ، التشهد مما تعلمه عبد الله من الرسول صلى الله عليه وسلم «٤٤» ، الحكم بأن حديث عبد الله فى التشهد أصح ما ورد فى الباب «٤٤ ، ٤٥» ، الاختلاف فى نصوص التشهد الواردة عن الصحابة اختلاف فى مباح «٤٥» ، الرسول صلى الله عليه وسلم علم عبد الله بعض الأدعية «٤٥» ، خطبة الحاجة وكيف تعلمها عبد الله من الرسول صلى الله عليه وسلم «٤٦» . ما تعلمه عبد الله من الرسول صلى الله عليه وسلم مما يتصل بالصلاة «٤٧» ، اتجاه عبد الله إلى الرسول صلى الله عليه وسلم بالسؤال فيما يحسه فى نفسه «٤٧» ، الرسول صلى الله عليه وسلم يستثير فى عبد الله بن مسعود الرغبة فى معرفة ما يود أن يعلمه له «٤٨» ، أثر الحديث فى فكر عبد الله بن مسعود «٤٨» ، تشبهه بالرسول صلى الله عليه وسلم فيما يحب من الأعمال ، وما يكره منها «٤٩» .

الفصل الثالث : الدرس اللغوى «٥١ – ٨٩» .

الخشية من اللحن فى القراءة وجهت عبد الله إلى التفقه فى اللغة ، والعناية بالشعر «٥٣» .

عناصر الدرس اللغوى عند عبد الله بن مسعود :

أولا : لغة هذيل .

الميراث اللغوى بعامة ، وصعوبة التعرف على طرائق القوم فى أدائه «٥٤»

الظواهر اللغوية كما نستخلصها من دواوين الهذليين وكتب اللغة ، وما ورد من القراءات هى السبيل إلى تبين لغة هذيل «٥٤» ، وورود لغة هذيل ضمن اللغات التى نزل بها القرآن دليل على ما كان فيها من صفاء ، وما كان لدى أبنائها من فصاحة فى اللسان «٥٤» ، إصرار عثمان حين أمر بجمع القرآن على أن يكون المملى من هذيل دليل على ما كان لدى أفرادها من سلامة فى النطق «٥٥» ، خلوص لغة هذيل وأثره فى الاتجاه إليها عند جمع اللغة «٥٥» ، أبو عمرو بن العلاء ودوره فى جمع اللغة من هذيل لبعدها عن شبهات الحضر «٥٦» ، حرص الأصمعى على شعر الهذليين «٥٦» ، الغرابة فى لغة هذيل لا تفسد فصاحتها «٥٦» . ، شواهد مما ورد فى القرآن من الغريب فى لغة هذيل «٥٧ – ٥٨» ، تفرد لغة هذيل بخصائص معينة لفت العلماء إلى درسها «٥٨» ، تصدى ابن جنى لدرس بعض الظواهر فى لغة هذيل «٥٨» .

ظاهرة الفحفحة : تعريفها «٥٨» ، الفحفحة فى لغة هذيل «٥٨» ظاهرة الفحفحة فى قراءة عبد الله بن مسعود «٥٩» ، عمر ينهى عبد الله بن مسعود عن الإقراء بلغة هذيل «٥٩» .

الأسباب التى تثير الشك فى نسبة الفحفحة إلى هذيل «٥٩ – ٦٠» ،

وصف القدماء لظاهرة الفحفحة مما يحمل على الشك فيها «٦٠» ، وورود ما يفيد عكس ظاهرة الفحفحة فى قراءة عبد الله بن مسعود يثير الشك فيما روى عنه منها «٦٠» .

الشواهد التى تدفع هذا الشك : وورود القراءة التى ظهرت فيها الفحفحة منسوبة إلى عبد الله فى كثير من المصادر «٦٠» ، رواية ما يخالف هذه الظاهرة عند عبد الله يرجع إلى مراوحته بين اللهجات فى تعليم القرآن «٦٠» ، عدم فشو ظاهرة الفحفحة على لسانه يمكن تعليله بعدم انتشارها بين كل بطون هذيل «٦١» .

التصدى للأقراء بلغة هذيل وغيرها من اللغات يؤكد الرغبة فى نشر النص القرآنى خاليا من الخصائص اللهجية «٦١» ، احتمال أن تكون اللغة الهذلية قد غلبت على عبد الله فى قراءة «عتى حين» فقرأ بها دون السماع من النبى صلى الله عليه وسلم ، فنبهه عمر إلى أن القرآن الكريم نزل بلغة قريش لا بلغة هذيل «٦٢» ، ندرة وجود الظواهر اللهجية لهذيل بعامة فى أشعار أبنائها ، وبيان السبب فى ذلك «٦٢» نطق الحاء عينا لم تنفرد به هذيل ، وإنما شاركتها ثقيف فيه «٦٢» ، قراءة «عتى حين» فى مكان «حتى حين» ربما كانت ثقفية ، وجرت على لسان عبد الله كأثر لنضج البيئة أو لتصديه للتعليم «٦٢» .

رأى من يقولون بأن قراءة «عتى حين» مصدرها الرسول صلى الله عليه وسلم ، وما عبد الله بن مسعود إلا متبعا فى ذلك «٦٣» .

ظاهرة الاستنطاء :

تعريفها «٦٣» ، عدم انفراد هذيل بها «٦٣» ، مناقشة الرأى القائل بأن الاستنطاء ظاهرة لغوية هذلية «٦٣» .

ظواهر لغوية هذلية لم تظهر فى قراءة عبد الله بن مسعود .

— جمع الاسم الذى على وزن فعلة المعتلة العين جمعا جمع مؤنث سالم إذا كان مفتوح الفاء وعينه واو ساكنة ، أو ياء ساكنة على فعلات بفتح العين بعد الفاء المفتوحة «٦٥ — ٦٦» .

— كسر حرف المضارعة «٦٦» .

ظواهر لغوية لهذيل وجدت فى قراءة عبد الله بن مسعود .

— استعمال الكسر حيث تستعمل لهجات أخرى الضم «٦٧» .

— قلب ألف المقصور ياء وإدغامها فى ياء المتكلم ، وفتح ياء المتكلم «٦٨» .

— حمل الألفاظ على دلالتها فى لغة هذيل «٦٨» .

السبب فى أن بعض الظواهر اللغوية الهذلية ظهرت فى قراءة عبد الله بن مسعود فى حين أن بعضها الآخر لم يرد فيما نسب إليه من قراءات «٦٩» .

ثانيا : لغة الحجاز :

الصلة بين عبد الله بن مسعود والبيئة الحجازية ، وتمثله للغتها «٦٩» .

ظواهر لغوية حجازية فى قراءة عبد الله بن مسعود :

— إعمال ما عمل ليس «٦٩ — ٧١» .

— الفك أو الإظهار «٧١ — ٧٣» .

— الميل إلى الفتح «٧٤ — ٧٥» .

— تحقيق الهمزة «٧٥» .

— القراءة بحذف اللام الأولى ، وكسر الظاء فى قوله تعالى «الذى ظلت عليه عاكفا» «٧٦» .

— النطق بالذال فى موضع الدال «٧٦ — ٧٧» .

ـ القراءة بالظاء فى موضع الضاد «٧٧ — ٧٨» .

ثالثا : اللغة المشتركة :

اللغة الأدبية تمثل اللغة المشتركة فى الجاهلية وأول الإسلام «٧٨»، اللغويون

ـأ ظهور لهجات مغايرة للغة قبيلة العربى ولغة بيئته «٧٩» .

قراءات نسبت إلى عبد الله بن مسعود تغاير لهجة هذيل ، ولهجة الحجاز :

- تحقيق الهمزة وهى لهجة بنى تميم وقيس وبنى أسد «٧٩» .

ـ القراءة بالرفع فى قوله تعالى «ما هذا بشر» وهى قراءة بنى تميم «٨٠».

ـ القراءة بالإمالة فى «طه» ، والإمالة تنسب إلى تميم وأسد وطيء ، ىر بن وائل «٨١» .

- القراءة بالضم فى «ربيون» وفى مواضع أخرى ، والضم ينسب إلى و أسد «٨١ ، ٨٢» .

- القراءة بالإدغام وقد عرفت تميم به «٨٣ ، ٨٤» .

ـ اعتراف اللغة المشتركة بشق ظاهرة الإدغام يفسر مجيئهما فى قراءة الله «٨٥» .

ميل عبد الله إلى الأخذ بظواهر لغوية تخالف أعراف البيئة يؤكـد عصبيته المتميزة «٨٥» ، دلالة ورود ظواهر لغوية تميمية بكثرة فى قراءة مسعود «٨٦ ، ٨٧» ، إزالة التعارض بين ظهور اللهجات المختلفة فى ـات عبد الله «٨٨ ، ٨٩» .

الفصل الرابع : ثقافة أهل الكتاب «٩١» .

سبل انتقالها إلى عبد الله بن مسعود :

ـ حياة عبد الله بن مسعود فى المدينة هيأت له أن يقف على أطراف ىر ة من ثقافة أهل الكتاب «٩٣» .

-- ما جاء في الكتب المقدسة موافقا للقرآن لقي رضا في نفوس المسلمين «٩٣» .

شواهد على ذلك من قراءات عبد الله «٩٤» .

ـــ ملازمة عبد الله بن مسعود للنبي صلى الله عليه وسلم أتاحت له أن يشهد في حضرته أخبار اليهود ، وهم يذكرون له بعض ما جاء في كتبهم «٩٤ ، ٩٥» .

ـــ حضوره مجالس عمر التي كان يؤمها من أسلم من اليهود «٩٦» .

ـــ الثقافة اليهودية التي كان ينشرها المسلمون ممن كانوا من أصل يهودي «٩٦ ، ٩٧» .

موقف عبد الله بن مسعود من الإسرائيليات «٩٨» .

نماذج مما حمل على عبد الله من الإسرائيليات في كتب التاريخ «٩٨» ، رد هذه الإسرائيليات لمعارضتها للشرع ، ومنافاتها للعقل «٩٩» ، المعارف الإسرائيلية المنسوبة إلى عبد الله بن مسعود في كتب التفسير «٩٩ ، ١٠٠» ، ضوابط نقد الإسرائيليات بعامة من حيث السند والمتن «١٠١» ، معايير عبد الله بن مسعود النقدية في رد الإسرائيليات «١٠٢» ، نماذج مما رده عبد الله بن مسعود من الإسرائيليات «١٠٣» ، شواهد على تصحيح عبد الله بن مسعود ، معارفه من ثقافة أهل الكتاب على القرآن «١٠٣» .

أثر ثقافة أهل الكتاب في تكوين عبد الله بن مسعود الثقافي ضيق للغاية ، وهو بعيد عن مجال العقيدة «١٠٤» ، القول بأن المعارف الإسرائيلية لها دور في التكوين الثقافي لبعض الصحابة لا يطعن فيهم ، ولا ينال منهم «١٠٤» . ما ورد من الإسرائيليات منسوباً إلى بعض الصحابة لا يدل على واقعهم العقلي والفكري «١٠٥» .

هجرة عبد الله بن مسعود إلى الحبشة فى أول الإسلام عرفته بعض الألفاظ الحبشية «١٠٥» .

الباب الثانى : عبد الله بن مسعود : المربى والمعلم «١٠٧ — ١٣٩» .

الفصل الأول : فى درس القرآن «١٠٩ — ١٢٢» .

عبد الله بن مسعود ومسئولية الدرس القرآنى فى الكوفة «١١١»، وسائله فى جذب أصحابه لتعلم القرآن «١١٢» ، توجيههم إلى الاقتداء به فى مراعاة ضوابط القراءة «١١٣ ، ١١٤» ، بيان الغاية من قراءة القرآن «١١٤»، نهيهم عن هذ القرآن «١١٥» ، بيان النظائر التى كان الرسول صلى الله عليه وسلم يقرن بينها فى صلاته «١١٤ ــ ١١٥» ، القراءة الحقة للقرآن تعنى التأدب بآدابه «١١٦» ، المزالق التى حذر عبد الله أتباعه من الوقوع فيها عند القراءة «١١٦ ، ١١٧» ، سمات حامل القرآن كما يحددها عبد الله «١١٧» ، الرسول صلى الله عليه وسلم هو القدوة فى إقراء عبد الله وتعليمه «١١٨» ، أصحاب عبد الله فى القراءة «١١٩» ، ذيوع قراءة عبد الله فى العراق «١١٩» ، قراءة عبد الله هى مصدر عاصم بن أبى النجود «١١٩» بعض ما أخذ على قراءة عبد الله بن مسعود «١٢٠» .

تصدى عبد الله لتفسير القرآن : «١٢٠ ، ١٢١» ، اقتدائه بالرسول صلى الله عليه وسلم فى نهجه فى التفسير «١٢١» . تحرجه من القول بالرأى فى القرآن «١٢١» ، موقفه من الآيات المتشابهات «١٢١ ، ١٢٢» ، اعتماد مفسرى الكوفة على تفسيره «١٢٢» ، عمل عبد الله على تعليم أتباعه الفقه «١٢٢» ، توجيههم إلى تعلم الفرائض «١٢٢» .

الفصل الثانى : فى درس الحديث «١٢٣ ــ ١٣٩» .

اضطلاع عبد الله بن مسعود بدرس الحديث فى العراق «١٢٥» ، طول

الصحبة فى مقدمة الأسباب أتاحت لعبد الله بن مسعود أن يحدث عن الرسول صلى الله عليه وسلم بما لم يتح لغيره سماعه «١٢٥» ، الرد على القائلين بأن عبدالله بن مسعود من المكثرين من الحديث «١٢٥» ، أسباب إقلال عبدالله بن مسعود من الرواية «١٢٦» نقد القول بأن عمر حبس ابن مسعود ضمن ثلاثة من الصحابة لإكثارهم من الحديث «١٢٦» ، أثر تشدد عمر فى نهج عبد الله فى رواية الحديث «١٢٧» ، الأسباب الذاتية فى تشدد عبد الله فى الرواية «١٢٨ ، ١٢٩» .

مقصد عبد الله فى درس الحديث «١٢٩» ، خطة عبد الله فى درس الحديث «١٣٠» ، منهج عبد الله فى درس الحديث «١٣٠ ، ١٣١» ، الملامح المميزة لمنهج ابن مسعود ، وتأثر أتباعه بها فى مجال درس الحديث : الإقلال من الرواية ، التثبت من الحديث ، تصحيح الحديث على القرآن ، وشواهد على ذلك «١٣٢ ، ١٣٣» .

أثر عبد الله بن مسعود فى سبق الكوفة إلى العناية بالحديث «١٣٤» ، أشهر الرواة عنه «١٣٤» ، أصح أسانيده «١٣٥ ، ١٣٦» ، أو هى أسانيده وذكر من أرسلوا عنه «١٣٧» ، دور عبد الله فى توجيه أتباعه لدرس الحديث «١٣٧ الإدراج فى حديث ابن مسعود ، وشواهد من مروياته «١٣٧ ، ١٣٨» ، نسبة كثير من الموضوعات إليه «١٣٩» .

الفصل الثالث : المفاهيم الإسلامية فى التعلم فى فكر عبد الله بن مسعود «١٤١ — ١٥٢» .

— الاعتماد على الشعور الدينى فى إثارة الرغبة فى التعلم «١٤٣» .
— الغاية من التعلم فى ظل الإسلام «١٤٣» .
— ضرورة مناسبة الخبرة التعليمية لعقول التلاميذ «١٤٤» .

– تفسير عمليات التعلم تفسيرا دينيا . فالتعلم عبادة ، والدراسة صلاة «١٤٤» .

– العلم ليس فى كثرة ما يرويه المتعلم ، وإنما فيما يفعله ، وهو يرعى الله الله فيه «١٤٥» .

– العلم لا يورث ، وإنما يكتسب بالتعلم «١٤٥» .

– قيمة العلم ليست فى اختزانه ، وإنما فى الإفادة منه ، والعمل بموجبه «١٤٥» .

– الأسئلة مفاتيح التعلم «١٤٥» .

– التربية الحقيقية ليست فيما يباهى الطالب به من النصوص المحفوظة ، وإنما هى فى القدرة على تعديل السلوك بحيث توافق الأفعال الأقوال «١٤٦» .

– من مظاهره غلبة الطابع الدينى على فكر عبد الله بن مسعود قوله بأن التذكر مرده إلى التقوى والصلاح ، والنسيان سببه الخطيئة «١٤٦» .

– القرآن والحديث هما الأصل فى تفسير عبد الله عمليات التعلم «١٤٧» .

– مذاكرة العلم إحياء له «١٤٧» .

– العلم أمانة ، والعالم مستأمن إن أدرك الحقيقة فليس له أن يكتمها «١٤٧ – ١٤٨» .

– القدوة الصالحة فى مجال التربية لها أهميتها وضرورتها «١٤٩» .

– الصحابة هم القدوة ، ولذلك وجب أتباعهم وأخذ العلم عنهم «١٤٩»

– العالم الحق هو من يخشى الله فى قوله وعمله «١٤٩» .

مسئوليات عبد الله العلمية فى العراق ، والاعتراف له بالفضل «١٥٠» .

– انتشار العلم فى العراق على يد أصحاب عبد الله بن مسعود «١٥١» .

– أشهر أصحاب عبد الله بن مسعود «١٥١» .

التركيز على صيغ معينة فى نقل الأفكار «١٦٤» ، المحاور الفكرية التى يدور حولها عبد الله بن مسعود فى خطبه «١٦٥» ، تكرار الأفكار بألفاظها ، وربما بعد الإضافة إليها أو التفصيل فيها ملحوظ فى خطب عبد الله ومواعظه .

مواقف المسلمين من اتجاهات ابن مسعود الفكرية : «١٦٦» ، أتباع عبد الله بن مسعود وحسن تلقى هذه الأفكار «١٦٦» ، ضيق العثمانيين بما يذيعه عبد الله بن مسعود من أفكار .

أدب عبد الله بن مسعود يشف عن مكونات ثقافته «١٦٧» ، تتبع بعض أفكار عبد الله فى القرآن والحديث «١٦٧ ، ١٦٨» ، عبد الله بن مسعود يعمد إلى تصنيع أفكاره «١٦٨» ، تداخل معانى القرآن والحديث فى أفكار عبد الله ابن مسعود . والشواهد على ذلك «١٦٩ - ١٧٠» ، احتمال رفع أحاديث عبد الله الموقوفة إلى الرسول صلى الله عليه وسلم «١٧٠» ، تداخل ثقافة أهل الكتاب فى أفكار عبد الله «١٧٢» .

ثالثا : الأساليب :

أسلوب القسم : كثرة أسلوب القسم فى القرآن بعامة «١٧٢ ، ١٧٣» ، القسم بالذات الإلهية «١٧٢» ، القسم بالقرآن «١٧٢ ، ١٧٣» القسم بالنبى صلى الله عليه وسلم «١٧٣» ، القسم بالملائكة «١٧٣» ، القسم بالطبيعة وظواهرها «١٧٣» .

أسلوب القسم فى أدب عبد الله بن مسعود دينى النزعة ، إسلامى الاتجاه ، «١٧٣» ، مقاصد القسم فى أدب عبد الله «١٧٣» ، التأثر بأسلوب القرآن فى القسم وشواهد من أدب عبد الله «١٧٣» . القسم بذات الله «١٧٣» ، القسم

بصفات الله «١٧٤ : ١٧٥» ، التعليل لكثرة ورود القسم بالوحدانية فى أدب عبد الله بن مسعود «٢٧٦» .

أسلوب الدعاء :

كثرة الدعاء فى الأدب الإسلامى بعامة «١٧٦» الصبغة الإسلامية فى أسلوب الدعاء عند عبد الله بن مسعود «١٧٦» ، تضمين الدعاء آيات من القرآن «١٧٧» ، تخير وقت السحر للدعاء «١٧٧» ، ممن يستجاب الدعاء «١٧٨» ، تأثير عبد الله فى أدب الدعاء عند الصوفية «١٧٨» .

الفصل الثانى : الحس اللغوى «١٧٩ — ١٨٩» .

الاختلاف فى الأداء من الأسباب الجوهرية التى تميز أدبا عن آخر «١٨١»

معرفة الفروق بين الكلمات مظهر للقدرة اللغوية التى تميز عبد الله بها «١٨١» ، موقفه من المراد بكلمة شح ، وكلمة بخل «١٨٢» ، ثقافته وأثرها فى وقوفه على الاستعمال اللغوى للألفاظ «١٨٢» ، الشاهد فى استخدام «عن» فى قوله تعالى : «الذين هم عن صلاتهم ساهون» «١٨٢ ، ١٨٣» ، السياق عند ابن مسعود يحدد دلالة الألفاظ «١٨٣» ، تحديده لمعنى كلمة السحت بمعنى الرشوة فى قضاء الحاجة ، وليس فى الأخذ على الحكم «١٨٤» ، احتكامه إلى الاستعمال اللغوى لتحديد دلالة الألفاظ المشتركة ، والشاهد على ذلك فى بيان معنى لفظ أمة «١٨٤» ، الوقوف على دلالات الألفاظ من خلال التعرف على استخدامها فى القرآن والحديث ، والشاهد على ذلك فى تحديد كلمة أواه «١٨٥» ، الخروج بدلالة بعض الألفاظ إلى أمور غيبية بعيدة عن مادتها العلمية ، والشاهد فى كلمة «ويل» وكلمة «زخرف» «١٨٥» ألفاظ عبد الله

طبع بمطابع جريدة السفير

طبع بمطابع جريدة السفير



١٢٢٦٩٩ / ١